

عبد الرحمن الرافعي

شعراء الوطنيات
ومصر

تراجمهم وشعرهم الوطني
والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم



دار المعارف



شعراء الوطنيت ومصر

تراجمهم وشعرهم الوطني
والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم

بقلم

عبد الرحمن الرافعي

«أن في قيثارة الشعر سلوى للقلب»
«وغيذاء للروح، وأنها لتوحى إلى النفوس»
«أسمى معاني الانسانية، وما أجمل هذه»
«القيثارة حينما تغرد للناس ألحان الوطنية»

الطبعة الثالثة



دار المعارف



عبد الرحمن الراجحي

ولد في ٨ من فبراير سنة ١٨٨٩ - وتوفي في ٣ من ديسمبر سنة ١٩٦٦

مقدمة الطبعة الثالثة

هذه هي الطبعة الثالثة من كتاب المغفور له والدنا عن شعراء الوطنية في مصر
تطابق تماما الطبعة الأولى التي ظهرت سنة ١٩٥٤ ، ولاشك أن جهد دار المعارف
بأعضائها جميعا كان له أثره في ظهور الطبعة الثالثة التي هي الآن في متناول
القارئ ..

والله ولي التوفيق ..

كريات المؤلف

عبدالرحمن الرافعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

أقدم الطبعة الثانية لهذا الكتاب طبق الأصل للطبعة الأولى التي أخرجتها سنة ١٩٥٤ وهى ضمن ما أخرجته من سلسلة تاريخ حركتنا الوطنية - أحمد الله وأشكره على نعمائه، وكما كنت أتمنى أن أضيف إلى تراثنا الشعرى الوطنى ما جادت به قرائح شعرائنا الجدد فى المناسبات الوطنية تمثيلاً مع روح الاشتراكية والتطور فى عهدنا الحديث خاصة وقد لا يست الأمة المصرية ظروف وضحت فيها معالم القومية والوطنية والكفاح والمجاهد، وليس أدل على ذلك مما ظهر عقب الاعتداء الثلاثى من قصائد لشعراء وطنيين وغير ذلك من المناسبات الوطنية المعروفة لولا - مرضى الذى منعى عن جمع وتسجيل قصائد هؤلاء الشعراء فلهم منى صادق اعتذارى.

والله ولى التوفيق..

عيد الرحمن الراقعى

يوليه سنة ١٩٦٦

مقدمة

عندما أرخت الحركة القومية في أدوارها المتعاقبة، تبينت مبلغ ما للشعر الوطني من أثر عميق في التمهيد لها ويعنها، وإذكاء الروح الوطنية في نفوس المواطنين، وتسجيل الحوادث الهامة في تاريخ مصر القومي، ومن يومئذ وأنا تَوَّاق إلى أن أخصص لشعراء الوطنية سفرًا منفردًا، يجمع معظم ما جادت به قرائهم من الشعر الوطني، مع التعريف بشخصياتهم، وذكر المناسبات التي أنشأوا فيها قصائدهم الوطنية.

ولقد كنت أرجو أن أضْمَنَ ما أخرجته من سلسلة تاريخ الحركة الوطنية قصائد أولئك الشعراء، وعنتيت فعلا بأن أقتبس في شق المناسبات، ولكنني وجدت أن هذا الاقتباس لا يكفي للتنبه بفضلهم، وإبراز مبلغ مساهمتهم في غرس الشعور الوطني في نفوس الأجيال المتعاقبة، فوعدت نفسي أن أنفرغ يوما لإخراج كتاب خاص بهم وبأشعارهم الوطنية، وها أنذا أوفى بوعدي.

وإن لأشعر أني باخراج هذا الكتاب، أؤدي واجبا نحو أولئك الشعراء، ونحو الحركة الوطنية ذاتها، فالشعراء الذين استلهموا وحى الوطنية في قصائدهم، واهتزت لها مشاعرهم، واستجابوا إلى نداء الوطن في عالم الشعر والفن والخيال، وتجاوبوا مع الحركة الوطنية، وكانوا مرآة صادقة لعصرهم، ومصدر إلهام وتوجيه لمواطنيهم، وترجمانا لهم في آمالهم وآلامهم، وأحاسيسهم وأهدافهم، هؤلاء خليقون جميعًا بتقدير الوطن وثنائه، وإن من أبسط علامات التقدير لهم أن يجمع قصائدهم في سجل واحد.

على أني لا أقصد تقديرًا لهم فحسب، بل أقصد إلى تغذية الروح الوطنية بمدد من شعرهم وإلهامهم، وإذا كان مما تعتمد إليه الأمم أن تغذي نفوس أبنائها بالأناشيد الوطنية، فأجدر بنا أن نشبع الشعر الوطني ونجعله في متناول المواطنين جميعًا، رجالا ونساء، شبانا، فكلنا في حاجة إلى أن نستذكر تلك القصائد الفر التي تملأ النفوس وطنية وإيمانًا، وتقرس فيها فضائل الصدق والإخلاص والشجاعة، والتفاني في أداء الواجب الوطني، فلعلها تدفعنا إلى السير ذاتنا إلى الأمام، غير متوانين ولا متنايذين، مستمسكين بالمثل العليا في حياتنا القومية.

إن حياة هؤلاء الشعراء وقصائدهم الوطنية - إلى جانب أنها عماد للأدب وتاريخه - هي قطعة من تاريخ الحركة الوطنية، وعنصر من عناصر بعثها وتطورها، ولا غرو فالشعر فرع من دوحة الأدب، والأدب الوطني له الأثر الذي لا ينكر في تكوين المواطن الصالح، والشعر بما

بطبع في نفس الشاعر من التحليق في سماء الخيال، والتطلع إلى الملل العليا، يهدد للنهضات الوطنية ويعبئها ويغذيها، إذ يحيب بالأمة أن تمسك بالحرية والكرامة، ويستحيا على النفور من الذل، وإباء الضيم، ويحبب إليها الثورة على الاستعمار والاستبداد، وسعراء الوطنية في مصر لهم في هذه الناحية فضل عظيم، فكم ناصروا الحركة الوطنية في مختلف عهودها، وغذوها بقصائدهم وروائع شعرهم، وسجلوا حوادثها الهامة، وأشادوا بمفاخر الشعب، وأهاياها به أن ينهض ويستعيد مجده القديم، وكم استصرخوا الإنسانية أن تهب لنصرته، وتنتصف له من المظالم التي حاقت به، وإن كثيراً من روائع الأدب التي جادت بها قرائح أولئك الشعراء كانت معالم للحركة الوطنية، وكان السبب يحفظها عن ظهر قلب، فتدلى في نفوسه روح الوطنية والإخلاص والإقدام والتضحية.

وكم من قصيدة أو بيت من الشعر قد حركت المشاعر في نفوس المواطنين واستحركها على الدوام، مها تقادمت عليها الأعوام، ألسنت ترى إلى نشيد المارسلين؟ كيف أنه رغم تقادم العهد على وضعه لا يزال يلهب شعور الفرنسيين ويتبرق في نفوسهم روح الجهاد والفداء، ويفدرون له قدسيته الفنية والوطنية.

ولعل في جمع عيون الشعر الوطني في كتاب واحد ما يبرز لنا فضل أولئك الشعراء في إمدادهم الروح الوطنية بفداء معنوي يتجدد على تعاقب العهود والعصور، ولعلنا بذلك نكون أكثر عرفاناً لفضلهم، وتقديراً لذكرياتهم، وما أجل وفاء الأمم للمجاهدين السابقين من بنهائهم، في مختلف الميادين، ولا غرو فالحركة الوطنية ليست وليدة الجيل الحاضر، ولا هي وفد عليه، بل هي بركة الجهود المتواصلة التي يتوارثها المواطنون جيلاً بعد جيل، وما أضعف الروح الوطنية إذا حدد مولدها بجيل واحد، لأنها بذلك تكون رخوة البناء، مقفرة المعالم، أما الوطنية الوطيدة الأساس، العالية الذرى، فهي التي تجمع بين مجد الماضي، وجهاد الحاضر، وأمل المستقبل.

إن في قينارة الشعر سلوى للقلب، وغذاء للروح، وإنها لتوحى إلى النفوس أسمى معاني الإنسانية، وما أجل هذه القيتارة حينها تغرد للناس ألحان الوطنية.

هذه المعاني والخواطر هي التي ألهمت إخراج هذا الكتاب، وكم يطيب لي أن أنسر فيه صفحات لشعراء تكاد أحداث الزمان تنسينا شعرهم، بل تنسينا أسماهم بعضهم، في حين أن فضلمهم لا يصح أن ينسى وآثارهم في بعث الوطنية لا تمحى، والأدب في حاجة إلى استذكار أسعاريهم، فإنها حماً عماد الأدب الرفيع وكيانه، وهذه الأسعار هي في ذاتها سبيل لنسر المفاقة الوطنيين أفراد السب في مختلف طبقاته.

من أين نبدأ

لقد ساءلت نفسي قبل أن أرسـم. خطوط الكتاب: من أين نبدأ تاريخ الشعر الوطنى؟ أنبدأه من يوم أن قرأنا قصائد سوفى وحافظ وسمعتها ووعيناها وكان لها صداها فى أحياء مساعرنا الوطنية؟ إننا إذ نحدد هذه البداية نكون قد اجتزأنا تاريخ الشعر الوطنى، وأغفلنا مرحلة سبقت سوفى وحافظ، وهذا ما لا يقره الحق والإنصاف ولا يرضاه شوفى وحافظ، على علو كعبها وبلوغها النروة بين شعراء الوطنية.

فلنبحث إذن عن بداية سابقة على سوفى وحافظ.

إننى عندما أرخت مصطفى كامل بحثت فى بداية الحركة الوطنية الحديثة، وتساءلت هل تبدأ هذه الحركة بظهور مصطفى كامل فيكون تاريخه تاريخاً لها، أم أن لها بداية سبقت ظهوره؟ وعلى أننى تلميذ لمصطفى كامل وكان تلميذى له هو من البواعث على إخراجى لتاريخه، كما نوهت إلى ذلك فى مقدمة كتابى عنه، فإنى قد وجدت من الإنصاف أن أبحت عن الأدوار التى تقدمت عصر مصطفى كامل، لأف عند حد يصح اعتباره مبدأ الحركة القومية الحديثة، وانتهى بى البحث إلى أن بدايتها - فى تاريخ مصر الحديث - ترجع إلى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، وأن أول دور من أدوارها هو عصر المقاومة الأهلية التى اعترضت الحملة الفرنسية فى مصر، ومن ثم تطورت الفكرة عندى من تاريخ مصطفى كامل إلى تاريخ للحركة القومية، وعلى هذا الأساس أخرجت سلسلة هذا التاريخ.

وأرانى فى تاريخ الشعر الوطنى أميل إلى سلوك مثل هذا المنهج، فرجعت فى بدايته إلى الماضى، ووجدت أن روح الوطنية - بمعناها الحديث - قد بدأت تدخل الشعر المصرى، وتنبعث فيه من حياتها وبهائنها، وتضفى عليه من جماله، وجلاله منذ أوائل القرن التاسع عشر، وأول رائد لهذه النهضة هو رفاة رافع الطهطاوى، فالى هذا العهد يجب أن ترجع ظهور الشعر الوطنى فى مصر، وهكذا يبدو التقارب بين ظهور الحركة الوطنية وظهور الشعر الوطنى فى تاريخنا الحديث.

فلنبداً إذن برفاة رافع الطهطاوى ولندرس تطور الشعر الوطنى من بعده إلى وقتنا الحاضر. ويطلب لى فى صد التنويه بشعراء الوطنية، أن أعتذر عما فاتنى من تاريخهم، وأعوزنى الحديث عنهم، فإنى أفصد من شاعر الوطنية من تغلب عليه النزعة الوطنية فى شعره، فإذا كان فاتنى أن أتحدث عن بعض الشعراء المتأخرين، فالأمر لا يعدو أن يكون رأياً تقديرية، وأن يكون شعرهم الوطنى قد بدا لى مغموراً فى بحر شعرهم الفياض، وهذا لا يغض بداية من

منزلتهم في عالم الشعر والأدب، وحسبى علرا إلى أن رأى التقديرى في تحف شعراء الوطنية كان نتيجة دراسات مستفيضة، عكفت عليها سنين عديدة، ولم أقصر على ما وعته ذاكراتى من الشعر الوطنى في مختلف المناسبات، ولا على دواوين الشعراء، بل ذهبت أستقصى الشعر الوطنى في مجاميع الصحف والمجلات، عاما بعد عام، قرابة نصف قرن من الزمان، بحيث اكتملت لدى مجموعة من أشعار الوطنية، بعضها لم ينشر من قبل في كتاب أو ديوان، ومع ذلك فلذا نيهى القارئ الكريم إلى شاعر فائق الحديث عنه، ضمن شعراء الوطنية، فاني على أتم الاستعداد لتدارك هذا النقص في الطبعة التالية من الكتاب، لأنى أود حقاً أن أستكمل أى نقص بدا منى في هذه الناحية، وليس أحب إلى نفسى من أن أسجل في كتابى كل قصيدة بل كل بيت من الشعر الوطنى.

والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة ما يعين على نشر الأدب الوطنى وإذاعته، وتعميمه بين المواطنين، والحمد لله أولاً وأخيراً.

١٩٥٤ سنة

عبد الرحمن الرافعى

رفاعة رافع الطهطاوى

١٨٠١ - ١٨٧٣



مصريٌ صميم، من أقصى انضجيد، أ نشأة عادية، من أبوين فقيرين، قرأ القرآن، وبنى العلوم الدينية كما يتلقاها عامة طلبة العلم في عصره، ودخل الأزهر كما دخله غيره، وصار من علمائه كما صار الكثيرون، ولكنه بذَّ الأقران، وتفرّد بالسبق عليهم، وتسامت شخصيته إلى عليا المراتب، ذلك أنه كان يعمل بين جنبيه نفساً عالية، وروحاً متوثية، وعزيمة ماضية، وذكاء حاداً، وشغفاً بالعلم، وإخلاصاً للوطن وبنه، تبيأت له أسباب الجِدِّ والنبوغ، فاستوفى علوم الأزهر في ذلك العصر، ثم صحب البعثة العلمية الأولى من بعثات محمد علي، وارتحل إلى معاهد

علم في باريس، واستروح نسيم الثقافة الأوروبية، فزادت معارفه، واتسعت مداركه، ونفذت بصيرته، لكنه احتفظ بشخصيته، واستمسك بدينه وقوميته، فأخذ من المدينة الغربية أحسنها، ورجع إلى وطنه كامل الثقافة، مهذب الفؤاد، ماضى العزيمة، صحيح العقيدة، سليم الوجدان، عاد وقد اعتزم خدمة مصر من طريق العلم والتعليم، فبرَّ بوعده، ووفى بعهده، واضطلع بالنهضة العلمية تأليفاً وترجمة، وتعلية وتربية، فعلاً البلاد بمؤلفاته ومعارفاته، وتفرج على يديه جيل من خيرة علماء مصر، وحل مصباح العلم والعرفان يضيء به أرجاء البلاد، وينير به البصائر والأذهان، وظل يحمله نبهاً وأربعين سنة، وانتهت إليه الزعامة العلمية والأدبية في عصر محمد علي، وامتدت زعامته إلى عهد اسماعيل، ذلك هو رفاعة رافع الطهطاوى^(١).

ولد في طهطا بمديرية جرجا سنة ١٨٠١ (١٢١٦هـ)، ويدت عليه مخايل الذكاء والنباهة منذ صباه، ودخل الأزهر سنة ١٨١٧، ولم يمض عليه به بضع سنوات حتى صار من طبقة العلماء، وتولى التدريس فيه سنتين، وصنف وألف ودرس وهو في الحادية والعشرين من سنه، ثم عين واعظاً وإماماً في أحد أليات الجيش المصري، ولما جاء عهد البعثات العلمية كان من حسن

(١) عن ترجمته في كتابنا تاريخ الحركة القومية الجزء الثالث - عصر محمد علي.

التوفيق أن اختاره محمد علي ضمن أعضاء البعثة الأولى التي سافرت إلى فرنسا سنة ١٨٢٦، فجمع إلى ثقافته الأزهرية ثقافة أوروبا وعلومها وآدابها، فاقبست منها الشيء الكثير، وازدهرت روحه الأدبية على ضوء الحضارة الغربية، ولما عاد إلى مصر سنة ١٨٣١ تولى عدة مناصب في التعليم، وأنشأ مدرسة الألسن سنة ١٨٣٦ التي كانت أنشبه ما تكون بكلية الآداب والمقوق في مصر، وكان رفاة يتولى نظارتها ويلقى فيها دروسه على الطلبة، فكانت أكبر معهد لنشر الثقافة في مصر، وتنقل في المناصب العلمية، وكان لإيفتأ يؤلف ويخرج من حين لآخر مصنفاته ومعارفه في العلوم والآداب إلى أن أدركته الوفاة سنة ١٨٧٣^(٢).

وهو أول رائد ل نهضة العلم والأدب في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كان شاعراً رقيقاً بالمقياس إلى عصره، أشربت نفسه الوطنية منذ نعومة أظفاره، تلقاها من إيمانه الصادق (وحب الوطن من الإيمان)، ومن فطرته السليمة، وخلوص نيته، وقد استنار رحيله عن مصر إلى فرنسا. عاطفته الوطنية العميقة المتأصلة في نفسه الحساسة، فجادت قريحته وهو في باريس يقصيدة عبر فيها عن الحنين إلى الوطن وأهله، والإشادة بمفاخره، قال في مطلعها:

ناح الحمايم على غصون البان فأباح شيمه مغرم ولهان

وانتقل إلى التقي بمصر وذكر محاسنها وقال:

هذا لعمري إن فيها سادة قد زُينوا بالحسن والإحسان
يا أيها الخنافي عليك فخارها فإليك أن الشاهد الحسنان
ولئن حلفت بأن مصر لجنّة وقطوفها للفنائين دوان
والنيل كوثرها الشهي شرايه لأيسر كل البر في أيمان

وله قصائد ومنظومات وطنية قالها في مناسبات مختلفة.

فانظر إلى القصيدة الآتية نحتها تعبر عما يعيش في نفسه من أكرم العواطف وأنبهها، وقد قدمها هو بقوله «وقلت أيضاً وطنية»، فالروح الوطنية تتمشى حتى في تقديمه لقصائده، قال:

يا صاح حب الوطن جلية كل قطن

حُبُّ الأوطان من شُعَب الإيمان.

(٢) راجع ترجمته تفصيلاً في كتابها الحركة القومية الجزء الثالث - عصر محمد علي

في أفخر الأديان آية كل مؤمن

مساقط الترووس تلذ للنفوس
تنهب كل بوس عنا وكل حزن

ومصر أبهى مولد لنا وأزهى محدد
ومريع ومعهد للروح أو للبدن

شدت بها العزائم نيطت بها التمام
لطيننا تلام في السر أو في العلن

مصر لها أياد عليا على البلاد
وفخرها ينادي ما المجد إلا ديدن

الكون من مصر اقتبس نوراً وما عنه احتبس
فخر قديم يؤنر عن سادة ويُنسر
زهور مجد تنر منها العقول تجنى

دار نعيم زاهية ومعدن الرفاهية
أمرة وناهية قلماً لكل المدن
فوة مصر القاهرة على سواها ظاهرة
وبالعمار زاهره خُصت بذكر حسن

أبناؤها رجال لم يستهم محال

وَجُنَّتْهُمْ صَنَدِيدٌ وَقَلْبُهُ حَدِيدٌ
وَحَصْمَهُ طَرِيدٌ بَلْ مُلَوِّجٌ فِي كَفِنٍ

وقال من قصيدة أخرى يدعو إلى افتداء الوطن بالنفس والمال:

وعزیز الوطن نخدعه برضا في النفس تحكمه
سألُ المصري كذا دمه مهلول في شرف الوطن
تفديه العين بناظرها والنفس بخير ذخائرنا
تهدى في نيل نظائرنا بشرنا العليا أعلى ثمن

وقال يصف الجيش المصرى ويشيد بفخاره:

تُسَظَّمُ جُنْدُنَا نَظْمًا عَجِيبًا يُعْجِزُ الْقَهْمَا
بِأَسَدٍ تُرْعِبُ الْحَصَا فَمَنْ يَقْوَى يَنَاضِلُنَا ؟

رجالٌ مالمنا عدوً كمال نظامها العدو
حُلَاها الدرع والزرْدُ ستان الرمح عاملنا

وهل لحيولنا شبهةٌ كرائم ما بها شبهةٌ
إليها الكل متبسةٌ وهل تخفى أصائلنا ؟

لنا في الجيش فرسان لهم عند اللقاء شان
وفي الهجاء عنوان تهيم به صواهلنا
فها الميدان (والشقرا) سَقَتْ أذن العدا وقرا
كأننا نرسل الصقرا فمن يبقى يرسلنا

مَدَاقِنُ الْقَضَا فِيهَا وَحُكْمُ الْحَقِّ فِي قِيهَا
وَأَهْوَتْهَا وَجَافِيهَا تَجَوَّدُ بِهِ مَعَانِلُنَا

لنا في المدن تحصين وتنظيم وتحسين
وتأييد وتمكين منيعات معاقنا

وهذه الأبيات لمن خير ما قيل في وصف الجيش المصري، ولا شك أن رفاة قد استلهم شعره من مفاخر الجيش في عهده، فهو يصور العصر الذي عاش فيه تصويراً صحيحاً، لا مبالغة فيه ولا إغراق، وإن قصيدته لتتشبه أن تكون لوحة فنية يجيل لمن ينظر إليها أنه يلمح فيها كتائب الجيش المصري تسير إلى ميادين الحرب، تحف بها أعلام النصر والظفر، تخوض غمار القتال، بقلوب ملؤها الشجاعة والإقدام، وتحياه الأخطار قوية الإيمان، ثابتة الجنان، مجهزة بالسلاح والمدافع «تجود به معاملنا» ولو لم يشهد رفاة مفاخر الجيش المصري في ذلك العصر، لما جادت قريحته بهذا الشعر، وهكذا يتأثر الشاعر والأديب بالعصر الذي يعيش فيه، والبيئة التي تحيط به، ويصور الحياة على عهده فكأنما هو قطعة من عصره، أو امرأة تنطبع فيها مشاهد الحياة السياسية والاجتماعية، ومظاهر الحالة الفكرية والأخلاقية.

وإنك لتلمح أيضاً عظمة الجيش المصري من قول رفاة في قصيدة أخرى يخاطب فيها الجنود:

يا أيها الجنود والسفاد الأسود
إن أسكم حسود يعود هاهي المنع
فكم لكم حروب بنصركم تؤوب
لم تتيكم خطوب ولا اقتحام مقعس



وكم شهدتم من غي وكم هزمت من غي
فمن تصدى وطني على حماكم يصرع

وتجلى روحه الوطنية المتطلعة إلى الحرية في تعريه نشيد الحرية (الارسلين)، فإن النفس لا تقبل إلا إلى ما هو محبب إليها، فهذا النشيد قد استثار ولا شك إعجاب رفاة رافع، حتى مالت نفسه إلى تعريه، وإظهار ما احتواه من العواطف الوطنية الفدائية في حلة عربية قشبية. وإذا تأملت في شعر رفاة رافع الذي نقلنا طرفاً منه وجدت فيه تقدماً نسبياً إذا قارنته بأسلوب شعراء المدرسة القديمة التي سبقتهم كالشبراوى والطار والحشاش وغيرهم، ويعد شعره دور الانتقال إلى دولة الشعر الحديثة التي حمل لواءها البارودي، وإسماعيل صبري، وشوقي، وحافظ.

حفاً إننا إذا وضعناه إلى جانب شعر شوقي منلا، لجاء في المرتبة الثالثة، أو الرابعة، ولكن يجب ألا ننسى أن رفاعة رافع نسا في عصر كانت اللغة العربية وآدابها في دور تأخرها واضمحلالها، فله على نهضة الشعر والأدب فضل لا ينكر.



عبد الله نديم

١٨٤٥ - ١٨٩٦



ظل الشعر في مصر بعد وفاة رفاعة رافع الطهطاوى
خلوًا من المعاني الوطنية، إلى أن نجدت في شعر عبد الله
نديم.

هو خطيب السورة الرايية، وهو أيضًا شاعرها،
انطعت في خطبه وقصائده روح الوطنية المتدفقة، وروح
النورة.

ولد سنة ١٨٤٥ بالإسكندرية، وبدت عليه منذ صباه
مخايل الذكاء اللامع، وظهرت مواهبه في الترسل في
الكتابة والشعر والزجل، والقدرة الخطابية، مع خفة في
الروح، وميل إلى الفكاهة، وجرأة وإقدام، واستخفاف
بأحداث الزمان.

ولما ظهرت النورة الرايية أوائل ١٨٨١، انضم إليها بطبعه، إذ كانت نفسه تتأجج وطنية،
وتتطلع إلى الحرية والمجد، وتجلت مواهبه الخطابية، فصار خطيب النورة الرايية.

وبما يذكر عنه في صدد الحديث عن شعره الوطنى أنه لما سافر الألاى السودانى الذ كان
يقوده الأميرالاي عبد العال حلمى أحد زعماء النورة من القاهرة إلى دمياط، في أوائل أكتوبر
سنة ١٨٨١. كان سفره يومًا مشهودًا، فاحتشدت الجموع في محطة العاصمة لتحية الألاى حين
سفره. وكان من بين المودعين عرباى والبارودى وعبد الله نديم، فوقف النديم وسط هذا الجمع
الحاسد وألقى خطبة حماسية فياضة، بدأها بقوله مخاطبًا رجال الجيش:

«حماة البلاد وفرسانها»

«من فرأ النوارين وعلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل عرف مقدار ما وصلتم
إليه من الشرف وما كتب لكم في صفحات التاريخ من المحسنات.

إلى أن قال: وهذا وطنكم العزيز أصبح يتأديكم ويناجيكم ويقول:

إلَيْكُمْ يُرَدُّ الأَمْرُ وَهُوَ عَظِيمٌ
 إِذَا لَمْ تَكُونُوا لِلخُطُوبِ وَلِلرَّدَى
 وَإِنْ التَّقَى إِنْ لَمْ يَنْزِلْ زَمَانُهُ
 فَرُدُّوا عَنَّا الْخِيفَ نَحْنُ نَحْمِي
 وَشَدُوا لَهُ الْأَطْرَافَ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
 إِذَا لَمْ تَكُنْ سَيْفًا فَكُنْ أَرْضَ وَطَاءَةً
 فَلَيْقَ بِكُمْ طُولُ الزَّمَانِ رَحِيمٌ
 فَمَنْ أَيْنَ يَأْتِي لِلدِّيارِ نَحِيمٌ؟
 تَأْخُرُ عَنْهُ صَاحِبُ وَحِيمٍ
 تَقْلِبُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ نَسِيمٌ
 فَمَشْدُودُ أَطْرَافِ الْجِهَاتِ قَوْمٍ
 فَلَيْسَ لِلْعُلُولِ الْيَدَيْنِ حَرِيمٍ

وختم خطبته بقوله: وأحسن ما يؤرخ به اسم الجهادية عند التوازل أن يقال (مات شهيد الأوطان!)، فنادى الجميع (رضينا بالموت في حفظ الأوطان!).

ولما شبت الحرب الرابية لازم التديم عرابي كفر الدوار ثم في التل الكبير، وكانت مجلته (الطائف)، تصدر في معسكر الجيش المصري.

وبعد أن وقعت الهزيمة، ظل مخلصاً للثورة في محنتها، قهرن على وقاء نادر ووطنية أصيلة عميقة، وكان ممن أمرت الحكومة باعتقالهم، وعجزت عن التصرف إلى مقره والقبض عليه، وظل مخفياً عن عيونها وجواسيسها نحو تسعة أعوام، وأعياء الحكومة أمره، وجعلت ألف جنيه لمن يرشد عنه، ولكنها لم تهتد إليه.

وقد وصف ما لقيه من الشدائد أثناء اختفائه في قصيدة تفيض وطنية وإيماناً وفخراً وشجاعة، وهي من غرر قصائده. قال:

أَتَحْسِنُ إِذَا قُلْنَا بِلَيْنَا بَلَيْنَا أَوْ يَرُومُ الْقَلْبَ لَيْنَا
 نَعَمْ لِلْمَجْدِ تَقْتَحِمُ الدَّوَاهِي فَيَحْسِبُ خَامِلًا أَنَا دُهَيْنَا
 تَنَاقَشْنَا فَتَقَهَّرْنَا خُطُوبٌ تَرَى لَيْثَ الرِّمَيْنِ لَهَا قَرِينَا
 سِوَاهُ حَرِيهَا وَالسَّلَامُ إِنَّا أَنَسَاسٌ قَبْلَ هَدَيْتِهَا هَدِينَا

إلى أن قال:

إِذَا مَا الدَّهْرُ صَافَانَا مَرَضَنَا فَإِنْ عَدْنَا إِلَى خُطْبِ شَفِينَا
 لَنَا جِلْدٌ عَلَى جِلْدٍ يَقِينَا فَإِنْ زَادَ الْبَلَاءُ زَدْنَا يَقِينَا
 أَلْفَنَّا كُلَّ مَكْرُوهِ تَقْدَى لَهُ قِرْسَانُهُ بِالرَّاجِلِينَا
 فَأَعْيَا الْخُطْبُ مَا يَلْقَاهُ مِنَّا وَلَكِنَّا صَاحِبُ مَا عَيْنِنَا

سليتنا يا خطوط فقد عرفنا
وقرى فوق عاتقنا وقول:
علينا للملادين وضعنا
فهل يمسى رهين في سرور
إذا ما المجد نادانا أجهنا
يفغينا قيلهينا التفتى
ولسنا الساخطين إذا رزنا
فإننا في عداد الناس قوم
إذا طاش الزمان بنا حلمنا

إلى أن قال:

سلا عنا (منابرنا) فلنا
لحكمتنا تقول إذا هذرت
سرى فينا من الأيما سر
فلن عشنا منحنا سائلنا

وقال يصف إحاطة الجند بالنزل الذي كان فيه يريدون اعتقاله فنجاه الله من شرهم:

أنسى يوم مصر والبالا
فكنت^(١) الغوث في يوم كربه
مدحتنا فيه في إشراق شمس
وهل أنسى هجوم الجند عمراً
أحاطوا بي وسدوا كل باب
وكان السطح مملوءاً بجند
فأدرت الوحيد وكان صيداً
وأرشدت التديم إلى مكان
وأعمى الله عنا كل عين
وصرنا فوق سطح فيه علو

تطارق ولا ألقى معيننا
أخاف الشهم والحبر السميننا
فلما جاء مغربه هُجينا
بلا علم وقد كنا فجيننا
وصرنا بين أيدي الباحثنا
وغلف البيت كم وضعوا كميننا
قريباً من فخاخ الطاليننا
رأه بعد حيرته مكيننا
وكنا للمساكر ناظريننا
يحطم هاوياً منه متيننا

(١) للقلب هنا وفي الآيات التالية موجهة إلى الرسول ﷺ، والتلهم شريف التسب.

فلم أرهب وتوبى من طمار
ويوم النيط كت لنا يحيرا
فقد كنا بلا ستر يرانا
وكم سرنا بلا خوف جهارا
وإني الآن في خطب عظيم
أتانا مخبر عن قوم سوء
وخاف الضر أحببى جميعا
فمجل بالرحيل بلا توان
فأدرك يا أبى نجلا دهاء
فما خفت المنون ولا الأعادى



فسرت الليل يصحبى ثبات
ورافقى خليل كان قبلا
وأدركنا القطار بغير خوف
وألقي الله ستر الحفظ فضلا
وكان الحبل منتظرا قدومى
ونجى الله بعد اليأس عبدا
لحبل تحو منزله دعينا
يوافى حين كنا ظاهرينا
وكنا بالثياب منكرينا
فلم ترنا عيون الملسينا
بخيل أوصلتنا سالمينا
يرى الرحمن غير المنقذينا

وإنك لترى هذا الشعر أقوى في الروح والأسلوب من شعره في إبان الثورة. وهكذا يبدو أن الهزيمة لم تزل منه، بل زادت قوة وحيوية، وصلاية وبلاغة، وأن التذائد صقلت مواهبه كما تصقل المعادن ونجلى جواهرها في لب النار، فاحتفظ النديم في سنى المحنة بما حياه الله من إيمان صادق، وعزم ثابت، وصمود على الأيام، وكذلك التذائد والمحن، يختلف أنرها في نفوس الناس، فبينما تبعث اليأس والجزع في النفوس الضعيفة، نراها على العكس تزيد النفوس الكبيرة ثباتا وصبرا، وشجاعة وإيماناً، ومن هنا جاء شعر النديم بعد هزيمة الثورة أقوى منه في أوج انتصارها.

وفي الحق أن النديم هو الزعيم الوحيد بين الزعماء العراقيين الذى استمر في جهاده ضد الانجليز ونضاله عن مصر في عهد الاحتلال، وتلك لعمري ميزة كبرى جديرة بأن تحيط اسمه بهالة من المجد والخلود، وقد اهتمت الحكومة إلى مكانه سنة ١٨٩١ وقررت نفيه إلى خارج

القطر، وفي أوائل عهد الخديو عباس الثاني غفى عنه ورخص له بالعودة إلى مصر، فعاد إليها، وأنشأ مجلة (الأستاذ) سنة ١٨٩٢ فتجلت فيها روحه الوطنية التي لم تطفأها الهزيمة ولم تتل منها التذاتد، مما أحفظ عليه الإنجليز وصنائعهم، فتدخل اللورد كرومر، وأمر بإبعاده عن مصر ثانية، فاضطر إلى تعطيل صحيفته سنة ١٨٩٣، وودع قراه وداعاً مؤثراً في آخر عدد صدر منها (في ١٣ يوتيه سنة ١٨٩٣) قال:

«ما خلقت الرجال إلا لمصايرة الأحوال ومصادمة النوائب، والعاقل يتلذذ بما يراه في فصول تاريخه من العظمة والجلال، وإن كان المبدأ صعبة وكذرا في أعين الواقفين عند الظواهر، وعلى هذا فإني أودع إخواني قائلاً:

أودعكم واه يعلم أنسى أحب لقاكم والخلود إليكم
وما عن قل كان الرحيل وإنما قواع تبتت فالسلام عليكم!

وانتهى به المطاف في منفاه إلى الأستاذة حيث توفي سنة ١٨٩٦، وشيعت جنازته في احتفال مهيب مشى فيه كثير من العلماء والكبراء، يتقدمهم السيد جمال الدين الأفغاني، ودفن هناك.

بالأمس كان غريباً في ديارهم واليوم صار غريب اللحد والكفن!



محمود سامي البارودي

١٨٤٠ - ١٩٠٤



محمود سامي البارودي هو إمام الشعراء المحدثين قاطبة، وبأكورة الأعلام في دولة الشعر الحديث، وأول من نهض به وجارى في نظمه فحول الشعراء المتقدمين، فبعت النهضة الشعرية من مرقعها بعد طول التعمود.

ولد سنة ١٨٤٠، وهو ابن حسن بك حسني من ضباط المدفعية في الجيش المصري، وحفيد عبد الله الجركسي أحد الكشاف في عهد محمد علي، وسمى البارودي نسبة إلى إيتاي البارود التي كان أحد أجداده الأمير مراد البارودي ملتزماً لها في عهد الالتزام.

وقد تلقى العلم أول ما تلقاه على أيدي أساتذته

خصوصيين في سراي والده بقطيعة العدة (القرية من باب الخلق) والمعروفة بسراي البارودي. ولما بلغ الثانية عشرة من عمره انتظم في المدرسة الحربية، وتخرج منها سنة ١٨٥٥، والتحق بخدمة الجيش المصري، وأخذ يترقى حتى بلغ رتبة أميرالاي، وخاض غمار الحروب في ثورة كريد سنة ١٨٦٦، إذ كان ضابطاً في الجيش الذي أنقذته مصر لإخماد تلك الثورة وانتصر على الثوار في مواقع عدة.

ولما شبت الحرب بين تركيا والروسيا سنة ١٨٧٧ أنقذت مصر جيشاً لنجدة تركيا كان البارودي من ضباطه، وأبلى في الحرب بلاء حسناً، وصقلت المارك مواهبه الشعرية، ولما عاد إلى مصر رقى إلى رتبة اللواء، وعين مديراً للشرقية، وكان محافظاً للعاصمة حين ألف شريف باشا وزارته الثانية سنة ١٨٧٩ في أوائل عهد الخديوي توفيق، فاختاره فيها وزيراً للمعارف والأوقاف، واشترك في حوادث الثورة العرابية، وكان من زعمائها المشار إليهم بالبنان، وتولى رئاسة وزارة الثورة سنة ١٨٨٢، ثم كانت الهزيمة، وتقي مع زملائه إلى جزيرة سيلان (سرنديب) وظل في منفاه ثيقاً وسبعة عشر عاماً، وأسيخ عليه النفى سمات التضحية والبطولة^(١).

(١) راجع ترجمته تفصيلاً في كتابنا (الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي).

الحنين إلى الوطن

كانت حياة زعماء الثورة العراقية في متفاهم حياة ألم وحزن، إذ انقطعت صلتهم بالناس، وطال اغترابهم عن أرض الوطن، وبعدت الشقة بينهم وبين أهلهم ومواطنيهم، ولم يكثر لهم أحد، ولم يعطف عليهم أحد (والناس مع الغالب!)، وجادت قريحة البارودي يشعر مؤثر في الحنين إلى الوطن، والحزن على فراقه، مما يجد آية في البلاغة، وبلغت سليقته الشعرية في متفاه ذروة العظمة والجلال.

قال يصف الرحيل عن أرض الوطن:

مَحَا الْبَيْنَ مَا أَبْقَتْ عَيُونُ الْمَهَا مَنَى
فَشَيْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ سَنَى
عَفَاءً وَيَأْسَ وَاشْتِيَاقًا وَغَرْبَةً
أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبَى

إلى أن قال:

ولما وقفنا للوداع وأسبَلَتْ
أَهْبَتْ بِصَبْرِي أَنْ يَصُودَ فَيَرْقُبُنِي
وما هي إلا خطوة ثم أقبلت
فكم مهجة من زفرة الشوق في لظي
وما كنت جربت النوى قبل هذه
ولكني راجعت حلمي وَرَدَفَنِي
ولولا بنيات وشيب عواطل
مدامتنا فوق التراتب كالمرزن
وتناديت حلمي أن يشوب فلم يشن
بنا عن خطوط الحنى أجنحة السفن
وكم مقلة من غرزة اللمع في دجن
فلما دهق كدبت أقضى من المرزن
إلى المرزن رأى لا يحوم على أفن
لما قرعت نفسي على فائت سنى

الصبر على الشدائد

وتجلت في متفاه صفاته العالية من الشم، وعلو النفس واحتمل آلام التقى بشجاعة وإباء، وصبر وإيمان، وله في ذلك شعر يفيض بهذه المعاني السامية.

قال وهو في سرنديب (سيلان):

لم أَقْتَرِفْ زَلَّةً تَقْضِي عَلَىَّ بِمَا
فَهَلْ دَفَاعِي عَنْ دِينِي وَعَنْ وَطَنِي
فَإِنْ نِيَّ صَابِرٌ فِي أَقَّةٍ مُحْتَسِبٍ
أَصْبَحْتُ فِيهِ فَمَاذَا الْوَيْلَ وَالْمَرْبَ؟
ذَنْبُ أَدَانٍ بِهِ ظَلَمْتُ وَأَعْتَرَبُ؟

أيدي، الحوادث متى فهو مكتسب
ولا يتوعد بذكر الحامل النشب^(١)

أنريت مجدا فلم أعبأ بما سلبت
لا يخفئ اليأس نفساً وهي عالية
وقال متبراً إلى مصادرة أملاكه:

خُذْ لي بحقي من يدي ما طل
من كسبي الحر بلا ناطل^(٢)
نى روثق كالصارم القاطل^(٣)
ففضل ربي حليمة العاطل!

ياناصر الحق على الباطل
أخرجني عما حوته يدي
من غير ما ذنب سوى منطق
فإن أكن جُردت من ثروقي

وقال من قصيدة أخرى في مقاومة الظلم والصمود أمام المحن والمخاطوب:

عليه فلا بأسف إذا ضاع مجده
أضر عليه من حمام يؤده
يسوء ويثقل في المحافل حمده
أيفرح في الدنيا بيوم يعلده؟
بها بطلا يحمي الحقبنة شلده

إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سَطَّتْ
ومن ذل خوف الموت كانت حياته
وأقتل داه رزية العين ظالما
علام يعيش المرء في الدهر خاملا
غفاه على الدنيا إذا المرء لم يش

وقال في هذا المعنى:

ب) وفيضي آبار (تكرور) تيرا
وإذا مت لست أعدم قبراً
نفس حر ترى المذلة كفرأ

أطرى لؤلؤاً جبال (سرندي
أنا إن عشت لست أعدم قوتاً
هتقى همة الملوك ونفسي

ومن قوله في الحنين إلى الوطن والصبر على الشدائد:

ويا هبات الأيك تُوحى مى
مُرى برؤياك على مربى
بإله غنى طرباً واسجى
بأنه اللمع فلا تهجى

فيا دموع القطر سيل ثما
وأنت يأنسمة (وادي) النضا
وأنت يا عصفورة المنحنى
وأنت ياعين إذا لم تقى

(١) التشبه للآل والعقار.

(٢) الناطل: الشيء القليل.

(٣) القاطل: القاطع.

أبين أروعى النعم في سدفة ضلّ بها الصبح قلم يطلع

فهل إلى الأنشوى من غاية أم هل إلى الأوطان من مرجع؟
لا تأس يا قلب على ما مضى لا بد للمحنة من مقطع

يتمنى أن يرى مصر

وقال في منفاه يتمنى أن يرى مصر:

يا حبذا جرعة من ماء محنية وضجة فوق يرد الرمل بالقاع^(١)
ونسمة كسيم الخلد قد حملت رؤيا الأزاهر من يمين وأجراع^(٢)
ياهل أرائى بهذاك الحى مجتمعاً بأهل ودى من قومي وأشاعى؟

وقال في هذا المعنى:

أبيت حزناً في (سرنديب) ساهراً طوال الليالى والخليلون هُجْدُ
إذا خطرت من نحو (حلوان) نسمة نَزَتْ بين قلبي شطة تنوفد
تسباب وإخوان رزئت وداهم وكل امرئ في الدهر يشقى ويسعد!

ومن قصيدة له في هذا المعنى قالها في منفاه يتشوق إلى الوطن:

هل من طبيبٍ لدهاء الحب أوراقى يشفى عليلاً أخا حزن وإيراق^(٣)
قد كان أبهى الهوى من مهجنى رمقاً حتى جرى اللبن فاستولى على الباقي
وفيها يقول:

باروضة النيل لأمسّنيك بانقة ولا عدتك سماء ذات إغداق^(٤)
ولا برحت من الأوراق في خللٍ من سندس عبقريّ الوشى برأى
يا حبذا نسَم من جوها عبقى يسرى على جدول بالماء دُفان
مرعى جىادى ومأوى جبرق وجى قومي ومنبست أدابى وأعراقى

(١) المحتب. ما انتهى من الأرض

(٢) المبد. جمع مبداء الأرض اللينة

(٣) الراعى. اسم فاعل من رقا. يرفيه أى عوده فهو راق.

(٤) الباتة الدامية والبالية ولا عدتك أى لا مجاورتك

أصبوا إليها على بُعدٍ ويمحيق
وكيف أنسى دياراً قد تركتُها
أنى أعيش بها فى ثوب إملاق
أهلاً كراماً لهم ودى وإشفاقى

* * *

فيا بريد الصبا^(١) بلغ ذوى رعى
وأنت يا طائراً يركى على فنن
أذكرتى ما مضى والشمل يجتمع
وقال أيضاً فى منقاه:

ردوا على الصبا من عصرى الحال
ماض من المشى مالات تحايله
وهل يعود سواد اللمة المبالى؟
أقبح الظلم صد بعد إقبال

* * *

لا عيب فى سوى حرية ملكت
قلبى سليم ونفسى حرة ودى
أعنى عن قبول النذل بالمال
بلوت دهرى فما أحدث سيرته
مأمونة ولسانى غير ختال
حلت شطريه من يسر ومصرة
فى ابقى من لياليه ولا تالى
إلا صحابة حر صادق الحال
وذاقت طعميه من خصب وإحمال
والصدق فى الدهر أعياء كل محال
لم يبق لى أرب فى الدهر أطلبه
فضل الحديث ولاخل فيرعى لى
وأين أدرك ما أبغىه من وطر؟
مثل القطامي فوق المربأ العالى
لا فى (سرنديب) لى إلف أجانبه
فى النهن يرسها نقاش أمالى
أبيت منفرداً فى رأس شاهقة
إذا تلفتُ لم أبصر سوى صور

* * *

علام أجزع والأيام تشهد لى
راجعت فهرس أنارى فما لمحت
بصدق ما كان من وسمى وإغفال
فكيف ينكر قومي فضل يادرق
بصيرى فيه ما يزرى بأعمالى
وقد سرت جكمى فيهم وأنشال

(١) الصبا بالفتح، ربح مروة.

وإن غدوت كريم العمم والخال
تلوح في وجنة الأيام كالخال
ويستدنى بسننها كل قوال
في صفحته فقول خط تمثال
بين الأنام فليس التبع كالفضال
مركب من عظام ذات أوصال

قميلا إلى (المقيلس) إن خفتنا فقدى
شفائي من سقى ويرئى من وجلى

أين من (مصر) من أقام (بكندى)^(١)
رونق السيف واهتزاز الفرند
كالهذاري يسحب وشى الفرند
هى أهى من كل عقد ويند
وهى تسقى به سلاقة قند
قدح الشوق في الفؤاد بزند

الحنين إلى الأهل والولد

وقال في منفاه وقد رأى في المنام ابنته الوسطى:

وما الطيف إلا مأثر به الخواطر
بأوراقه والتجوم بالألق حائر
محيط من البحر الجنوبي زاخر
سوى نزوات الشوق حادٍ وزاجر
أقام ولو طالت على الدياجر

أنا ابن قولى وحسى في الفخار به
ولى من الشعر آيات مفصلة
ينسى لها الفاقد المحزون لوعته
فانظر لقولى تجدد نفس مصورة
ولا تغرنك في الدنيا مشاكلة
إن ابن آدم لولا عقله شبح

ومن قصيدة له يتشوق إلى مصر:

خليلى هذا الشوق لاشك قاتلى
ففى ذلك (الوادى) الذى أتت الهوى

وقال في هذا المعنى:

طال شوقى إلى الديار ولكن
حيذا (النيل) حين يجرى فيبلى
تتشنى الغصون في حافته
قلبتها يد الغمام عقودا
كيف لا تهتف الحمام عليه
كلما صورته نفسى لعمى

(١) كندى مدينة صغيرة في جزيرة سيلان (سريلانكا).

(٢) تأويله أى أتى ليلا.

(٣) السدقة السقر.

تَحْمِلُ أَهْوَالَ الظَّالِمِ مَخَاطِرًا
«خَاسِيَةً»^(١) لَمْ تَدْرِ مَا اللَّيْلُ وَالسَّيْرُ
فِيَا بُعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَجْبِقِ
وَلَوْلَا أَمَانِي النَّفْسِ وَهِيَ حِمَاتِهَا
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقَنَ بَيْنَنَا

إِلَى أَنْ قَالَ:

فَلَا يَشْمِتُ الْأَعْدَاءُ بِي فَلَرَبِّمَا
فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ
وَلِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ تَحِيًّا بِهِ الْمُتَى
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْكُنْ إِلَى اللَّهِ فِي الَّذِي
وَأَنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ
وَمَنْ لَمْ يَمْلِكْ حُلُوَ الزَّمَانِ وَمُزَّهُ
عَلَى طِلَابِ الْجَزْءِ مَنْ مَسْتَقَرَّهُ

إِلَى أَنْ قَالَ:

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَصْبَحْتُ قُلٌّ^(٢) رَزِيَّةٌ
فَكَمْ يَطْلُرُ قُلُّ الزَّمَانِ قَبَائِتُهُ
فَسَوْفَ يَبِينُ الْحَقُّ يَوْمًا لِنَاطِرِ
وَمَا هِيَ إِلَّا غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي
فَقَدْ حَاطَنِي فِي ظِلْمَةِ الْمَيْسِ يَمْدَمَا



فَهَلَّا بَنَى الدُّنْيَا عَلَيْنَا فَاِنُنَا
تَطُولُ بِهَا الْأَنْفَاسُ يَهْرًا^(٤) وَتَلْتَوِي

وَعَهْدِي بَيْنَ جَانَتِ بِهِ لَا تَخَاطِرُ
وَلَمْ تَحْصِرْ عَنْ صَفْحَتَيْهَا السَّنَائِرُ
وَيَا قَرِيبَ مَا التَقْتُ عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ
لَا طَارَ لِي فَوْقَ الْبَسِيطَةِ طَائِرُ
فَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا إِلَى اللَّهِ صَائِرُ

وَصَلْتُ لِمَا أَرْجُوهُ بِمَا أَحْتَازُ
وَتَنَهَضُ بِالْمَرْءِ الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
وَيُشْرِقُ وَجْهَ الظَّنِّ وَالْمُخْطَبُ كَاشِرُ
يَحَافِزُهُ مِنْ دَهْرِهِ فَهُوَ خَاسِرُ
فَلَيْسَ لَهُ فِي مَمَرِّهِ الْحَقُّ نَاصِرُ
فَمَا هُوَ إِلَّا طَائِشُ اللَّبِّ نَافِرُ
وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ عَارَضَتْنِي الْمَقَادِرُ

تَقَاسَمَهَا فِي الْأَهْلِ بِإِدِّ وَحَاضِرُ
وَكَمْ سَيِّدُ دَارَتٍ عَلَيْهِ الدُّوَائِرُ
وَتَنْزَوُ^(٣) بِمُورَاءِ الْحَقُودِ السَّرَائِرُ
غَيَابَتُهَا وَاللَّهُ مِنْ شَاءٍ نَاصِرُ
تَرَامَتْ بِأَقْلَازِ الْقُلُوبِ الْخَنَاجِرُ

إِلَى غَايَةِ تَنْفُتٍ فِيهَا الْمَرَائِرُ
عَلَى فَلَكَ السَّاقِبِينَ فِيهَا الْمَآزِرُ

(١) أَيِ بَيْتٍ خَسِ سَوَاعِدِهِ.

(٢) قُلٌّ: أَيِ مَذِينٍ.

(٣) تَنْزَوُ: تَطْلُعُ يُقَالُ: تَزَا بِهِ قَلْبُهُ طَلَعَ.

(٤) يَهْرًا بِالضَّمِّ تَطَايُ الْأَنْفَاسُ مِنَ الْإِعْيَادِ فِي اللَّسَانِ.

هنالك يعلمو الحق والحق واضح
وعما قليل ينتهى الأمر كله
ويسفل كعب الزور عانر
فما أول إلا ويتلوه آخر

يشيد بعظمة الأهرام

قال يصف (الأهرام) ويشيد بعظمتها:
سل (الجيزة) الفيحاء عن (هرمى) مصر
بناءً أن رداً صولة الدهر عنها
أقاماً على رغم الخطوب ليشهدا
فكم أمم في الدهر بادت وأعصر
تلوح لآثار العقول عليها
رموز لو استطلعت مكنون سرها
فما من بناء كان أو هو كائن

وختمها بقوله:

فيما نسمات الفجر أدى تحيق
وبالمعات البرق إن جزت بالحمى
عليها سلام من فؤاد متميم
ولا برحت في الدهر وهى خوالد

إلى ذلك البرج المطل على النهر
فصوبى عليها بالنتار من القطر
بها لا يربات القلائد والشفر^(١)
خلود الدراى والأوابد من شمعى

شعر القتال

ومن قصيدة له فى إحدى المعارك التى خاضها، ويبدو منها مبلغ شجاعته وصبره على أهوال القتال.

ولما تداعى القسول واشتبك القنا
وؤن للناس الفرار من الردى
ودارت بنا الأرض الفضاء كأننا
صبرت لها حتى تجلت سماؤها

ودارت كما تهوى على قطبها الحرب
وماجت صدور الخيل والنهب الضرب
سقيناً بكأس لا يفيق لها شرب
وإلى صبور إن ألم بى الخطب

(١) العذر: منار الزلوق.

الفساد في عهد إسماعيل

وقال من قصيدة يصف سوء الحكم وظلم الحكام في عهد إسماعيل، وينصح قومه بالمطالبة بحقوقهم والمبادرة بإصلاح شؤونهم قبل أن تسوء العقى، وهى من شعره السياسى الوطنى الراجع:

قامت به من رجال السوء طائفة أدهى على النفس من يؤس على ثكل
من كل وغد يكاد الدست يدفعه بخضاً ويلفظه الديوان من ملل
ذلت بهم مصر بعد المز واضطربت قواعده الملك حتى ظل في خلل
إلى أن قال:

فبادروا الأمر قبل القوث واتزعموا شكالة الريث فالدنيا مع العجل
وطالبوا بحقوق أصبحت غرضاً لكل منتزع سهلاً ومختل
حتى تعود سماء الأمن ضاحية ويرفل العدل في ضفاف من الحلال

الجيش والدستور

وقال في أوائل عهد الخديو توفيق يدعو إلى الشورى وتقوية الجيش:

أمران ما اجتماعاً لقائد أمة إلا جنى بها ثمار السؤدد
(جمع) يكون الأمر فيها بينهم (شورى) وجند للمدو بمصرود

يندد بالدساتين

وقال من قصيدة يشكو فيها من الدساتين التى كانت تحت حوله:

نقموا على حمق فتألبوا حزياً عن وجموا ما أجموا
وسموا بفريتهم فلما صادفوا سمعا يميل إلى الملام توسعوا
لا عيب في سوى حمية ماجد والسيف يظليه المضاد فيقطع

يحث على الاعتدال، ويستنكر النذل

قال في هذا المعنى:

إذا شئت أن تحيا سعيداً فلا تكن لدوداً ولا تدفع يد اللين بالقصر
ولا تحتقر ذا فاقة فلربما لقيت به شهياً يبرّ على المشرى

فَرُبُّ فَقِيرٍ يَمْلَأُ الْقَلْبَ حِكْمَةً وَرُبُّ غَنِيٍّ لَا يَمْرِيشُ وَلَا يَهْرَى^(١)
وَكُنْ وَسِطًا لَا مِشْرَتِيَا إِلَى السُّهَى وَلَا قَاتِعًا يَبْشَى التَّزَلُّفَ لِلصُّفَرِ^(٢)
فَأَحَدُ أَخْلَاقِ الْفَقْرِ مَا تَكَافَأَتْ بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ التَّوَاضُعِ وَالْكِبَرِ
وَلَا تَعْتَرِفُ بِالْمَنْدَلِ فِي طَلَبِ الْغَنَى فَإِنَّ الْفَقْرَ فِي الْمَنْدَلِ شَرٌّ مِنَ الْفَقْرِ

العودة إلى الوطن

وقد عاد إلى الوطن سنة ١٩٠٠ بعد أن فقد نور عيني في منفاه، فاستقبل مصر بقصيدته التي مطلعها:

أباهل مرأى العين أم هذه مصر فلأن أرى فيها عيونًا هي السحر
فلأن يك موسى أبطل السحر مرة فذلك عصر المعجزات وذا عصر
إلى أن قال:

ولأن أسرو تأبى لي الضيم صولة مواقفها في كل معترك حمر
أي على الحدشان لا يستغزنى عظيم ولا يأوى إلى ساحتي ذعر

عبارة الحوادث

ومن قصيدة له قالها بعد عودته من المنفى تفيض توجعًا لحالة البلاد بعد أن جثم الاحتلال على صدرها، وقد تذكر عندما مر بقصر الجزيرة أيام إسماعيل حين كان في أوج سلطانه، وما انتهى إليه أمره من خلع وخسران، وتذكر أخطائه التي كان لها أثرها في التمهيد للاحتلال، فلم يترحم على عهده، ونظم هذه القصيدة معتبرًا ومذكرًا، وهي من آيات الشعر في العظة والاعتبار، وقال:

هل يالحمى عن سرير الملك من يزع؟ هيهات قد ذهب المتبوع والتبع!
هذى (الجزيرة) فأنظر هل ترى أحدًا يتأى به الخوف أو يدنو به الطمع؟
أضحت خللاء وكانت قبل منزلة للملك منها لو قد العزم مرتبع
فلا يجيب يرد القول عن نبأ ولا سميع إذا ناديت يستمع
كانت منازل أملاك إذا صدعوا بالأمر كادت قلوب الناس تنصدع
عاشوا بها حقيقة حتى إذا نهضت طير الحوادث من أوكارها وقصوا

(١) أي لا ينح ولا يهر.

(٢) افتاح هنا: الساتل المنفال والصغر: التخب.

لو أنهم علموا مقدار ما فُشِرت
دارت عليهم رحي الأيام فانشعبوا
يد الحوادث ما سادوا ولا رفعوا
كيد العدو فما ضروا ولا نفَعوا
كانت لهم عصب يستدفعون بها



أين المعاقل بل أين الجعافل بل
لا شيء يدفع كيد الدهر إن عصفت
زَالُوا فما بكت الدنيا لفرقتهم
والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر
وإنما صفوه بين الوري لمع
ما ضاب أخلاقه حرص ولا طمع
لو كان للمرء فكر في عواقبه
من لم يزل بفرور العيش ينخدع
وكيف يدرك ما في التيب من حدث
حار تمر وأيام لها خدع
يسمى الفقى لأُمور قد تضر به
وليس يعلم ما يأتي وما يدع



يا أيها السادر المزور من صلف
دع ما يريب وغد فيما خلقت له
مهلا فإنك بالأيام منخدع
لعل قلبك بالإيمان ينتفع
إن الحياة لشوب سوف تغلعه
وكل ثوب إذا مارت ينخلع
وظل البارودي بعد عودته من المنفى في عزلة من الناس، لا يجتمع إلا بالصفوة المختارة من
الأدباء والتشعراء والحافظين لعهده، إلى أن كانت وفاته سنة ١٩٤٠، فخلف مجداً لا يبلى على
الزمان.



اسماعيل صبرى

١٨٥٤ - ١٩٢٣



شاعر بطبعه وسليقته، وطني بفطرته وحسن سريرته، أدرك عهد الاحتلال في إبان قوته وسطوته، فتحررت شاعريته، تجاهد الاستعمار، وتجدد المعاني الوطنية، وتخلد لها في قصائد غرّ تشبه أن تكون تغاريد من نبع القلب الصافي وفيض الإحساس المرفف والنوق الرفيع.

كان شاعرًا رقيقًا مجيدًا، عميق الوجدان، مقلًا في شعره، محتاطًا في نشر ما قيود به قريحته، كان علمًا من أعلام الطبقة الأولى من شعراء العصر الحديث، وثانيهم بعد البارودي.

ولد سنة ١٨٥٤ بمدينة القاهرة، والتحق بمدرسة الابتدائي سنة ١٨٦٦، ثم بمدرسى التجهيزية والإدارة (الحقوق)، وأتم دراسته بمصر سنة ١٨٧٤، ثم ألحق بالبعثة المصرية إلى فرنسا، ونال شهادة الليسانس في الحقوق من كلية «أكس» سنة ١٨٧٨، ولما عاد إلى مصر التحق بالمناصب القضائية حتى عين وكيلًا لوزارة الحفانية (العدل) سنة ١٨٩٩، واعتزل الخدمة في سنة ١٩٠٧.

ظهرت مواهبه السمرية منذ نعومة أظفاره، وظلت تنمو وتزدهر طول حياته، وكانت شاعريته ووطنيته عنوان مجده وموضع فخاره.

كان معاصروه يلقبونه (شيخ الشعراء)، واعترف له بذلك زملاؤه، شوقي وحافظ ومطران وعبد المطلب ونسيم وغيرهم، وإنك لتلمح تقدير شوقي لزعامته من قوله في رثائه:

أيام أمّرح في غبارك ناشئًا تهج المهار على غبار خفاف^(١)
أتعلم الغايات كيف ترام في مضمار فضل أو مجال قواف

(١) المهار: جمع مهرة وخفاف: حرس مسهور في العرب

ومن قول حافظ في رثائه أيضاً:

لقد كنت أغشاه في داره وناديه فيها زها وازدهر
وأعرض مشعري على مسمع لطيف يحس نبؤ الوتر

تتجلى في شعره القومي روح الحب الخالص للوطن، والشجو الحزين على مآسيه، والاستمساك بالهزة والكرامة، والشمم والإباء، ولقد عبر بأرق القصائد عن شعور مواطنيه، وترجم عن آمالهم وآلامهم.

كانت وطنيته عميقة الجذور، عاش حياته لم يزر إنجلترا قط، ولم يذهب يوماً إلى الوكالة البريطانية، في حين أنها كانت مع الأسف مقصد الكبراء والعظماء في ذلك العهد، وطالما استماله اللورد كرومر إلى زيارته ليكسبه إلى صف المناصرين للاحتلال، فاستعصم وأبى، ولما قيل له لعلك لو فعلت كنت اليوم رئيساً للوزارة، قال: وماذا تفيدني رئاسة الوزارة غير اغضاب ضميري وإرضاء ذوى المطامع وأصدقاء الجاه^(١).

كان صديقاً صدوقاً للزعيم مصطفى كامل، أيده في جهاده منذ الساعة الأولى ولم يكن يكتم مناصرته إياه في أى منصب تولاه.

كان محافظاً للاسكندرية سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٩، وأراد مصطفى كامل أن يلقي بها خطبة من خطبه الوطنية الكبرى، فأوعزت إليه الحكومة أن يمنع إقامة الاجتماع الذي أعد لإلقاء الخطبة، بحجة المحافظة على الأمن والنظام، فأبى صبرى على الحكومة ما أرادت، ورفض بإقامة الاجتماع، وصارح الحكومة بأنه مسئول عن الأمن والنظام، وألقى مصطفى كامل خطبته.

ولما عين وكيلًا لوزارة الحفانية (العدل) في نوفمبر سنة ١٨٩٩ ظل على مودته لمصطفى، وكان في غالب الأيام يخرج من الوزارة ويعرج بدار اللواء المقابلة لها ليزور صاحب اللواء ويقضى معه الوقت الطويل، ولم يمنعه منصبه من المجاهرة بصداقته له ومناصرته إياه في الوقت الذي كان الكبراء من الموظفين وغيرهم يخشون عواقب الاتصال به، وإلى ذلك يشير شوقي في رثائه لاسماعيل صبرى إذ يقول:

وسح الشباب وقد تخطر بينهم هل متعوا بتمسح وطواف؟
لو عاش قلوبهم ورب (لوائهم) نكس (اللواء) لثابت وقاف
فلكم سقاء الوء حين وداده جرب لأهل الحكم والاشراف

(١) ذكر هذه الواقعة الأستاذ أحمد الزين في مقدمته لليونان إسماعيل صبرى ص ٣٢.

دعوته إلى الدستور

وإنك لتجد في شعر إسماعيل صبرى انسجاماً مع سياسة مصطفى كامل وتعبيراً للوطنية ومناصرة للأمة في جهادها للحرية والاستقلال.
قال في قصيدة وجهها إلى الخديو عباس حلمى الثانى يوم عيد جلوسه سنة ١٩٠٨ يدعو إلى الدستور.

سدد سهام الرأى (بالشورى) يحيط بك منه في ظلم المصادات فيلق
واسبق به واضرب به وأفتح به ما شئت من باب أمامك يلق

حادثة دنشواى

وقال فيها بصور حادثة دنشواى ويصف فظائع الإنجليز فيها والعفو الذى أصدره الخديو عن مسجونيهـا.

وأقلت عشرة قرية حكم الهوى إن أن فيها بائس مما به
وارحمنا لجناتهم ماذا جنوا؟ ما زال يُقضى كل عين ما رأوا
حتى حكمت فجاء حكمك آية نزلت ترفرف حول كاتب نصها
شكرتك مصر على سلامة بعضها ذكرت لك الصنع الجميل ولم تنزل
قانون (دنشواى) ذاك صحيفة هل يرتجى صفو وهذا خاطر
ومضاجع القوم التيام أوائل في أهلها وقضى قضاء أخرق
أورن جاوبه هناك مطوق^(١) وقضاتهم^(٢) ما عاقهم أن يتقوا؟
فيها ويؤذى كل سمع ما لقوا للناس طي صحيفة تتألق
زمرًا ملائكة الرضى وتحلق شكرًا يغرب في السورى ويشرق
ترمى إلى أمر أجل وترمق^(٣) تتلى فترتاع القلوب ونخفق
والموت حول نصوصها يترقق؟ بمعذب يردى وآخر يرهق

(١) المطوق، السجين.

(٢) قضاتهم أى قضاة المحكمة للخصومة التى حكمت عليهم.

(٣) يريد الدستور.

لن تبلغ الجرحى شفاء كاملاً ما دام جارحها المهند يبرق
فاحكم يغير العنف واكسر سيفه فالحلم أجمل والمكارم أليق

رثاؤه لمصطفى كامل

وقد جزع لوفاة مصطفى كامل جزعاً شديداً، وشيع جثمانه إلى مرقد الأخير (يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٨)، ووقف على قبره يلقي قصيدته في وداعه، ولم يكد يلقي البيت الأول منها وهو:

أداعى الأسى في مصر ويحك داعياً هددت القوى إذ قمت بالأمس ناعياً
حق ظهر عليه التأثير الشديد والإعياء، ولم يستطع أن يتم القصيدة، وقد ألقاها في حفلة تأبينه، وتدل هذه القصيدة على مبلغ حبه له وإخلاصه لصداقته، وإعجابه به، وشدة حزنه عليه، فجاءت آية في بلاغة الرثاء، ورقة التمييز عن الحزن والألم، وكأن كل بيت فيها دمة وقاء تنفخها عين الصديق على صديقه المحمم. قال:

أجل أنا من أرضاك خلا موافياً وبرضيك في الهاكين لو كنت واعياً
وقلبي ذاك المورد العذب لم يزل كما ذقت منه الحب والود صافياً
يسوى أنه يعتاده الحزن كلما رآك عن الحوض المهند نائماً
ويعد في بعض الخطوب إذا مشى إلى بعض ما يهوى فيرجع دامياً
وإن راحه سرب السرّات لم يجد محلاً به من لاعج الهم خالياً
ألا علاني بالتمعّازي وأقنعنا فؤادي أن يرضى بين تعازيا
وإلا أعيناني على النوح واليكا فشأنك شأنى وما بكما بيا
وما ناضى أن تكيّا غير أنى أحبّ دموع البر والمرء وافيا



أيا (مصطفى) تائه نومك راينا أمثلك يرضى أن ينام اللياليا
تكلم فلان القوم حولك أطرّقوا وقل ياخطيب الحى رأيك عالي
لقد أوشكت من طول صمت وهجرة تحالك أعواد المنابر فانيا
وتبكيك لولا أن فيها بقية تطلها من ذلك الصوت داريا
فهل ألت ما بين جفك والكرى محالفة أم قد أمنت الأعاديّا؟



فقدناك فقدان الكمى سلاحه
وبتنا وقد باتت رفاتك في الثرى
ولولا ترات من أماتيك عندنا
طواك الردى طوى الكتاب تضمنت
مضاء إذا البيض اتمت لأصولها
ورأى يجل اليأس واليأس ضارب
إذا ما تقاضينا ولم تك بيننا
فليتك إذ أعيت كل مساجل
وليتك إذ ناضلت عن مصر لم تفض



لقد ضاع إخلاص الطبيب وحذقه
ولم تنتهز تلك العقاقير فرصة
سدى فبكى الفخر الذى كان راجيا
تري الناس فيها فضل (بقراط) باديا
تقلده فيها مضى الحق ماضيا

مواساته لجرى الحرب

ولقد كان له شعر حماسي يلا القلوب أملا وشجاعة.
قال من قصيدة له مخاطباً الأمير عمر طوسون يشكره على مواساته جرحى الحرب:
وكم تعهدت جرحى من أسود وغى
إن يكشر الدهر عن أحداثه كشروا
مستجداً من بنى مصر إلى شمم
إذا رأوا ثلثة في حوضهم جبروا
مستهمياً هامياً و (النيل) في وجل
من أن تجود به أيمانكم حنر

الوحدة بين العنصرين

وقال داعياً إلى الوحدة الوطنية بين عنصرى الأمة:
عنى فيك اليوم قسطنطينية
تروى الآسى عن مسلم مروج
ويأخذ البر وآى الوفا
عن الكتاب الطيب المشرح

ومن قصيدة له حين اشتد الخلاف بين المسلمين والأقباط سنة ١١١١ يدعو إلى الوحدة الوطنية:

خففوا من صياحكم ليس في مصر لأبناء مصر من أعداء
دين عيسى فيكم ودين أخيه أحمد يأمراننا بالإخاء
مصر أنتم ونحن إلا إذا قا مت بتفريقنا دواعي الشقاء
مصر ملك لنا إذا تماسكننا وإلا فمصر للغرباء

تتليده بصنائع الاحتلال

وقال في نوفمبر سنة ١٩٠٨ يندد بسياسة مصطفى فهمي حين سقطت وزارته وكان مواليا للاحتلال خاضعا له:

عجبت لهم قالوا سقطت ومن يكن مكانك يأمن من سقوط ويسلم
فأنت امرؤ ألصقت نفسك بالشرى وحرمت خوف النذل ما لم يحرم
فلو أسقطوا من حيث أنت زجاجة على الصخر لم تصدع ولم تحطم^(١)

في الإهاء وعزة النفس

ومن قوله في الإهاء وعزة النفس، والزراية بالتكبرين:

أيها التائه^(٢) المدلل علينا ويك قل لي من أنت؟ إني نسيت
لو فرشت الطريق درأ لأخطو فوقه نحو داركم ما رضيت
أنا أغنى من أن يقال فلان وفلان تزاورا ما حييت!

وقال في الاستعساك بالكرامة:

لكسرة من رغيف خبز تؤدم بالمح والكرامة
أشهى إلى الحر من طعام يُحتم بالشهد والملامة

(١) أي أن مصطفى فهمي كان في منزلة داتية لا يؤله السقوط منها، بحيث لو أسقطوا زجاجة من ذلك المكان المنخفض لم تكسر.

(٢) التائه: للتكبر من التيه بكسر التاء.

يستنكر تعدد الزوجات

وقال يذم تعدد الزوجات:

يا من تزوج باثنتين ألا اتشدُّ ألقيت نفسك ظالماً في الهاوية
ما العدل بين الضرتين يمكن لو كنت تعدل ما أخذت الثانية!

التوحيد والحرية

وله في تمجيد التوحيد والحرية كلمات بليغة وإن لم تكن شعرا إلا أنها تشبهه في النغم والرين
وقوة الأثر، وهي من الشعر المتطور البليغ. قال:

أحب التوحيد في ثلاثة: الله. والمبدأ. والمرأة.
وأحب الحرية في ثلاثة:

حرية المرأة في ظل زوجها
وحرية الرجل تحت راية الوطن
وحرية الوطن في ظل الله.

تنديده بالظلم والاستعمار

قال في قصيدة له يخاطب (الدواة):

وإذا الظلم والظلام استعانا يوم نحس بأجهل الجاهلينا
واستمدنا من الشرور مدادا فاجعله في قسمة الظالمينا

إلى أن قال:

وإذا كان فيك نقطة سوء كوت من خيانة تكويننا
فاجعلها قسط الذين استباحوا في السياسات حرمة الأضعفينا!

تنديده بالمستعمرين

قال ينمى على إيطاليا عدوانها على طرابلس (ليبيا) سنة ١٩١١ ويندد بما في فعلتها من الفدر
ونقض العهود والمواثيق:

بعض هذا الجفاء والعدوان راقبى الله أمة الطليان!

قد ملأت الفضاء غدرًا وجهلا
وبعث السفين ترمى طرايل
تخرق البحر والموائق والعـ
سيرتها أضغان قوم لقوم
من رآها تجرى توهم أن الـ
لا ورب الأسطول ما حمل الأسـ
إن قوم الطليان أحرص من أن

وتستمت غارب الطغيان
سر بحرب مشوبة النيران
هذه جهارا ونمة الجيران
سلموا من دناءة الأضغان^(١)
قوم هوا للثأر للأوطان
طول جيشًا إلى حمى الحبشان^(٢)
يفضحوا مرتين في ميدان

الامتيازات الأجنبية

وقال في هذه القصيدة يشير إلى الامتيازات الأجنبية التي منحتها الدول الشرقية للأوروبيين فقابلوها بالفر والعقوق واتخذوها وسيلة للعدوان على هذه الدول:

ويحهم ما لصنهم أبطر القو
ولماذا تمخض السلم عن حر
منح قد بئرن في شر أيد
هكذا فلتك المروءات في عصـ

م فعقوا ما كان من إحسان؟
ب لظاها يشوى الوجوه عوان؟
كن مذكّن منبت الكفران
ر البهاليل من بني الرومان!

القوة سياج الاستقلال

وقال فيها يدعو إلى التسلح بالقوة للدفاع عن الدمار وصد مطامع الاستعمار ويحذر أمم الشرق من غدر الدول الاستعمارية وعدوانها وتبنيها الشر تحت ستار الود والصدقة:

لا ينق بعضنا بعض وهذا
إن تسلّم على الغريب فسلم
رعا أصبح الضاق صراعًا

ما أعد الإنسان للإنسان
في ظلال السيوف والمران^(٣)
في زمان الآداب والعرفان^(٤)

(١) يريد بالتين سلموا من دناءة الأضغان العرب وهم المتدنى عليهم في هذه الحرب.

(٢) يشير بهذا البيت والذي يليه إلى هزيمة الطليان أمام الأحياس في معركة عدوه المشهورة سنة ١٨٩٦ ويعبرهم بالسكوت عن الأخذ بتأثرهم في هذه المعركة.

(٣) يريد المران الرماح أي القوة المسلحة.

(٤) في هذا البيت ينهك بالدول الأوروبية وما تطوى عليه من الفدر وتقض اليهود في عصر المدنية والعلوم والآداب.

التفنى بعظمة مصر

وله قصيدة خالدة يتفنى فيها بعظمة مصر ومفاخرها، ويستحث مصر الحديثة على إحياء مجدها، قالها سنة ١٩٠٩ على لسان فرعون مصر يخاطب قومه ويحث فيهم روح العمل لبناء مجد الدولة قال:

لا القوم قومي ولا الأعوان أعوانى إذا ونى يوم تحصيل العلا وانى
إلى أن قال:

لا تقربوا (النيل) ان لم تعملوا عملا ردوا الهجرة كذا دون مورده
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكم لا تتركوا مستحيلا في استحيائه
مقالة هبطت من عرش قائلها مادت لها الأرض من زعر وديان لها
بينون ما تقف الأجيال حائرة من كل مالم يلد فكر ولا فتحت
ويشبهون إذا طاروا إلى عمل



(أهرامهم) تلك حى الفن متخذنا قد مر دهر عليها وهى ساخرة
لم يأخذ الليل منها والنهار سوى جاءت إليها وفود الأرض قاطبة
فصغرت كل موجود ضامتها وعاد منكر فضل القوم معترفا
تلك الهياكل فى الأمصار شاهدة إذا أقام عليهم شاهدا حجر
من الصخور بروجها فوق كهوان بما يضعضع من صرح وإيوان
ما يأخذ النمل من أركان نهان تسمى اشتياقا إلى ما خلد الفانى
وغض بنياتها من كل بنيان يثنى على القوم فى سرِّ وإعلان
بأنهم أهل سبق، أهل إيمان فى هيكل قامت الأخرى يبرهان

كأنما هي والأقنوم خاتمة
تستقبل العين في أنثائها صور
لو أنها أعطيت صورتا لكان له
وغتمها بقوله:

أين الأولى سجلوا في الصخر سيرتهم
بادوا وبادت على آثارهم دول
وغلفوا بعمدهم حربا غلدة
وُحزحوا عن بقايا مجدهم وسطا
ويل له هتك الأستار مقتحبا
للجهل أرجح منه في جهالته

وصفروا كل ذى ملك وسلطان
وأدرجوا طي أخبار وأكفان
في الكون ما بين أحجار وأزمان
عليهم العلم ذاك الجاهل الجاني
جلال أكرم آثار وأعيان
إذا ما وزنا يوما بميزان

إلى شوقي في متفاه

وكان على ود صميم مع شوقي، وحينما نفى شوقي من مصر خلال الحرب العالمية الأولى ظل على صلته به، وكان شوقي قد أرسل إليه من متفاه بالأندلس سنة ١٩١٧ بيتين من قصيدة له مشهورة^(١) قال فيها:

يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا
لما تفرق في دمع السباه دما
فأجابه صبرى بهذه الأبيات:

يا وامض البرق كم ثبّثت من شجن
فالماء في مقل، والنار في مهج
لولا تذكر أيام لنا سلفت
يا آل ودى عودوا لا علمتكم
يا نسمة ضمخت أذيالها سحرا

في أضلع ذهلت عن دائها حينما
قد حار بينها أمر المحبينما
مايات يبكى دما في المي باكينما
وشاهدوا ويحكم فعل النوى فينا
أزهار أندلس هبى بوادينما^(٢)

(١) سيرد ذكرها في الحديث عن شوقي.

(٢) يريد شوقي أن البرق قد اقتبس اشتغاله من نار جوانحه وتخل أن ما يسمى به البرق من المطر مشتق من دموعه.

(٣) يخاطب صبرى نسبة الأندلس التي عطرها أزهاره ويحش في جوها شوقي ويتأجج أن تهب عليه في مصر.

وقد عاش اسماعيل صبرى كريم الخلق، صادقا عيوفا، أيبا وفييا لوطنه وأصدقائه، معتزا بكرامته، صريحا محبا للحق، بعيدا عن الزهو والخيلاء، وظل على هذه الأخلاق الفاضلة إلى أن توفى في ٢١ مارس سنة ١٩٢٣ بعد مرض طويل، وخلف كنوز من الشعر والوطنية، والفضائل النفسية، أضفت على اسمه هالة من المجد والخلود.



أحمد شوقي

شاعر الوطنية الأكبر

١٨٧٠ - ١٩٣٢



بلغ الشعر الوطني ذروته على لسان شوقي وحافظ، فلقد حلا لواء النهضة الشعرية في العصر الحديث، وتقنيا بالوطنية، وكان للحوادث الكبرى التي وقعت في مصر والشرق صداها في شعرهما، وكلاهما كان له أثره وفضله في تغذية الحركة الوطنية بميرون الشعر الوطني، سطع نجمهما في عصر واحد، وغردا في جيل واحد، وانتقلا إلى جوار رحبا في عام واحد (١٩٣٢) ولم تحض على وفاة حافظ ثلاثة أشهر حتى لحق به شوقي في الرفيق الأعلى.

سمى شوقي أمير الشعراء، ولقب الأمير لم يعد يتفق والروح الديمقراطية، ولم تعد الامارة تضافى على صاحبها منزلة محترمة، هذا إلى أن شوقي أكبر من أن يمجّد بهذا اللقب، فهل نسميه (سيد الشعراء)؟ إن كلمة السيادة لغير الأمة لم تعد أيضاً تتفق والأوضاع الديمقراطية، فهل نسميه (زعيم الشعراء)؟ إنه ولا ريب أقدر شعراء عصره، ولم يكن ينازعه في زعامة الشعر أحد من أئداده ومعاصريه، فلقد عقدوا له لواء الزعامة وبايعوه عليها في المهرجان الذي أقيم له بمصر سنة ١٩٢٧ وجمع أقطاب الشعراء من العالم العربي وخاطبه فيه صنوه حافظ بقوله:

أميرَ القوافي قد أُنتِيتُ ميايما وهذي وفود الشعر قد بايعت معي
على أن لقب (زعيم الشعراء) لا يكفي للتعريف به والتتوية بمكانته، وخير لقب له أن يسمى (شاعر العربية الأكبر) وأن نسميه في هذا الكتاب (شاعر الوطنية الأكبر)
ولد أحمد شوقي في ١٦ أكتوبر سنة ١٨٧٠^(١) وتعلم في المدارس النظامية، ودخل مدرسة

(١) عن التاريخ الثابت في شهادة الليسانس التي نالها التقيد من كلية الحقوق بباريس

الإدارة (الحقوق)، في أوائل عهد الاحتلال، وفي سنة ١٨٨٧ سافر إلى فرنسا للدراسة الحقوق والأدب، وأتم دراسته سنة ١٨٩٣.

أدرك شوقي الاحتلال الإنجليزي وهو شاب مهذب مثقف، وعرف كيف عصف الاحتلال باستقلال البلاد، وإذ كانت عبقرية الشعرية قد خلقت وولدت معه ولازمته منذ صباه، فقد قترنت بشعوره الوطني الذي تولد في نفسه بالقطرة، وزاده توهجاً ورسوخاً رؤيته الاحتلال لأجنبي يجهش على صدر البلاد، فامتزجت شاعريته بوطنيته، وكان لمصر وآلامها صدى بعيد وأثر عميق في شعره، وظل حبه للوطن يوجهه في قصائده ويلهمه التفريد له والحنو عليه. التحق منذ عودته إلى مصر بديوان المعية الخديوية، وعلت مكانته لدى الخديو عباس الثاني حتى سمي (شاعر الأمير) ولكن روحه الوطنية لم تتأثر كثيراً من صلته بالقصر هذا إلى أن خديو عباس كان في أول عهده بالعرش يناوىء الاحتلال والاحتلال يناوئه، حتى إذا جنح هادئة الاستعمار، لم يكن لهذا التحول أثر كبير في شعر شوقي، اللهم إلا هذأة وقتية في الحرب لمشبوبة بين الأمة والاحتلال، على أن تأصل روح الوطنية في نفسه جعله لا يجارى الخديو عباس، انصرفه عن الحركة الوطنية، ثم في تنكره لها، فبقى شعره ينهل من منبع الوطنية الصافي. وانفصل عن منصبه في القصر بعد خلع الخديو عباس عن العرش في ديسمبر سنة ١٩١٤ تجرر من المنصب الحكومي، فزادته الحرية قوة وإنتاجاً وتحليفاً في سباه الشعر والفن والخيال، استهدف لاضطهاد السلطة العسكرية البريطانية، إذ قررت نفيه وتركت له اختيار البلد الذي نفى إليه، فاختر أسبانيا (الأندلس)، وبقي على عهده للوطن، ثم عاد من منفاه في فبراير سنة ١٩٢٠، والبلاد في غليان الثورة، فاستقبلت مصر شاعرها الملهم استقبالا حافلا رائعاً.

ويمتاز شعر شوقي بقوة البيان، وروعة الموسيقى الشعرية، وسعة الأفق، والتعمق في استيعاب الحوادث التاريخية، قديمها وحديثها، ولقد جرى فحول الشعراء المتقدمين، وبذم في كثير من قصائده، ووجد بعض التجديد في الشعر العربي بما اقتبسه عن شعراء الغرب، وعن الثقافة الأوروبية، وسار في التجديد شوطاً بعيداً وخاصة بعد عودته من المنفى، إذ وضع عدة مسرحيات معربة بلغت مبلغاً عظيماً من الفن والموسيقى والجمال، كمصرع كليوباتره، ومجنون ليلى، عنتره، وغيرها، وظل ينتج ويشدو ويبدع، إلى أن توفي في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢.

الوطنية في شعر شوقي

في قصائد شوقي يسطع نور الوطنية، ويتأجج لهيبها، وهو أغزر الشعراء مادة وأوسعهم إنتاجاً في هذه الناحية، ولقد ظل يستلهم روح الوطنية طول حياته، شاباً وكهلاً وشيخاً، بل إن

سعره الوطني في شيخوخته كان أقوى منه في شبابه، وقد يكون مرجع ذلك إلى تجرده من الاتصال بالقصر بعد خلع الخديو عباس حلمي، كما أسلفنا، ثم إلى نفيه من مصر في أوائل الحرب العالمية الأولى، فأثار البعد عن الوطن شاعريته، وجاد بأبدع قصائده في الحنين إلى مصر وحبها والهام بها إلى درجة التقديس، ومرجع ذلك أيضا إلى تأصل عبقرية الشعر في نفسه، فلم تضعفها السن، ولم يثل منها الزمن وظلت قوية تتدفق حيوية ونشاطا.

والوطنية في شعر شوقي هي فيض الفطرة والإلهام، وليست من صنع الظروف أو التكلف، ولذلك جاءت قوية جارفة، عميقة رائمة.

فتأمل في أول قصيدة له في ديوانه وهي التي قالها في المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد بمدينة جنيف عام ١٨٩٤ ومطلعها.

هَمَّتِ الْفَلَكَ وَاحْتَوَاهَا الْمَاءُ وَحَدَاها بِن تَقْلُ الرُّجَاءُ

تجدها آية في شعر الملاحم أو الشعر التاريخي، وتحس وأنت تقرأها أنها قبس من نور الوطنية، فهي سجل ناطق (لكبار الحوادث في وادي النيل)، وقد بلغ عدد أبياتها ثلثمائة بيت إلا قليلا (تسعين ومائتي بيت)، عرض فيها عرضا أخاذا بديما تاريخ مصر من أقدم العصور إلى عام نظمها، أشاد بظلمتها وجمد مفاخرها، وحفى عليها في كبواتها، واستنزل السخط على كل من اعتدى عليها.

فانظر إلى قوله عن عظمة مصر:

قُلْ لِبَنِيانِ بَنَى قَشَادَ ففَالِي لَمْ يَجِزْ مِصرَ فِي الزَّمانِ بِناء
ليس فِي المِكناتِ أَنْ تُنْقِلَ الْأَجْمالَ^(١) شُبا وَأَنْ تُنَالِ السَّما

ولما انتهى في سرد الحوادث إلى الحملة الفرنسية سجل إخفاقها وارتدادها عن مصر، قال:

وَأَيُّ النِّسْرِ^(٢) يَنْهَبُ الْأَرْضَ نَهْبا يَشْتَهِي النَّيْلَ أَنْ يَشِيدَ عَلَيْهِ
حَلُمْتُ رِوْمَةَ بَها فِي اللَّيالي فَانْتُ مِصرَ رُسُلُهُمُ تُتَوالى
ولو اسْتَشْهَدَ الْفَرَنْسِيُّ رِوما عَلِمْتُ كُلَّ دَوْلَةٍ قَدْ تَوَلَّتْ
حَوْلَهُ قَوْمَهُ النَّسورُ ظِلْها دَوْلَةٌ عَرَضُها الثَّرى وَالسَّما
ورَأها الْقِياصُ الْأَقْوياء وَتَرامِتْ سِودانُها الْعِلماء
لَأَتَتْهُمْ مِنْ رِوْمَةِ الْأَنْبياء أَننا سَمِها وَأنا السَّوباء

(١) الأحبال: جمع جبل.

(٢) يقصد نابليون.

قاهر العصر والممالك نابليون ولَّت قوائه الكبراء
جاء طيشاً وراح ومن قبل أطاشت أناسها العليا
وانظر كيف يصور في البيتين الآتين سكوت الأهرام وهي تواجه نابليون بأنه سكوت
السخرية والاستهزاء وكأنها تنبأ له بالهزيمة في ختام معاركه، قال:

سكنت عنه يوم عيَّرها الأهرام لكن سكوتها استهزاء
فهى توحى إليه أن تلك (واتر لو) فأين الجيوش أين اللواء؟
وتأمل كيف يعبر عن قناة السويس بأنها نكبة على مصر قال:

جمع ^(١) الزاخرين كَرَّها فلاكاً نأ ولا كان ذلك الالتقاء
أحمر عند أبيض للبرابا حصّة القطر منها سوداء
والقصيدة كلها على هذا الفرار في الإجادة والإبداع، ولقد نظمها وهو في الرابعة والعشرين،
وكانما رسم فيها منهجه في الشعر، فهو يقتبس من عبقرية الشعرية، ومن روحه الوطنية معاً.
وقد لازمه هذا الامتزاج في شق قصائده.

شوقي ومصطفى كامل

سارت نهضة الشعر في مصر إلى جانب النهضة الوطنية التي هبت لمقاومة الاحتلال، ومن هنا
جاءت صلة الزعيم مصطفى كامل بشعراء عصره، وكانت دعوته الوطنية تلقى صدى وتأيداً في
قصائدهم الفرّ، بحيث يمكن القول بأن الشعر لم يتألق في سماء مجده مثلاً تألق في عهد مصطفى
كامل ومحمد فريد.

وقد ظهر التجاوب بين دعوة مصطفى كامل وشعر شوقي، وزاد في هذا التجاوب أن شوقي
كان صديقاً حميماً لمصطفى، وكلاهما معجب بصاحبه أيما إعجاب، ولا غرو فيها صنوان، وفرسا
رهان، هذا في ميدان الوطنية والجهاد، وذلك في دولة الشعر والبيان، وكان شوقي يعتز بصداقته
لمصطفى ومشاركته إياه في تهمده الروح الوطنية وغرسها في نفوس الجيل، وإلى ذلك يشير في
قصيدته عن ذكرى مصطفى سنة ١٩٢٥ إذ يقول فيها مخاطباً الفقيد.

أتذكّر قبل هذا الجيل جيلاً سهرنا عن معلّمهم وناساً؟
يهار الحق بغضنا اليهم شكيم القيصرية واللجأماً^(٢)

(١) الإشارة هنا إلى سيد الذي منح دسوس امتياز القنّاء، ويريد بالزاخرين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر.

(٢) مهار، جمع مهر، والمراد بالمهال هنا الشبابية والمراد بشكيم القيصرية وليامها. بطن الاحتلال وجبروته.

(الولاء) كان يسقيهم بجمال
وكان الشعرُ بين يديّ جاما
من الوطنية استبقوا رحيقاً
ففضّنا عن معقّها الختاماً

وكان مصطفى يصف شوقي بأنه «الغدير الصافي في القاف الغاب، يسقى الأرض ولا يبصره
الناظرون»، وكان يخصّص لقصائده أسمى مكان في (اللواء)، وفي ذلك يقول شوقي في مرثاته
الحالدة:

قد كنت تهتف في الوري بقصائدي وتجلّ فوق النّيرين مكاني
وزاره وهو على فراش مرضه الأخير، فطلب إليه مصطفى أن يرتيه إذ أحسّ بدنو أجله، وفي
ذلك يقول شوقي:

وجعلت تسألني الرثاء فهاكــه من أدمى وسرائرى وجناني
ويبدو الانسجام بين دعوة مصطفى كامل وشعر شوقي في كثير من قصائده.

قصيدة شوقي في وداع اللورد كرومر

فمن ذلك قصيدته المشهورة في وداع اللورد كرومر سنة ١٩٠٧ حين اضطر إلى الاستقالة
على أثر حادثة دنسواي، ففي أبياتها تتجلّى الروح الوطنية والنفقة على الاحتلال، قال:

أيامكم أم عهد اسماعيلاً أم أنت فرعونُ يسوس النيلاً؟
أم حاكمٌ في أرض مصر بأمـره لا سائلاً أبداً ولا مستولاً
يا مالِكاً رَقَّ الرقاب بـأسـه هلا اتخذت إلى القلوب سبيلاً؟
لما رحلت عن البلاد تشهّدت فكأنك الداء العياء رحيلاً
أوسعتنا يومَ الوداع إهانةً أدبٌ لمصرك لا يصيبُ مثيلاً^(١)

إلى أن قال:

أنذرتنا رقاً يدموم وذلةً تبقى وحالاً لا ترى تحويلاً
أحسبت أن الله دونك قدرةً لا يملك التفسير والتبديلاً
الله يحكم في الملوك ولم تكن دولٌ تتازعه القوى لتدولاً

(١) يشير إلى خيلة اللورد كرومر في الحيلة التي أقلمها صنّاع الاحتلال بدلو الأويرا تكريماً له وأمان فيها المصريين.

وعونُ قهلك كان أعظم سطوةً وأعزَّ بين العالمين قبيلة



اليوم أخلفت الوعود حكومةً
دخلت على حكما الوداد وسرعه
هدمت معالمها وهدت ركنها
كنا نظن عهدَها الانجيلا
مصرّاً فكانت كالسلاسل دخولا
وأضاعت اعتقالها المأمولا

وقال:

قد مدَّ إسماعيل قهلك للورى
إن قيس في جود وفي سرف إلى
أو كان قد صرع (الفتن) مرةً
لا تذكر الكرياج في أيامه
ظلَّ الحضارة في البلاد ظليلا
ما تتفقون اليوم عُدُّ بغيلا
فلكم صرعت بدنشواي قتيلا
من بعد ما أنبت فيه ذيو لا

قصيدته في ذكرى دنشواي

وقصيدته سنة ١٩٠٧ أيضاً عن (ذكرى دنشواي)، بعد مرور عام على حادثتها، في سبيل طلب العفو عن سجنائها، وفيها وصف مؤثر لهذه المأساة.

قال:

يادنشواي على ربّك سلامٌ
شهداءُ حُكْمك^(١) في البلاد تفرقوا
مرّت عليهم في اللحد أهلة
كيف الأراميلُ فيك بعد رجاها
عشرون بيتاً أقفرت وانتابها
يالت شعري في البروج حمائم
(نيرون) لو أدركت عهد (كرومر)
نميت بأفسر رُبعك الأيام
هيهات للتملّ الشتينِ نظام
ومضى عليهم في القيود العام
وبأيّ حالٍ أصبح الأيتام؟
بعد البشاشة وحتة وظلام
أم في البروج منيةٌ وحمائم؟
لصرفت كيف تنفذ الأحكام



نوحى حمائم دنشواي وروعى
إن نامت الأحياء حالت بينه
تعباً بوادي النيل ليس ينام
سَحَرًا وبين فراشه الأحلام

(١) أي حكم الحكمة المصنوعة في قضية دنشواي.

متوجعُ يتمثلُ اليومَ الذي
السوطُ يعملُ والمشائقُ أربعُ
والمستشارُ^(١١) إلى القفطاعِ ناظرٍ
في كُلِّ ناحيةٍ وكلِّ محلةٍ
وعلى وجوهِ التاكليينِ كآبةٌ
ضجتُ لشدةِ هولِهِ الأقدامِ
متوحّشاتٌ والجنودُ قيامُ
تدعى جلودَ حولِهِ وعظامُ
جزعًا من الملأِ الأسيفِ زحامُ
وعلى وجوهِ التاكلياتِ رَغَمُ

رثاء مصطفى كامل

ولما توفي مصطفى كامل سنة ١٩٠٨ رثاه شوقي بقصيدته الخالدة التي تعد أكبر مرثاة في تاريخ الأدب العربي، ترجم فيها عن شعوره بالحزن والألم بآيات بينات تجلت فيها حكمة الشعر وقوة الوطنية وردة البيان، وقد نشرت يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٨ عقب وفاة الزعيم بثلاثة عشر يومًا، فأثرت في النفوس تأثيرًا عميقًا، وجددت أحزان الأمة، وحفظناها وحفظها الشباب وقتلت عن ظهر قلب، لأنها عبرت عن شعورنا جميعا في الرزة الفادح، تنشرها كاملة لأنها قطعة من الشعر الوطني الخالد. قال في مطلعها:

المشرقان عليك ينتحمان
يا خادم الإسلام أجز مجاهد
لما نعت إلى الحجاز مشي الأسى
السكة الكبرى^(١٢) حيال رهاها
لم تألها عند الشدائد خدمةً
يا ليت مكة والمدينة فازتا
ليرى الأواخر يوم ذاك ويسمعوا
جار التراب وإنت أكرم راحل
قاصصها في مآتم والمداني
في الله من خلد ومن رضوان
في الزائرين ودوع الحرمان
منكوسة الأعلام والقضبان
في الله والمختار والسلطان
في المحفلين بصوتك الرنان
ما غاب من قس ومن سحيان^(١٣)
ماذا لقيت من الوجود الفاني؟

وقال عن مرضه الذي أودى بحياته:

أبكى صباك ولا أعاتب من جنى
يتساءلون أبا لسلال قضيت أم
هذا عليه كرامةٌ للجاني^(١٤)
بالقلب أم هل مت بالسرطان

(١١) يريد الكاتب ممثل مستشار وزارة الداخلية وكان يشرف على تنفيذ الحكم.

(١٢) يريد سكة حديد الحجاز.

(١٣) قس وسحيان خطيبان من أبناخ خطباء العرب.

(١٤) الجاني إشارة إلى مصطفى كامل أي أنه ضحى بحياته وشبابه في سبيل مصر.

والجد والإقدام والعرفان

في هذه الدنيا فأنت الباقي
هل فيه آمل وفيه أمان
ولربّ حتى ميسّر الوجدان

ومضلل يجرى لغير عنان
عليها المراتب لم تتجّ لبيان
ماتوا على دين ولا إيمان
جعلت لها الأخلاق كالعنوان
قصر يريك تقاصر الأقران
إن الحياة دقائق وثوان
فالذكر للإنسان عمر تافى
ما شاء من ربح ومن خسران
وهي المضيق لمؤثر السلوان

الله يشهد أن موتك بالحجا

وقال يشيد بأخلاق الفقيد:

إن كان للأخلاق ركن قائم
بماقه فتش عن فؤادك في الترى
وجدانك الحق المقيم على المدى

وقال في فلسفة الحياة:

الناس جارٍ في الحياة لغاية
والخلد في الدنيا وليس بهين
قلو أن رسل الله قد جهنوا لما
المجد والتصرف الرفيع صحيفة
وأحب من طول الحياة بذلة
دقات قلب المرء قائمة له
فارفع لنفسك بهد موتك ذكرها
للمرء في الدنيا وجم شؤونها
فهو القضاء لراغب متطلع



يشقى له الرحماء وهو الهاني
في طيها شجن من الأشجان
نعى الحياة وبؤسها سيان

خطرات والإسرار والإعلان
غازٍ بغير مُهَنّد وسنان؟
أن العلوم دعائم العمران

الناس غادٍ في الشقاوة رائح
ومنعم لم يلق إلا لذة
فاصبر على نعى الحياة وبؤسها

وقال مخاطباً الزعيم:

باطاهر الغدوات والرؤعات والـ
هل قام قبلك في المدائن فاتح
يدعو إلى العلم الشريف وعنده

وقال في وصف الجنّازة:

لَقُوك في عَمّ البلاد منكسّا
جَزَجَ الهلال على قى الفتيان

ما أحرَّ من خجل ولا من ربة
يُزجُون نَشك في السناء وفي السنا
وكأنه نَش (الحسين) «بكر بلا»
في ذمة الله الكريم وبه
ومشى جلال الموت وهو حقيقة

لكنها يبكي بدفع قاني^(١)
فكأنما في نَمشك القمران
يختال بين بكى وبين حنان
ما ضم من عرف ومن إحسان
وجلالك المصدق يلتقيان



شَقَّتْ لمنظرك الجيوبَ عقائلُ
والخُلُقُ حولك خاشعون كَمهدم
يتساءلون بأى قلب تُرَتِّقى
فلو إن أوطاناً تُصوِّرُ هيكلها
أو كان يحتمل في الجوارح ميت
أو صيغ من غُرِّ الفضائل والعلَى
أو كان للذكر الحكيم بقية

وقال يصف الفقيد في مرضه الأخير:

ولقد نظرتك والردى بك محدد
يغنى وَيُطْفئ والطبيب مظل
ونواظرُ الصُوداء عنك أمالها
تُحلى وتكتب والمشاعل جمة
فهَشَّتْ لى حق كأنك عائدى
ورأيتُ كيف تموت أساد الشرى
ووجدتُ في ذاك الخيال عزائباً

وبكثك بالدفع والمثون غواني
إذ ينصتون لخطبة وبيان
بعد المناهرُ أم بأى لسان
دَفَنوك بين جوانح الأوطان
حلوك في الأسماع والأجفان
كَفَنَ لست أحاسن الأكفان
لم تأت بعدُ رُثيت في القرآن



وجعلتَ تسألنى الرثاءَ فهاكه
لولا مقابلة الشجون لحاطرى

من أسمى وسرائرى وجنائى
لنظمت فيك يتممة الأزمان

وأنا الذى أرى الشمس إذا هوت فتصود سيرتها من الدوران

قد كنت تهف فى الورى بقصائدى وتُجِلُّ فوق النيرات مكانى
ماذا دهانى يوم يَنْتَ فعَقَى فيك القريضُ وخاتنى إمكانى
هَوْنٌ عليك فلا شمات ببيت إن المنية غاية الإنسان
من للحدود بيته بُلغتها عزّت على كسرى أنو شروان
عوفيت من حَرَب الحياة وحربها فهل استرحت أم استراح الشان

وقال فى ختام القصيدة يذكر فضل مصطفى على مصر:

يا صَبَّ مصر ويا شهيدَ غرامها هذا ثرى مصر فتم بأمان
أخلع على مصر شهابك غالياً والبس شباب الحور والولدان
فلعل مصرًا من شهابك ترتدى مجداً تنه به على البلدان
فلو أناهاهرمين من عَزَماته بعض المضلّ تحرّك الهرمان
علّمت شبان المدائن والقري كيف الحياة تكون فى الشبان
مصر الأسيفة ريفها وصعيدا قبرٌ أبرُّ على عِظايك حانى
أقسمتُ أنك فى التراب طهارة مَلَكٌ يحاب سؤاله المَلَكُان

شهيد الحق

وكان سوقى لا يفتأ يذكر مصطفى بعد وفاته:

فمن ذلك قصيدته التى نظمها سنة ١٩٢٥ لمناسبة ذكره بعنوان (شهيد الحق)، تناول فيها ما أصاب البلاد من انقسام وتشاحن وتناحر، ثم انتقل من ذلك إلى ذكرى مصطفى كامل، فوفاه حقه من التمجيد، قال فى مطلعها:

إلّا مَ الخلفُ بينكمو إلا ما؟ وهذه الضجة الكبرى علاماء؟
وفيم يكيد بعضكم لبعض وتبدون العداوة والخصاماء؟
وأين الفوز؟ لا مصر استقرت على حالٍ ولا السودان داما

إلى أن قال:

ولينا الأمرَ حزبًا بعد حزب فلم نَكُ مصلحين ولا كراما

ولم تَعُدْ الجزاء والانتقام
بأهواء النفوس قبا استقاما

جعلنا الحكم توليةً وعزلاً
وسُئنا الأمر حين خلا إلينا

وقال ذاكرًا مناقب الفقيد:

بأرض ضيّت فيها اليتامى
ومرّ على القلوب قبا أقاما^(١)
كأن بهجة الوطن السقاما
فغطى الأرض وانتظم الأناما
وضمّ مروءة وحوى زماما
طلعت حياها قمراً تماماً
بمضى من أحب ومن تمامى
إذا هو في عكاظ علا السناما
والطف حين تنطقه ابتساما
صراحاً ليس يتغذ اللثاماً

شهيد الحق قم تره يتيماً
أقام على الشفاه بها غريباً
سقيمت فلم تبت نفس بخير
ولم أر مثل نعثك إذ تهادى
تحمل همّة وأقلّ يميناً
وما أنساك في العشرين لما
يُشار إليك في النادى وتُرمى
إذا جئت المتأمر كنت (قساً)
وأنت ألدّ للحق اهتزازاً
وتحمل من أديم الحق وجهاً



سهرنا عن معلّمهم وناماً؟
شكيم القيصرية واللجام
وكان الشعر بين يديّ جاماً
ففضّنا عن مَنقها الحتام
بكل قرارة وزكا مُداماً
كنفخ الصّور حركت الرجاماً^(٢)
يسوّتها وساعت للنّدامى^(٣)
وكانت في حلاوتها بفاعاً^(٤)

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً
يهار الحق بفضّنا إليهم
لؤلؤك كان يستقيهم بجام
من الوطنية استبقوا رحيماً
غرستنا كرمها فزكا أصولاً
جمعتهمو على نبرات صوت
لك الخطب التي غص الأعداى
فكانت في مرادتها زئيراً



(١) أى أن الحق تنطق به الأنواء ولا يستقر في القلوب.

(٢) الرجام: القيور.

(٣) الصورة: الخلة والشدة؛ والتدلى جمع تدلى والمراد بهم الأخصار والأعداء.

(٤) البغلام: صوت الطير.

حديثًا من خرافة أو متاعا
وصيرت الجلاء لها دعاما

بك الوطنية اعتدلت وكانت
بنيت قضية الأوطان منها

وله قصيدة في ذكره سنة ١٩٢٦ قال:

وحياة من السير	لم يمت من له أثر
بعثت غاية السفر	أدعه غائبًا وإن
آبت الشمس والقمر ^(١)	آيب الفضل كلما
قد أتانا من الحفر	رب نور مُتَمَّم
ميت الحفر والحفر	إنما الميت من مشى
وإذا مات لم يضر	من إذا عاش لم يُبد
منه ظل ولا ثمر	ليس في الجاه والغنى
حور إذا ذلت القصر	قبح العز في القص

وإلى (مصطفى) افتقر	أعوز الحق ذائد
هبة الصارم الذكر	ومنت جياضه
والذي يركب الحفر	الذي يُتَقَدُّ المدي
واضع الأسن والحجر	أبها القوم عظموا
هي من آية الكبر	أذكروا الخطبة التي
منبرًا تحت محتضر	لم ير الناس قبلها
وهو يمضي إلى الطفر	لست أنسى لوائه
زمرًا إثرها زمر	حشر الناس تحته
لا ترى البيض والسم ^(٢)	وترى الحق حولَه
نفخ الروح في الصور	كلها راح أو غدا

(١) أي يعود للقياد فضل وتتجدد ذكره كلما آبت الشمس وعاد القمر

(٢) الأبيض: السيوف والسم: الرماح.

ياأخا النفس في الصيا لفة انروح في الصخر
 وخليلا ذخرته لم بغموم بملخر
 حال يبق ويمنه في فجاءته القدر
 كيف أجزي مودة لم يشب صفوها كدر
 غير دمع أقوله قل في الشأن أوكثر
 وفؤاد معلل بالخيالات والذكر
 لم يتم عنك ساعة في الأحاديث والسر
 قم تر القوم كتلة مثل ملمومة الصخر
 جندوا لفة الهوى والإخلاء الذي شطر
 ليس للخلف بينهم أو لأسبابه أثر
 ألفتهم روائح غديات من الفير
 وصحوا من منوم وأفاقوا من الحذر^(١)
 أقبلوا نحو حقهم ما لهم غيره وطر
 جعلوه غلبة شرعوا دونها الإبر
 وتواصوا بخطبة وتداعوا لمؤتمر
 وقصارى أولى النهى يتلاقون في الفكر
 آذنونا بموقف من جلال ومن خطر
 نسمع الليث عنده دون آجامه زأر
 قل لهم في نلهم^(٢) مصر بالباب تنتظر

شوقي وفريد

لم تكن صلة شوقي بفريد كصلته بمصطفى، وعندما تولى فريد زعامة الحركة الوطنية سنة ١٩٠٨، بعد وفاة الزعيم الأول، كانت سياسة (الوفاق) بين الحديوي عباس الثاني والمعتمد البريطاني قد ثبتت قواعدها، وتكر عباس للحركة الوطنية، ومع صلة شوقي بالقصر واشتداد الجفاء بين الحديوي وفريد، فإنه لم يتعرض له بسوء في أي قصيدة له، وكان هذا منه نعم الوفاء الوطنية.

(١) الحذر الكلـ

(٢) فريد البرلانـ

وبدا حب شوقي للحزب الوطني وتأييده له من رئاسته لعمر يك لطفي أحد أقطاب هذا
الحزب ومؤسس التعاون في مصر، فقد نظم سنة ١٩١١ في رئاسته قصيدة بديعة قال في مطلعها:
قَفُوا بِالْقُبُورِ نَسَائِلَ عَمْرٍ مَتَى كَانَتِ الْأَرْضُ مَتَوَى الْقَمَرِ؟
وفيها يقول:

«يَقَابَاتُكَ» الْقُرْتُبِيُّ عَلَيْكَ وَيَكِي عَلَيْكَ النَّدَى الْأَغْرُ^(١)
ويكِي التعاونُ مِنْ سَنَةِ عَشِيَّةٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ أُنْثَرِ
ويكِيكَ (حِزْبُ) تَحْيِيرَتِهِ شَرِيفُ الْمَرَامِ شَرِيفُ الْوَطَرِ
ويكِي الْأَوَّلَى أَنْتَ عَلَّمْتَهُمْ وَأَنْتَ غَرَسْتَ فَكَانُوا الثَّمَرِ

رثاؤه لفريد

ولما توفى فريد سنة ١٩١٩ رثاه بقصيدة من عيون شعره، ظهر فيها تقديره للزعيم الشهيد
قال:

كُلُّ حَيٍّ عَلَى النِّيَّةِ غَادَى تَوَالَى الزَّكَابُ وَالْمَوْتُ حَادَى^(٢)
ذَهَبَ الْأَوَّلُونَ قَرْنًا فَقَرْنًا لَمْ يَلَمْ حَاضِرٌ وَلَمْ يَبْقَ بَادَى^(٣)
هَلْ تَرَى مِنْهُمْ وَتَسْمَعُ عَنْهُمْ غَيْرَ بَاقِي مَأْثَرٍ وَأَيَادَى؟



كُرَّةُ الْأَرْضِ كَمْ رَمَتْ صَوِلْجَانَا وَطَوَتْ مِنْ مَلَاعِبٍ وَجِيَادِ
وَالْقَهَارُ الَّذِي عَلَى صَفْحَتَيْهَا دَوْرَانُ الرَّحَى عَلَى الْأَجْسَادِ
كُلُّ قَبْرِ مِنْ جَانِبِ الْقَفْرِ يَبْدُو عِلْمُ الْحَقِّ أَوْ مِنْ أَرَاكِسِ الْعَادِ
وَزِمَامُ الرُّكَّابِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَحِطُّ الرُّحَالِ مِنْ كُلِّ وَادِ
تَطْلُعُ الشَّمْسُ حَيْثُ تَطْلُعُ نَضْجًا وَتُنْحَلُّ كِمِنْجَلِ الْحَصَادِ
إِلَى أَنْ قَالَ:

أَسَأَلْتُمْ حَقِيقَةَ الْمَوْتِ مَاذَا تَحْتَهَا مِنْ ذَخِيرَةٍ وَعَتَادِ؟

(١) نادى المدارس العليا وكان عمر لطفي رئيسه

(٢) المحادى هو الذى يقف للعائلة تنتشط في سيرها.

(٣) الحاضر ساكن الحضر، والباقي ساكن البادية

وحواري نبيّة واعتقاد
وحجّها بالشهيد دارّ الرشاد
حاسراً قد تجلّت بسواد
راعها أن تراه في الأصفاد
في سبيل الحقوق نضو سهاد
كان للحشد والندى والطراد
لم يدين بالقرار في الأغمد

إن في طيها إسم صُفوف
لو تركتم لها الزمام لجاءت
انظروا هل ترون في الجمع (مصر)
تاج أحرارها غلاماً وكهلاً
وسدوه التراب نضو سفار
واركيزوه إلى القيامة زحاً
وأقبروه في الصفائح عضيّاً

وقال مشيراً إلى موته في منفاه:

وانتهت محنة وكفت عوادي
وشفى من أصادق وأعداي
غاية القرب أو قصارى الهامد
واقفد العمر لا توب من رقاد
في قديم من الحديث مُعاد
س ومعناه في صدور الصّعاد
كحمل القتال باسم الجهاد

نازح الدار أقصر اليوم بيّن
وكفى الموت ما تخاف وترجو
من دنا أو نأى فإن المنايا
يسرّ مع العمر حيث شئت تويّا
ذلك الحق لا الذي زعموه
وجرى لفظه على ألسن النسا
يتحمل به القوى ولكن



وقياما على حقوق العباد
نزل الأقوياء فيه على الضّعفاء
صفحات نقيّة كقلوب الرسل
مفسولة من الأحقاد
سرّ ذاك اللواء في الأجناد
غير بُنيان ألفة واتحاد
أمة هيئت وقوم خير السداد
أوشره على استعداد
وتصوغ الرنّاء في كل ناد
غرّة البرّ في سواد الحداد
رجل مات في سبيل البلاد
للتجيب الجريء في الأولاد

هل ترى كالتراب أحسن عدلا
نزل الأقوياء فيه على الضّعفاء
صفحات نقيّة كقلوب الرسل
مفسولة من الأحقاد
قم إن استطعت من سريرك وانظر
هل تراهم وأنت موفّ عليهم
أمة هيئت وقوم خير السداد
أوشره على استعداد
مصرّ تبكى عليك في كل خدر
لو تأملتها لراعى منها
منتهى ما به البلاد تُفزى
أمهات لا تحمل الشكّل إلّا

(كفريد) وأين ثاقى فريد
الرئيس الجواد فيما علمنا
أكلت ماله الحقوق وأبلى
لك في ذلك الضى رقة الرو
علة لم تحصل قراشك حتى
صادفت قرحة يلاتها الصبر وتأبى عليه غير الفساد
وعند الدهر أن يكون ضادا
وإذا الروح لم تنفس عن الجسم (فيقراط)^(١) نافع في رماذ

قصيدته في ذكراه

وفي سنة ١٩٢٤ نظم قصيدة في ذكراه الخامسة، وهي من أبلغ شعره ومن أروع ما قيل في
تجديد فريد ووطنيته وتضحياته، قال:

تجدد ذكرى عهدكم ونبيد
وللناس في الماضي بصائر يتدى
إذا ألمت لم يكرم بأرض تتلوه
ونحن قضاة الحق نرعى قديعه
ونعلم أنا في البناء دعائم
فريد ضحايانا كثير وإنما
فما خلف ما كابدت في الحق غاية
تقربت عشرا أنت فيهن بائس
تجوع بيلدان وتعرى بنهرها
ألا في سبيل الله والحق طارق
وجودك بعد المال بالنفس صابرا

ونذنى خيال الأمل وهو بعيد
عليهن غاوى أو يسير رشيد
تحير فيها الحق كيف يسود
وإن لم يفتنا في الحقوق جديد
وأتم أساس في البناء وطيد
بجمال الضحايا أنت فيه فريد
ولا فوق ما قاسمت فيه مزيد
وأنت بآفاق البلاد شريد
وترزح تحت الداء وهو عتيد
من المال لم تهمل به وتليد
إذا جزع المحضور وهو يهود



(١) بقراط هو أبو الطب.

فلا زلت تتحالا من الحق خالصاً على سِرِّه نبقى الصلا ونشيد
يعلم نشأ الحق كيف هو الحمى وكيف يحامى دونه وينود

حبه وتقديره للوطن

إن حب شوقي للوطن يتمشى في معظم قصائده، مما تراه في ديوانه، وقد اقتبسنا طرفاً منها، وله فوق ذلك أبيات بلغ فيها حبه للوطن درجة التقديس والعبادة مما يجعلها تسير مسرى الحكم والأمثال، على تعاقب السنين والأجيال، وتبعث في نفوس المواطنين روح الإخلاص العميق للوطن والفتاة فيه.

كقوله سنة ١٩٢٠ بعد عودته إلى مصر من منفاه:

ويا وطني لقيتُك بعد يأسٍ كأنى قد لقيتُ بك الشباب
ولو أنى دُعيتُ^(١) لكتت ديفى عليه أقابل الحتم المجاب^(٢)
أدير إليك قبل اليتيم وجهى إذا فُهِتْ الشهادة والمتاب

ففى هذه الأبيات يقدم شوقي الوطن على الدين ويدير وجهه إلى الوطن قبل الكعبة عندما يلقى ربه.

وقوله سنة ١٩٢٤ مخاطباً الشباب:

وَجَّهْ الكنانة ليس يُغضب ربهكم أن تجعلوه كوجهه معبودا
ولموا إليه فى الدروس وجوهكم وإذا فرغتم فاعيدوه هجودا
إن الذى قَسَمَ الهلاد حياكمو بلدا كأوطان النجوم مجيدا
قد كان-والدنيا مُحودٌ كلها- للمصرية والفنون مُهودا

وقوله وهو فى منفاه:

وطنى لو شغلْتُ بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

أى أنه لو شغل عن الوطن بجنة الخلد وسكنها، لبقيت نفسه تهفو إلى الوطن وتنزع إليه.
وقوله من قصيدته سنة ١٩٢٦ فى نكة دمشق من الاستعمار الفرنسى:

(١) أى دعيت إلى الموت.

(٢) الحتم للمجاب هو الموت.

وللأوطان في دم كل حرٍّ يد سَلَّتْ ودينٌ مستحقُّ
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرِّجة تُسَقِّ

وقوله:

لا تلومها أليست حرة وهى الأوطان للأحرار دين

وقال سنة ١٩٠٤:

أحبك مصر من أعماق قلبي وحبك في صميم القلب نام
وبلغ حبه لمصر أن جعلها كعبة أشعاره قال:

وإني لفرِّيد هذا البطاح تقنَّى جناها ولسالما
تَرى مصرَ كعبةَ أشعاره وكلُّ معلقة قالها

ثورة سنة ١٩١٩

قال من قصيدة له بعنوان (الحرية الحمراء) يمجّد ثورة ١٩١٩:

يومَ البطولة لو شهدتُ نهارَه لنظمتُ للأجيال ما لم ينظّم
غُيِّتْ حقيقته وفات جالها باعَ الخيالُ العبقريُّ الملهم
لولا عوادى النفى أو عتيانه والنفى حالٌ من عذاب جهنم
لجمعتُ ألوانَ الحوادثِ صورةً^(١) منّلتُ فيها صورةَ المستسلم
وحكى فيها النيلَ كاظمَ غيظه وحكىته متغيّظاً لم يكظم
دَعَتْ البلادَ إلى الفمار ففامرت وطنيةً بثقف ومعلم
ثارت على الحامى العتيد وأقسمت بسواه جَلُّ جلاله لا تحتمى



يومَ النضالِ كَسَتْكَ لونَ جمالها حُرِّيَّةٌ صَبَتْ أديمك بالدم

(١) يشير إلى أنه كان متغاف حين شهِد الثورة.

تعلقه بالجللاء

ويبدو في شعره مبلغ تعلقه بالجللاء، وإيمانه به، وهذا ولا ريب من فيض الوطنية التي يستلهم منها شعره.

قال في سنة ١٩٢٤ يخاطب الشباب الذين أفرج عنهم بعد الحكم عليهم في قضية المؤامرة الكبرى:

لَبَّا بِحَيِّ اللَّهِ الْقَضِيَّةَ ^(١) مِنْهُمْ	قَامَتْ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ عُمُودًا
جَادُوا بِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَأَوْشَكُوا	يَتَجَاوِزُونَ إِلَى الْحَيَاةِ الْجُودَا
طَلَبُوا (الْجَلَاءَ) عَلَى الْجِهَادِ مُتَوَبَةً	لَمْ يَطْلُبُوا أَجَرَ الْجِهَادِ زَهِيدًا
وَاللَّهُ: مَا دُونَ الْجَلَاءِ وَيَوْمَئِذٍ	يَوْمَ تُسَمَّى الْكِنَانَةُ عِيدًا
وَجَدَ السَّجِينَ يَدًا تُحَطِّمُ قَيْدَهُ	مَنْ ذَا يُحْطِّمُ لِلْبِلَادِ قَيْدًا؟

وحدة وادى النيل

وقال في يولية سنة ١٩٢٤ عن وحدة وادى النيل من قصيدة له في استنكار حادث الاعتداء على المرحوم سعد زغلول ونجاته من محاولة اغتياله:

وَلَنْ نَرْضَى أَنْ تَقْدَّ الْقَنَاءُ	وَيُسْتَرَّ مِنْ مِصْرَ سُودَانُهَا
فَمِصْرُ الرِّيَاضِ وَسُودَانُهَا	عِيُونَ الرِّيَاضِ وَخُلُجَانُهَا
وَمَا هُوَ مَاءٌ وَلَكِنَّهُ	وَرِيدُ الْحَيَاةِ وَشُرَيَانُهَا
تَتَمُّ مِصْرَ يَنْبَاطُهَا	كَأَنَّهَا الْعَيْنُ إِنْسَانُهَا
وَأَهْلُوهُ مِنْذُ جَرَى عَذْبُهُ	عَشِيرَةُ مِصْرَ وَجِيرَانُهَا

مشروع ملتر

هو مشروع المعاهدة الذي انتهت إليه مفاوضات سعد - ملتر سنة ١٩٢٠ ويحمل في طياته عناصر الحماية، وكان ممن عارضوه المرحوم الدكتور عبد الحميد أبو هيف، فلما توفى سنة ١٩٢٦ رناه شوقي في قصيدة أشار فيها إلى هذه المعارضة وأبدى، قال:

(١) يقصد القضية الوطنية

بالأس كائن لاین هيف غَضَبُهُ
مُشت البلاد إلى رسالة (ملتر)
فلمحتُ أعرجُ في زوايا الحق لم
ارتدت العاهات عن أخلاقه
لما رأى (التقرير) ينفث سهُ
هتك الحماية والرجال وراهما
للحق نذكرها يدًا بيضاء
وتحفزت أرضًا لها وساء
أعلم عليه نِمة عرجاء^(١)
لسموهن وحلت الأعضاء
سبق الحياة فأخرج الرقطاء^(٢)
يتلمسون لها الستور رياء

تصريح ٢٨ فبراير

وقال عن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢^(٣).

ربعت من (التصريح) أن قيودها
أوماترون على (الناهب)^(٤) عُدَّة
يافيتة النيل السعيد خنوا المدى
قد صرن من ذهب وكن حديدًا
لا تتجلى وعلى (الضفاف) عديدًا
واستأنفوا نفس الجهاد مديدًا

يدعو إلى التضحية ويهاجم الاستعمار

قال يدعو إلى الجد والتضحية:

والمرء ليس بصادق في قوله
والشعب إن رام الحياة كبيرة
حق يؤيد قوله بفعله
خاض الفمار دما إلى أماله

ومن قصيدته سنة ١٩٢٦ في نكبة دمشق من الاستعمار الفرنسي:

لحأها الله أنباء توالَتْ
يفصلها إلى الدنيا يريدُ
على سمع الولي بما يشقُّ^(٥)
ويجعلها إلى الاتفاق برقُ

(١) أصيب للرحوم أبو هيف بمرض يترت فيه ساقه وكان يمشي على ساق صناعية

(٢) الرقطاء: الحيد

(٣) هو التصريح الذي أعلته بريطانيا في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وأقرت فيه بانتهاء الحماية على مصر والاعتراف باستقلالها واحتفظت فيه بتولي أمور أسرة تصف بيوهر الاستقلال وهي (١) تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر (٢) الدفاع عن مصر (٣) حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات (٤) السودان.

(٤) نتائج النيل بالسودان. وعدة أئى جنود والصفاء قناة السويس.

(٥) الولي أئى المحب والصدق.

وللمستعمرين وإن ألانوا
رماك بطيشه ورمى فرنسا
إذا ما جاء طُلابُ حقٍّ
دُمُ الثوار تعرفه فرنسا

إلى أن قال:

نصحتُ ونحن مختلفون داراً
ويجمعنا إذا اختلفت بلادُ
وقفتم بين موت أو حياة
وللاوطان في دم كل حرٍّ
ومن يَسْقَى وَيَشْرَبُ بالنأيَا
ولا يَبْقَى الممالك كالضحايا
ففى القتل لأجيال حياةً
وللعرية الحمراء بابٌ

ولكن كُنَّا فى الهم شَرِقْ
بِيانُ غيرِ مُختلفٍ ونُطقُ
فلئن رمت نعيمَ الدهر فاشقوا
يَدُ سلفت وذيْنُ مستحقٍّ
إذا الأحرار لم يَسْقُوا وَيَسْقُوا؟
ولا يُنْفَى الحقوق ولا يحقُّ
وفى الأسرى فدى لهم وعقُ
بكل يدٍ مضرَّجة يُنْفَى

يشفق على الوطن

من قصيدة له فى استقبال عيد الفطر يشفق على مصر ويقول أن لا عيد حق تتحقق أهدافها.

وطنى أَسَفْتُ عليك فى عيد المَلَا
لا عِيدَ لى حتى أراك بِأَمَّةٍ
ذهب الكرامُ الجماعون لأمرهم
أَيْظَلُّ بعضهم لبعض غاذلاً
وإذا أراد الله إشقاء القُرَى
وبكىْتُ من وَجْدٍ ومن إشفاقٍ
شاءَ رابِية من الأخلاقِ
وبقيت فى خَلْفٍ بغير خلاقٍ^(١)
ويقالُ شَعْبٌ فى الحضارة راقٍ؟
جعلَ الهداةَ بها دُعَاةَ شِقَاقٍ

يدعو إلى الأخلاق

إن بيته المشهور عن الأخلاق هو ديوان من الشعر تتجلى فيه الحكمة الأزلية فى أن الأخلاق

(١) الملاق: التصيب الوافر من الخير.

هى أساس حياة الأمم وسبيلها إلى العظمة والمجد:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وقد أكد هذا المعنى الرائع في غير موضع.
قال:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقيم عليهم مأتما وعويلا
وقال:

وما السلاح لقوم كل عنتهم حتى يكونوا من الأخلاق في أهب
وقال أيضا:

على الأخلاق خطوا الملك وابتوا فليس وراءها للمز ركن
وقوله:

المجد والشرف الرفيع صحيفة جُعلت لها الأخلاق كالمنون
وقوله:

وإذا ما أصاب بُنيان قوم وهى خلق فإنه وهى أس
وقوله:

كذا الناس بالأخلاق يقي صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب
وقوله:

ولقد يُقام من السيوف وليس من عثرات أخلاق الشعوب قيام
ومن قصيدته (تهج البردة):

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقيم
والنفس من خيرها في خير عافية والنفس من شرها في مرتع وبهم

وقوله:

وكان جنائهم فيها مهيبا وللأخلاق أجدر أن تُهابا

وقال في هذا المعنى من قصيدة له سنة ١٩٢٠:

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

وقوله:

ولا المصائب إذ يُرمى الرجال بها بقاتلاتٍ إذا الأخلاق لم تُصَبِّ

يدعو إلى الوحدة الوطنية

من قصيدة له في رثاء بطرس غالي سنة ١٩١٠:

الحق أبلغ كالصباح للناظر	لو أن قومًا حَكَمُوا الأحلاما
أَصْهَدْتَنَا وَالْقَبْطَ إِلَّا أُمَّةً	للأرض واحدةً تروم مراما
تُعَلِّي تَعَالِيمَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِهِمْ	ويُوقِّرونَ لِأَجْلِنَا الْإِسْلَاما
الَّذِينَ لِلدِّينِ جَلٌّ جَلَالُهُ	لو شاء ربك وَخَدَّ الْأَقْوَاما
يَاقُومُ بَانَ الرَّشْدُ فَاقْضُوا مَا جَرَى	وخذوا الحقيقة وانبذوا الأوهاما
هَذَا رِبُوعُكُمْ وَتِلْكَ رِبُوعُنَا	متقابلين نعالج الأياما
هَذِهِ قُبُورُكُمْ وَتِلْكَ قُبُورُنَا	متجاورين جاجًا وعظاما
فَبِحَرَمَةِ الْمَوْتِ وَوَجِبِ حَقِّهِمْ	عيشوا كما يقضى الجوار كراما

وقال من قصيدة أخرى له في هذا المعنى سنة ١٩١٠:

تَعَالَوْا عَسَى نَطْوِي الْجَفَاءَ وَعَهْدَهُ	وتنبذ أسباب الشقاق نواحيا
أَلَمْ تَكْ (مِصْرُ) مَهْدُنَا ثُمَّ لَحْدُنَا	وبينهما كانت لكل مغانيا
أَلَمْ تَكْ مِنْ قَبْلِ (الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ)	و (موسى) و (طه) تعبد الثيل جاريا
فَهَلَّا تَسَاقَيْنَا عَلَى حُجَّةِ الْهَرَمِ	وهلّا فديناه ضفّاقًا وواديا
وَمَا زَالَ مِنْكُمْ أَهْلٌ وَدَّ وَرَحْمَةً	وفي المسلمين الخير ما زال باقيا
فَلَا يَنْتَكُمُ عَنْ ذِمَّةِ قَتْلٍ (بِطْرُسَ)	فَقِيَمًا عرفنا القتل في الناس فاشيا

القوة في الاتحاد

صوت الشعوب من الزئير مجمعا فلإذا تفرق كان بعضُ نهاح

يستحث الشباب على العلم والجاد

قال مخاطبًا الشباب في قصيدة نظمها سنة ١٩٢٤:

يا شباب الفد وأبنائ الفدى	لکم أکریم وأعزّز بالفداء
هل یمد الله لی العیش عسی	أن أراکم فی الفریق السعداء
وأری تاجکم فوق السها	ورأى عرشکم فوق ذکاء
من راکم قال مصر استرجعت	عزها فی عهد (خوقو) و (مناء).
أمة للخلد ما تبهى إذا	ما بنى الناس جیعا للعفاء
إنما مصر إلیکم وبکم	وحقوق البر أولى بالقضاء
عصرکم حر ومستقبلکم	فی یمین الله خیر الأمناء
لا تقولوا حطنا الدهر فبا	هو إلا من خیال الشمرء
هل علمتم أمة فی جهلها	ظهرت فی المجد حساء الرداء
باطن الأمة من ظاهرها	إنما السائل من لون الإناء
فخذوا العلم علی أعلامه	واطلبوا الحکمة عند الحکماء
واقروا تاریخکم واحتفظوا	<u>بفصیح جاءکم من فصحاء</u>
أنزل الله علی ألسنهم	وحیه فی أعصر الوحی الوضاء
واحکموا دنیا سلطان فبا	خلقت نضرتها للضعفاء
واطلبوا المجد علی الأرض قبل أن	<u>هی ضاقت فاطلبوه فی الساء</u>

یدعو إلى إنکار الذات

وقال مخاطبًا الشباب فی قصيدة قالها سنة ١٩٢٤.

قالوا أنستظم للشباب تحية	تبقى علی جید الزمان قصیدا
قلت الشباب أتم عقد مآثر	من أن أزیدهم التناء عقودا
قبلت جهودهم البلاد وقبلت	تاجا علی هاماتهم مقودا
خرجوا فبا مدوا خناجرهم ولا	متوا علی أوطانهم بجهودا
خفى الأساس عن العیون تواضعا	من بعد ما رفع البناء مشیدا

حكمه وعظاته

تساقب في شعر شوقي الحكم والعظات يخاطب بها مواطنيه ويصهرهم بعبر التاريخ وعظات الحوادث، مما تذكر طرقاته.

جلال الخالدين

قال عن جلال الملوك وأنه إلى زوال ولا يبقى إلا جلال الخلود:
جلالُ الملك أيامَ وتضى ولا يمحى جلال الخالدين

الخلود للعمل الصالح

وقال سنة ١٩٢٣ عن الخلود وأنه للعمل الصالح:
من سرَّه أن لا يموتَ فبالعملِ خلَّد الرجال وبالأفعال النابِه
ما مات من حاز الثرى آثاره واستولت الدنيا على آدابه
قل للعدل بما له وبجاهه وبما يحلُّ الناس من أنسابه
هذا الأديم يصدَّ عن خضاره وينام ملء الجفن على غيابه
إلا فتىً يمشى عليه مجتدًا ديباجتيه معمرًا لخراجه

العدل أساس الملك

وقال في العدل:
والعدل في الدولاب أسُّ ثابته يفي الزمان وينقذ الأجيالا

فلسفة الحياة

وقال من قصيدته في رثاء مصطفى كامل:
دقات قلب المرء قاتلة له إن الحياة دقائق وثوان
ومن قوله في ذكرى كارتارغون مكتشف كتوز توت عنخ آمون:
في الموت ما أعيان^(١) وفي أسبابه كل امرئ رهن بطي كتابه

(١) ما أعيان أي ما أعجز عن إدراك حقيقته. ورمز بطي كتابه أي باق في الحياة حتى ينتهي أجله.

إن نام عنك فكل طَبُّ نافع أولم ينم فالطب من أذنايه

إلى أن قال منوهاً بفضل كارتارفون في اكتشافاته الأثرية:

أَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَفَضُّهُ وَحَيَا إِلَى التَّارِيخِ فِي مُحَرَابِهِ
وَطَوَى الْقُرُونِ الْقَهْقَرَى حَتَّى أَتَى فَرَعُونَ بَيْنَ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ

ومن قوله في العظة والاعتبار حين سقطت أدرّة وكانت من أمهات المدن الإسلامية في
مقدونية وغلبيها البلغار سنة ١٩١٢:

يَا أُخْتُ أَنْدَلَسِ عَلَيْكَ سَلَامٌ هَوْتَ الْخِلَافَةَ عَنْكَ وَالْإِسْلَامَ

إلى أن قال يتندد بسياسة الترك:

رَفَسُوا عَلَى السَّيْفِ الْبِنَاءَ فَلَمْ يَدُمْ مَا لِلْبِنَاءِ عَلَى السَّيْفِ دَوَامُ -
أَبْقَى الْمَالِكِ مَا الْمَعَارِفُ أَسْهَ وَالْعَدْلُ فِيهِ حَاطَطٌ وَدَعَامُ
إِنَّ الْخُرُورَ إِذَا تَمَلَّكَ أُمَّةً كَالزَّهْرِ يُخْفَى الْمَوْتُ وَهُوَ زَوَامُ

لا حقّ للضعيف

وقال سنة ١٩٢٣ أثناء انعقاد مؤتمر لوزان مشيراً إلى صلف الإنجليز مع مصر لأنّها لم يكن لها
من القوة ما تسترد به حقها:

أَتَعْلَمُ أَنَّهُمْ صَلَفُوا وَتَاهُوا وَصَلُّوا الْبَابَ عَنَّا مُوَصِّدِينَ؟
وَلَوْ كُنَّا نَجِرُ هُنَاكَ سَيْفًا وَجَدْنَا عَنْدهُمْ عَطْفًا وَلِينًا
سَيَقْضَى (كَرْزَن) بِالْأَمْرِ عَنَّا وَحَاجَاتُ (الْكَنَانَةِ) مَا قَضَيْنَا

وقال في هذا المعنى:

يَا طَيْرُ الْأُمُثَالِ تُضْ حَرْبُ الْيَلْبِيبِ الْأُمُثَلِ
دُنْيَاكَ مِنْ عَادَاتِهَا أَلَا تَكُونُ لِأَعْزَلِ

الحكم للشعوب لا للمستعبدين

قال سنة ١٨٩٤ في أول قصيدة له في ديوانه يثبه الملوك إلى قوة الشعوب ويدعوهم إلى
النزول على حكمها:

إن ملكَت النفوس فابغ رضاها فلها ثورةٌ وفيها مضاءٌ
يسكن الوحش للوثوب من الأسس فكيف الخلاق العقلاء؟
يحسب الظالمون أن سيودو ن وأن لن يؤيد الضعفاء
والليالي جوائرٌ مثلاً جا روا وللدهر مثلهم أهواء
وقال سنة ١٩٢٢ ييشر بحكم الشعوب وزوال حكم الفرد:

زمان الفرد يا فرعون ولى ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض عل حكم الرعية نازلينا

وقال سنة ١٩٢٣ يندد بالمستبدين:

المستبد يُطاق في ناووسه لاحت تاجيه وفوق وثابه^(١)
والفرد يؤمن شره في قبره كالسيف نام الشر خلف قرابه^(٢)

وقال في هذا المعنى يخاطب توت عنخ آمون سنة ١٩٢٥:

قسا بن يحيى العظا م ولاأزيدك من يمين
لو كان من سفر أيا بك أمس أو فتح ميين
لرأيت جيلا غير جيلك بالمجاير لا يدين
ورأيت محكومين قد نصبوا وردوا الحاكمين^(٣)
روح الزمان ونظمه وسبيله في الآخرين
ان الزمان وأهله فرغا من الفرد اللعين
فإذا رأيت مشايخا أوفية لك ساجدين
لاي الزمان تجدهو عن ركه متخلفين
هم في الأواخر مولدا وعقولهم في الأولين

الشعب قد يخدع

قال في مسرحية (مصرع كليوباترة) على لسان (حاي) يخاطب (ديون)^(٤):

(١) الثاويوس. القبر. والوثوب: السرير.

(٢) قراب السيف: غنمه.

(٣) نصبوا وردوا: أي ولوا وعزلوا الحاكمين.

(٤) حاي وديون: من أشخاص الرواية وكلاهما من أبناء مكتبة قصر كليوباترة.

إِسْمَعِ الشَّعْبَ دِيُونُ كَيْفَ يُوحُونَ إِلَيْهِ
مِلًّا الْجَبُورَ هَتَافَا بِحَيَاتِي قَاتَلِيهِ
أَثَرُ الْبَهْتَانِ فِيهِ وَأَنْطَلَى الزُّورُ عَلَيْهِ
يَا لَهُ مِنْ بَيِّفَاةٍ عَقْلُهُ فِي أَذْنِيهِ

الحياة الدستورية السليمة

قال عن الدستور:

شَرُُّ الْحُكُومَةِ أَنْ يَسَاسَ بِوَاحِدٍ فِي الْمَلِكِ أَقْوَامُ عِدَادِ رِمَالِهِ

وقال سنة ١٩٢٤ من قصيدة له عن (الأزهر):

وَتَفَيَّأُوا الدِّسْتُورَ تَحْتَ ظِلَالِهِ كَنَفْنَا أَهْنُ مِنَ الرِّيَاضِ وَأَنْضُرَا
لَا تَجْعَلُوهُ هَوًى وَخُلْفَا بَيْنَكُمْ وَبَحْرٌ دُنْيَا لِلنَّفُوسِ وَمَتَجَرَا
الْيَوْمَ صَرَّحْتَ الْأُمُورَ فَأَظْهَرْتَ مَا كَانَ مِنْ خُدْعِ السِّيَاسَةِ مَضْمُرَا
قَدْ كَانَ وَجْهُ الرَّأْيِ أَنْ نَقَى يَدَا وَنَرَى وَرَاءَ جُنُودِهَا إِنْجَلُرَا
فَإِذَا أَتَيْنَا بِالصَّفُوفِ كَثِيرَةً جُنُنَا بِصَفٍّ وَاحِدٍ لَنْ يُكْسُرَا

وقال سنة ١٩٢٦ من قصيدة له في عيد الجهاد:

وبالدستور وهو لُئْنَا حَيَاةً نَرَى فِيهِ السَّلَامَةَ وَالْفَلَاحَا
أَخَذْنَاهُ عَلَى الْمُهْجِ الْقَوَالِي وَلَمْ نَأْخُذْهُ تَبَلًا مُسْتَحَا
بَيْنُنَا فِيهِ مِنْ تَغْيِيرٍ رُؤَا وَمِنْ دَمٍ كُلِّ نَابِتَةٍ جَنَاحَا

وقال سنة ١٩٢٧ عن الحياة الدستورية السليمة:

إِذَا سَلِمَ الدِّسْتُورَ هَانَ الَّذِي مَضَى وَهَانَ مِنَ الْأَحْدَاثِ مَا كَانَ آتِيَا
الْأَكْلَ ذَنْبَ لَيْلَالٍ لِأَجَلِهِ سَدَلْنَا عَلَيْهِ صَفْحَنَا وَالتَّنَاسِيَا

وقال سنة ١٩٢٦ حينما اجتمع المؤتمر الوطني يوم ١٩ فبراير من تلك السنة واثلتفت فيه الأحزاب بمحى الدستور لمناسبة عودته بعد توحيد الصفوف:

صَرَّحَ^(١) عَلِ الْوَادِي الْمُبَارِكُ ضَاحِي مَتَظَاهِرُ الْأَعْلَامِ وَالْأَوْضَاحِ

ضائق الجلالة كالتعيق مَفْصُلُ
وكان زَقَرَقَه رواق من ضَحَى
الحق خَلَفَ جناح استدري^(١) به
هو هيكَلُ الحرية القاني، له
يَبْقَى كما تَبْقَى الخنادق في الوغى
يَنهَارُ الاستبداد حول عِراجِه
ويكب طاغوت الأمور لِوَجْهِهِ



هو ما بَقِيَ الأَعزَالُ بالراحات أو
أَخَذَتْهُ (مصر) بكل يوم قاتم
هَبَّتْ سِماحاً بالحياة سَبائِها
وَمَشَتْ إلى الخيل الدوارع وانبرت
وقفت حق لم تَقَفْها أمة
وإذا الشعوبُ بنوا حقيقة مُلكِهِم

إلى أن قال في توحيد الصفوف :

بُشِّرْ إلى السواى تَهْزُ نَبَاتَه
تسرى مَلَمَعَةُ الحُجُولِ عل الرُّبَى
التامت الأحزابُ بعد تَصْذُعِ
سُحِبَتْ على الأحقاد أذيالُ الهوى
وجرَتْ أحاديثُ العتاب كأنها
ترمى بِطَرْفِكَ في الجامع لا ترى

إلى أن قال يصف تعطيل الدستور عام ١٩٢٥ :

احتلَّ حصن الحق غيرُ جنوده
وتكاثرتْ أيدي على المفتاح

(١) استدري : استغل.

(٢) صلاح : اسم لكثرة

وَاسْتَوْخَشَتْ لِكَمَاتِهَا التُّرُجُاحَ
وَحَلَا مِنَ الْقَادِينَ وَالرَّوَااحَ
كَالْقَارِ مِنْ شَرْفٍ وَسَمَتْ صِلَاحَ

صَجَّتْ عَلَّ أَبْطَالَهَا تُكْسَأْتُهُ
هُجِرَتْ أَرَائِكُهُ وَعُطِّلَ عُودُهُ
وَعَلَاهُ نَسْجُ الْعَنَكُوتِ فَزَادَهُ

وقال ينصح الشباب:

ذَرُوعُ الشَّبَابِ يَضِيقُ بِالنَّصَّاحِ
فِي قَصَفِ أَنْوَالٍ وَعَصْفِ رِيَّاحِ
فِي الْمَسَادِنَاتِ وَسَيْلِهَا الْمَجْتَاحِ
مِنْ أَمْرِ مُفْتَاتٍ وَنَهْرِ وَقِيَّاحِ
فَلِذَا تَفَرَّقَ كَانَ بَعْضُ نُبَّاحِ
رَتَقًا مِنَ الْإِحْسَانِ غَيْرِ قَرَّاحِ
طَهَّرْتُ عَلَيْهِ سَجِيَّةَ الْمَنَاحِ
لَا فِي الْهِمَالِ وَلَا طَرِيقَ سَرَّاحِ
وَكَسَا الْقِيُودَ مُحَاسِنَ الْأَوْضَاحِ
طَوَّلَ اجْتِهَادٍ وَاضْطَرَّادٍ كِفَّاحِ
إِنَّ الْأُنَاةَ سَبِيلُ كُلِّ فَلَاحِ
إِنَّ الشُّرَاعَ مُنْقَفُ الْمَلَّاحِ

قُلْ لِلْبَنِينَ مَقَالُ صَنِقٍ وَاقْتَصِدِ
أَتَمُّ بَنُو الْيَوْمِ الْعَصِيبِ نَشَأَتُمُو
وَرَأَيْتُمُو الْوَطْنَ الْمُؤَلَّفَ صَخْرَةً
وَشَهِدْتُمُو صَدْعَ الصَّفُوفِ وَمَا جَنَى
صَوْتُ الشُّعُوبِ مِنَ الزَّنْبِيرِ جَمْعًا
أَطْمَكْتُمُو الْأَيَّامُ نَمَ سَقَتَكُمُو
وَإِذَا مُنِحَتْ الْحَيَرُ مِنْ مُتَكَلِّفٍ
تَرَكْتُمُو مِثْلَ الْمُهَيَّضِ جَنَاحَهُ
مَنْ صَيَّرَ الْأَغْلَالَ زُفْرَ قَلَائِدِ
إِنَّ الْقَى تَبْغُونَ دُونَ مَنَالِهَا
سَيَرُوا إِلَهَهَا بِالْأُنَاةِ طَوِيلَةً
وَحَفَظُوا بِنَاءَ الْمَلِكِ عَنْ دُسْتُورِكُمْ

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٦ حين اجتمع برلمان الائتلاف:

وَالْعَزْ لِلدُّسْتُورِ وَالْإِكْبَارِ
فِيهِ وَلَا يَطْفَى بِهِ جَبَّارِ
صَالَهُ وَاخْضَلَّتْ الْأَسْحَارِ
وَلِكُلِّ جَهْدٍ فِي الْحَيَاةِ ثَمَارِ
وَبَيْنَ لَمْ يَجِدُوا السَّلَاحَ فَتَارُوا
وَمِنْ الْمَشَاقِقِ وَالسَّجُونِ جِدَارِ
بِالْحَقِّ أَوْ بِالْوَاجِبِ الْأَحْرَارِ
فَنَهُ وَلَا سُلْطَانُ مِصْرَ صَفَارِ
فِيهِ وَلَا غَيْرَ الصَّلَاحِ شَمَارِ

الْحَقُّ أَلْبَلَجٌ وَالْكُتَانَةُ حُورَةٌ
الْأَمْرُ شُورَى لَا يَبْعَثُ مَسْلُطٌ
عَهْدٌ مِنَ التَّوْرَى الظَّالِمَةُ نَضْرَتْ
تَحْنِي الْبِلَادَ بِهَا ثَمَارُ جُهْدِهَا
بَنِيَانُ آيَاهُ مَشُورَا بِسَلَاحِهِمْ
فِيهِ مِنَ التَّلِ الْمَدْرُجِ حَائِظٌ
أَهَتْ التَّقْيِيدَ بِالْمُهْوَى وَتَقْيِيدَتْ
فِي مَجْلِسٍ لَا مَالُ مِصْرَ غَنِيمَةٌ
مَا لِلرِّجَالِ سِوَى الْمَرَاغِدِ مَنَاجِزُ

يتعاونون كأهل دار زلزلت حتى تهر وتططن الدار
يجرون بالرفق الأمور وفلكها والريح دون الفلك والإعصار
ومع المجد بالآناة سلامة ومع المجد بالجماح عتار

يدعو إلى انتخاب الأكفاء الشرفاء

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٢ قال في مطلعها:
أعدت الراحة الكبرى لمن تبعنا وفاز بالحق من لم يأله طلبا
إلى أن قال مشيراً إلى الانتخابات البرلمانية:
دارُ النيابة قد صُفّت أرائكها لا تجلسوا فوقها الأحجار والحشبا
اليوم يا قوم إذ تنون مجلسكم تنون للقب الأيام والحشبا
ومن قصيدته سنة ١٩٢٤ عن (الأزهر):

دار النيابة هيئت درجاتها فليزني في الدرج النواذب والذرا
الصارخون إذا أسى إلى الحصى والذائدون إذا أغير على الرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الألى يمضون في ذهب القيود تبخترا

رؤاى الوطنية

قال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له في رثاء المرحوم عبد اللطيف الصوفانى:

أست من فئة سهام سنوا المحاماة والرما
فتألم بالشباب ضحى ما أعظم الذبح والقداء
ومات أبطلهم جيعا فى غير أوطانهم ظما
ولو أرادوا متاع دنيا لأدركوا الحكم والثراء
قضية الحق منذ قامت لم تأل أركانها بناء
تخذو على مصطفى وتبى بطلا من الحق أقوياء
شرعتمو للشباب ديناً كدينهم بيتاً سواء
لما أتيتم به جعلتم رأساً تصاليمه (الجلاد)
جمعتم مصر ثم سرتم فكنتم الجمع واللواء
وما عرفتم لغير مصر وغير أحيائها ولا

لم تمسحوا للعديد رأساً ولا نفضتم له حذاء
وقال من قصيدة يرثى فيها المرحوم أمين الراضي:

قيل غالب في الرأي قلت هبوه قد يكون القلوع رأيا أصيلا
وقديا بنى القلوع نفوسا وقديما بنى القلوع عقولا
قد فقدنا به بقوة زهط أيقظوا النيل واديا ونزيلا
حركوه وكان بالأمس كالكهف حُزونا وكالرقم سهولا
يا أمين الحقوق أديت حتى لم تحن مصر في الحقوق فتिला
ولو اسطعت زدت مصر من الحق على نيلها المبارك نيلا
لست أنساك قايما بين درجيك مكبا عليها مسفولا
قد تواريت في الخشوع فغالو ك ضئلا وما خلقت ضئلا
سائل (الشعب) عنك و(العلم) الخفاق أو سائل (الواء) الظليلا
تتبدد الناس في (القضية) لحنا كالحواري رتل الإنجيلا
ماضيا في الجهاد لم تتأخر تزين الصف أو تقيم الرعيلا
ما تبالي مضيت وحدك تحمي حوطة الحق أم مضيت قبلا

يدعو إلى النهضة الاقتصادية

قال سنة ١٩٢٠ من قصيدة له في الاحتفال بإنشاء بنك مصر يدعو إلى الاكتتاب في رأس
مال البنك وينوه بفضل المال في نهضة الأمم:

قل بالممالك وانظر دولة المال واذكر رجالا أداؤها بإجمال
إلى أن قال:

يا طالبا لمال الملك مجتهدا خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال بين الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل وإقلال
سراة مصر عهدناكم إذا بسطت يد الدعاء سراعاً غير بخال
تبيين الصدق من بين الأمور لكم فامضوا إلى الماء لا تلوا على الآل
لا يذهب الدهر بين الترهات بكم وبين زهر من الأحلام قتال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا رأيا لرأى ومثقالا بمثقال
هذا هو الحجر الذي يبنكمو فابنوا بناء قريش بيتها العالي

آمال مصر إليها عالما طمحت هل تبتلون على مصر بآمال
فاينوا على بركات الله واغتموا ما هيا الله من حظ وإقبال
وقال في قصيدة أخرى:
الملك بالمال والرجال لم يُن ملك بغير مال

يحیی النهضة النسوية

كان مؤيداً وتصيراً لنهضة المرأة، ألقى هذه القصيدة سنة ١٩٢٤ في جمع حافل من السيدات المصريات بمسرح حديقة الازبكية، وجعل عنوانها في ديوانه (مصر تجدد مجدها بنسائها المتجددات) قال:

قَمِ حَيِّ هَذِي الثِّرَاتِ	حَيِّ الحَسَانَ الخِيرَاتِ
وَإخْفِضِي جَبِينَكِ قَبِيَّةً	لِلخُرْدِ المتخَفِّراتِ ^(١)
زَيِّنِ المَقَاصِرَ والحِجَابَ	لِرِ وَزَيْنِ محرابِ الصلاةِ
هَذَا مَقَامُ الأُمَمَا	بِ فَهَلِ قَدَرْتَ الأُمَمَاتِ؟
لَا تَلْعُ ^(٢) فِيهِ وَلَا تَقُلْ	غَيْرِ الفَوَاصِلِ محْكَمَاتِ
وَإِذَا خَطَبْتَ فَلَا تَكُنْ	خَطْبًا عَلَى بِصَرِ الفتَاةِ
لَا تَكُنْ لَهَا اليَابَانَ لَا	أُمَمُ المَسْوَى المتهتكَاتِ
مَاذَا لَقِيتِ مِنَ الحُضَا	رَةِ يَا أُخَيَّ التَرَهَاتِ
لَمْ تَلْقِ غَيْرَ الرِّقِ مِنْ	عُسْرِ عَلَى الشَّرْقِيِّ عَاضَتِ

خُذْ بِالكِتَابِ وبالحَدِيدِ	ث سِيرَةَ السَّلَفِ الثَّقَاةِ
وَارْجِعْ إِلَى سُنَنِ الخَلِيدِ	بَقَّةٍ وَأَتَّبِعْ نُظُمَ الحَيَاةِ
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ لَمْ	يُنْقِضْ حُقُوقَ المُؤْمِنَاتِ
الْعِلْمَ كَانَ شَرِيعَةً	لِنِسَائِهِ المُتَفَقِّهَاتِ
رُضْنُ التِّجَارَةِ والسِّيَا	سَةِ والشُّؤُونِ الأَخْرِيَاتِ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِنِسَائِهِ	لُجُجُ العُلُومِ الزَّاخِرَاتِ
كَانَتْ سَكِينَةً ^(٣) قَلَّ الدِّ	دْنِيَا وَتَهَزَأُ بِالرَّوَاةِ

(١) الحرد: العفاري، والمتخففات: المستحيات، والحفر هو الحيد، (٢) سكية: بنت المسيح رضى الله عنها،

(٣) لا تلغ: لا تقل باطلا.

آى الكتاب اليمينات
 طُفُّ عن مكان المسلمات
 ت ومنزل المتأديبات
 لم الجوارى^(١) النايغات
 من الهاقاتِ الشاعرات
 كيف اتحاد الغانيات
 أسبابه متعاونات
 لر تفاخرا أو حب ذات
 يع والفتون مضيات
 من الشؤون المهملات
 ير للنجاح موفقات
 وادى هوى فى الصالحات
 طاعاته خير الثبات
 زهر الناقب والصفات
 حتى زدن حض المحسنات
 ب مساومات رابحات
 ت وما ذكرن الهائسات
 ستر على المتجملات
 بنسائها المتجذبات
 د كانه شيع المات
 فرق وبين الموميات
 حة كن خير الحاضرات
 يلبسين الطاهرات
 من إلى الكريهة معلّات^(٢)
 روح الشجاعة والنبات
 بد أو معانقة القناة
 قبل الرجال محرمات

روت الحديث وفسرت
 وحضارة الإسلام تد
 بغداد دار العالما
 ودمشق تحت أمية
 ورياض أندلس
 أدع الرجال لينظروا
 والنفح كيف أخذن فى
 لما رأين ندى الرجا
 ورأين عندمو الصنا
 والبر عند الأغنيا
 أقبلن يبنين الما
 للصالحات عقائل ال
 الله أنبتهن فى
 فأتين أطيب ما أتى
 لم يكف أن أحسن حد
 يمشين فى سوق الثوا
 يلبسن ذل السائلا
 فوجوههن وماؤها
 مصر تجدد بجدها
 النافرات من الجمو
 هل يتهن جوايدا
 لما حصن لنا القضا
 غذيتها فى مهيتها
 وسبقن فيها العلما
 يتفنن فى الفتيان من
 عيون تقييل المهذ
 ويرين حق فى الكرى

(١) الفتيات.

(٢) المعلوم: بفتح اللام: الفرسان لهم علامة فى الحرب لبطولتهم.

يحیی الصحافة

قال سنة ١٩٢٠ من قصيدة له في احتفال أقامته نقابة الصحفيين:
 لكل زمان مضي آيةً وأية هذا الزمان الصحفُ
 لسان البلاد ونبض العباد وكهف الحقوق وحرب الجَنَفُ^(١)
 تسير سير الضحى في البلاد إذا العلم مَرَّقَ فيها السُدفُ
 وتمشى تعلم في أمةٍ كثيرةٍ من لا يخطُّ الألف



فيا فتية الصحف صبراً إذا نبا الرزقُ فيها بكم واختلف
 فإن السعادة غير الظهور وغير الثراء وغير الترف
 ولكنها في نواحي الضمير إذا هو باللؤم لم يكتشف
 وروموا التبوعَ فمن ناله تلقى من الحظ أسفى التحف
 حمدنا بلاءكم في النضال وأمس حمدنا بلاء السلف
 ومن نسى الفضل للسابقين فما عرف الفضل فيها عرف
 أليس إليهم صلاح البناء إذا ما الأساس ساء بالفرق

يتند من يخلد الوطنية

في سنة ١٩٠٤ خطب مصطفى رياض باشا في حفلة تأسيس مدرسة محمد على الصناعية بالإسكندرية خطبة امتدح فيها اللورد كرومر كما امتدح الاحتلال البريطاني.
 وقد أثارت هذه الخطبة سخط الرأي العام واستنكرها المواطنون، وكان شوقي صوت الشعر الناطق باستنكار الخطبة وصاحبها، قال:

كبير السابقين من الكرام برغمي أن أنالك باللام
 مقامك فوق مازعموا ولكن رأيت الحق فوقك والمقام

إلى أن قال:

غمرت القوم ^(١) إطراره وحدا	وهم غمروك بالانعم الجمام
وأوا بالأس أنفك في الثريا	فكيف اليوم أصبح في الرغام
خطبت فكتت خطبا لاخطيبا	أضيف إلى مصائبنا العظام
لهجت بالاحتلال وما أتاه	وجرحك منه لو أحسست دام
وهل تركت لك السبعون عقلا	لعرقان الحلال من الحرام؟

يندد بقاضى دنشواى

كان أحمد فتحى زغلول أحد قضاة محكمة دنشواى الذين أصدرنا ذلك الحكم الجائر فى تلك المأساة سنة ١٩٠٦، وقد رقى بعد ذلك وكيلا لوزارة الحقانية (العدل) وأقيمت له حفلة تكريم فى فندق شيرد دعى إليها شوقى فرفض الدعوة وأرسل فى ظرف معلق هذه الأبيات التى عبر فيها أبلغ تعبير عن تنديده بالاحتفل به وبالاحتفلين:

إذا ما جعتم أمركم وهمتمو	بتقديم شيء للوكيل ثمين
خذوا حبل مشنوق بغير جريرة	وسروال مجلود وقيد سجين
ولا تعرضوا شعرى عليه فحسبه	من الشعر حكم خطه يمين
ولا تقرأوه فى «شيرد» بل اقرأوا	على ملا فى دنشواى حزين

الحنين إلى الوطن

زاد حب شوقى للوطن وتعلقه به فى منفاه بالأندلس، وقد كان نفيه بأمر السلطة العسكرية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٥، وبقي فى منفاه بعيدا عن الوطن نحو خمسة أعوام إلا قليلا، فازداد شعورا بلوعة الحزن على فراقه، واستثار النفي الوطنية الكامنة فى نفسه، وأججت الغربة نارها، فانطلق يشدو بالحنين إلى الوطن.

حسبك منه سينيته الأندلسية، تلك القصيدة المخالدة التى نظمها سنة ١٩١٩ يعارض فيها
سينية البحتري، قال فى مطلعها:

اختلاف النهار والليل يُنى أذكرا لى الصبا وإيام أنسى

وَسَلَا (مصر) هل سلا القلب عنها
كلما مَرَّتْ الليالي عليه
إلى أن قال:

يا ابنة اليم^(١) ما أبوك بخيل
أحرأتم على بلايله الدو
كل دار أحق بالأهل إلا
نفسى يَرْجِلْ وقلبي شراع
واجمل وجهك (الفنار) وجمرا
وطنى لو شِفِلْتُ بالخلد عنه
شهد الله لم يغب عن جفونى

ماله مولعا بمنع وحيس
ح حلال للطير من كل جنس؟
في خبيث من المذاهب رجس^(٢)
بها في اللوع سرى وأرسى
ك يد (الفر) بين (رمل) و (مكس)
نازعتى إليه في الخلد نفسى
شخصه ساعة ولم يخل جسى

والقصيدة من أروع ما نظم شوقى

وله في هذا المعنى قصيدة أخرى رائعة نظمها في منفا يعارض فيها نونية ابن زيدون.
قال:

يائنج (الطلع) أشباه عوادينا
ماذا نقص علينا غير أن يدا
رمى بنا الين^(٣) أيكا غير سامرنا
ثم انتقل من خطاب الطائر الحزين إلى
أها لنا نازحى أيكى بأندلس
رسم وقفنا على رسم الوقاء له
إلى أن قال في الحنين إلى مصر:

لكن (مصر) وإن أغضت على مقو^(٤)
عين من الحاد بالكافور تسقينا

(١) يقصد السفينة.

(٢) يقصد منحب الاستمرار الذى يضطهد الوطن ويضيقهم من التصور عن آرائهم والإعراب عن آمالهم.

(٣) الطلع وأدبا الأندلس، بضاحية أشيلية، يخاطب حامل هذا الودى ويضيقه شيئا به في لوعته وغريته، وعوادينا أى عوادى الدهر وصانته.

(٤) الين: البعد، والأيك: الشجر الكثير الملقف.

(٥) الرقيق: الخصب.

(٦) اللعة: المحبة.

وحول حافلتها قامت رواقينا^(١)
وأربعُ أنستَ فيها أمانينا
ومشربُ لجلودٍ من أولسينا
من بر مصر ورمان يُغاديننا
وباسمه ذهب في اليم تلقينا^(٢)
لحاضرين وأكواب لباديننا
بعد الهدوء وتبي عن مآقينا
هاج الكا فخصنا الأرض باقينا

على جوانبها رقت غائمنا
ملاعِبَ مَرَحَ فيها مآرينا
ومطلع لسمودٍ من أواخرنا
بنا^(٣) فلم نخل من روح يراوحنا
كأَمْ موسى على اسم الله تكفلنا
ومصر كالكرم ذى الاحسان فأكهة
يا سارى البرق يرمى عن جوانحننا
لما تفرق في دمع الساء دما

إلى أن قال مخاطب مواطنيه:

دنياً وودهم الصافي هو الدنيا
ومن مصون هواهم في تتاجينا
في الثابتات فلم يأخذ بأيدينا

إلى الذين وجدنا ود غيرهم
يا من تغار عليهم من ضائرننا
ناب الحنين إليكم في خواطرننا

إلى أن قال يشيد في منفاه بمصر:

في ملكها الضخم عرشاً مثل واديننا
عليه آياتها الفُر الميامينا؟
قبل (القيصر) دنأنا (فراعينا)
في الأرض إلا على آثار بايننا
به يد الدهر لا بنهان فائينا

لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صدت
ألم تؤلِّه على حافاتِه ورأت
وهذه الأرض من سهل ومن جبل
ولم يضع حجراً بان على حجر
كان (أهرام) مصر حائطُ تَحَضَّتْ

إلى أن قال في تحية مصر وتشوقه إليها من منفاه:

مر الصبا في ذيول من تصايينا
غراً مُسَلَّلةً المجرى قوافينا
وثاب من سِنَّة الأحلام لاهينا

أرض الأبوة والميلاد طيبتها
كانت محبلةً فيها مواقينا
فآب من كُرَّة الأيام لاجينا

(١) الرواقى: جمع راقية وهي مايرقى به الصبي دروا للسحر.

(٢) بنا: أى يبدنا.

(٣) شبه مصر حين اضطرت إلى نفيه بأَمْ موسى عليه السلام حين الفقه في اليم صبا وسألت الله أن يكفله.

ولم تَدْعَ لليالِ صافيا فَدَعَتْ بأنْ تَنْصُ فقال الدهر آمينا
لو استطعنا لَحَضُّنا الجَوْ صاعِقَةً والبرُّ نَارَ وَغَى والبحر غَسْلينا^(١)
سَعِيًّا إلى مصر نقضى حقَّ ذاكرنا فيها إذا نسي الوافي وبأكيننا

وقال يذكر والدته بـحلوان وقد توفيت قبيل عودته:

كَتَرَ (بـحلوان) عند الله نَظْلِيه خَيْرَ الودائع من خير المؤدينا
لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا لم يَأْتِه الشوق إلَّا من نواحيننا
إذا حَمَلْنَا لمصر أوله شجننا لم ندر أَى هوى الأَمِين شاجيننا

وقال أيضًا سنة ١٩١٧ في منفاه يحثف بمصر وساكنيها:

يا ساكني يَصْرَ إِنَّا لا نزال على عهد الوفاء وإن غبنا مقيميننا
هَلَّا بهتم لنا من ماء نيلكم شيئًا نبل به أحشاء صاديننا^(٢)
كل المناهل بعد النيل آسنه منأبعد النيل إلَّا عن أمانينا

وقد بعث شوقي بهذه الأبيات إلى صديقه وصنوه حافظ إبراهيم فأجابه حافظ بالأبيات الآتية.

عجبت للنيل يدري أن يلبله صاِدٍ ويسقى رُبَّا مصر ويسقينا
تاqqه ما طاب للأصحاب مورده ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لنا
لم تتأ عنه وإن فارقت شاطئه وقد نأينا وإن كنا مقيميننا

يشيد بعظمة مصر

لقد ملك حب مصر مشاعره فكان يتغنى بعظمتها ويشيد بمفاخرها، وتفيض قصائده بهذا المعنى السامي.

قال في تحية مصر والنيل والهرم من قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ يحیی بها الطائرین العثمانیین سالم وكمال حين قدموها إلى مصر على متن طائرتهما عن طريق العريش وسيناء:

يا راكب الريح حيَّ النيل والهرما وعظَّم السفح من سيناء والحرما

(١) الفسليين: الصديق.

(٢) الصاوي: الطائر.

فَكَانَ أَنْبَتْ مِنْ أطْوَاهِ قِيَامَا
مُوسَى رَضِيْعًا وَعِيسَى الطَّهْرِ مُنِيطَا
وَبُيِّنَتْ لِلْعَبَادِ السَّيْفُ وَالْقَلَامَا
بِهِ وَيَكْشَى عَلَيْهِ النَّهْرُ مُحْتَشَمَا

وَقِفْ عَلَى أَثَرِ مَرِّ الزَّمَانِ بِهِ
وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي حَمَلَتْ
وَأَخْرَجَتْ حِكْمَةَ الْأَجْيَالِ خَالِدَةً
هَذَا قَضَاءُ تَلَمُّ الرِّيحِ خَاشِعَةً

وقال من قصيدة له في أبي الهول:

وَبَلَّغْتَ فِي الْأَرْضِ أَقْصَى الْعَمْرِ
بِئْسَ وَلَا أَنْتِ جَاوِزَتْ حَدَّ الصَّغْرِ
لَرِ لَطْفِ الْأَصِيلِ وَجَوْبِ السَّحْرِ
نَ قَائِيَانِ تُلْقَى غُبَارُ السَّفَرِ؟
لَرِ تَزُولَانِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُنْتَظَرِ^(١)؟
نَ نَجَى الْأَوَانِ سَمِيرَ الْعُصْرِ
نَ رَفِيعَ الْبِنَاءِ جَلِيلَ الْأَنْسَرِ

أَبَا الْهَوْلِ طَالَ عَلَيْكَ الْعُصْرُ
فِيَالِلَّةِ النَّهْرِ^(٢) لَا النَّهْرِ شِدْ
إِلَّامَ وَكُوبِكَ مَتَنَ الرَّمَا
تَسَافِرُ مُنْتَظِلًا فِي الْقُرُو
أَبِينِكَ عَهْدٌ وَبَيْنَ الْجَمَا
أَبَا الْهَوْلِ أَنْتَ نَدِيمُ الزَّمَا
ظَلِيلُ الْحَضَارَةِ فِي الْأَوَّلِيَا

وختمها بقوله:

نَ تَحْرُكُ مَا فِيهِ حَقِي الْمَجَرِ

تَحْرُكُ أَبَا الْهَوْلِ هَذَا الزَّمَا

وقال عن الأهرام من قصيدة له سنة ١٩٢٢:

هَلْ مِنْ بُنَاتِكَ مَجْلِسُ أَوْنَادِ
إِنْ الْأَبْوَةِ مَقْزَعُ الْأَوْلَادِ
مِنْ كُلِّ مَلَقٍ لِلْهَوَى بِقِيَادِ
وَقْتُ الْبَلَاءِ تَفَرَّقَ الْأَضْدَادِ^(٣)
بَاغٍ عَلَى النَّفْسِ الضَّعِيفَةِ عَادِ

قِفْ نَاجِ أَهْرَامَ الْجِلَالِ وَنَادِ
نَشْكُو وَنَفْزِعُ فِيهِ بَيْنَ عِيُونِهِمْ
وَنَبْنِئُهُمْ عِمَتْ الْهَوَى بِتَرَائِهِمْ
وَنَبْنِئُ كَيْفَ تَفَرَّقَ الْأَخْوَانُ فِي
إِنْ الْمَفَالِطُ فِي الْحَقِيقَةِ نَفْسَةٍ



(١) أي يالها الدهر وقرينه فكأنه والدهم توليان.

(٢) يوم القيامة.

(٣) يشير إلى الانقسام الذي حدث سنة ١٩٢٦ بين سعد وعبدل وأتصارها وتصدعت بهيمة الوحدة الوطنية.

قل للأعاصيب الثلاث^(١) مقالة
 ه أنت قبا رأيتُ على الصفا
 لك كالمابِد رَوْعَةً قدسية
 أُسِّسَتْ من أحلامهم بقواعد
 قُمْ قَبْلَ الأحجار والأيدى التي
 وخذ النبوغ من الكنانة إنها

وقال يشيد بعظمة الأهرام من قصيدته (على قبر نابليون):
 خيلة الصِّيد^(٢) وزهو الفاتحين
 حَرَمَ الدهر ومحراب القرون
 كالحطيم الطَّهر عند المسلمين
 لم يكن قبلك خطُّ الحطاطيين
 لك وابتغى في الأولى حاشرين
 قد أحاطت بالقرون الأربعين
 غناية قَصَّر عنها الفاتحون
 بَعْدَ العهد فهل يعتبرون؟
 تم إلى الأهرام واخشع واطرح
 وقهّل إنما تمشى إلى
 هو كالصخرة عند القبط أو
 وتسنّم منبراً من حَجَرٍ
 وادع أجيالا تولت يسمعون
 وأعدّها كلمات أربعا^(٣)
 قد عرضت الدهر والجيش معاً
 عِظَّةٌ قومي بها أولى وإن

قصر أنس الوجود

وقال سنة ١٩١٠ عن قصر (أنس الوجود) بأسوان وكيف يغمره النيل وقت الفيضان، من قصيدة يخاطب فيها الكولونل تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأسبق، وكان قد ألقي خطبة ينتقص فيها من قدر المصريين فرد عليه شوقي بهذه القصيدة:

أيتها المنتجى (بأسوان) داراً
 كالثريا تريد أن تنقُضاً
 لا تحاول من آية الدهر غُضاً
 اخلع النعل واخفِض الطرف واخشع

(١) يريد الأهرام الثلاثة.

(٢) الآراد جمع وأد يريد رأد الضحى؛ وقت ارتفاع الشمس.

(٣) اللوك.

• (٤) يشير إلى الكلمة التي قالها نابليون لجنوده قبيل معركة الأهرام سنة ١٧٩٨ يستحثهم على القتال: «إن أربعمائة فرس تنظر إليكم من فوق قسم هذه الأهرام»

مِسْكًا بَعْضُهَا مِنَ الدُّعْرِ بَعْضًا
سَابِحَاتٍ بِهِ وَأَبْدَيْنَ بِسُفَا
مَشْرِفَاتٍ عَلَى الْكَوَاكِبِ نَهَضًا
وَشَبَابِ الْفَنُونِ مَا زَالَ غَضًا
كَانَ إِتْقَانُهُ عَلَى الْقَوْمِ فَرَضًا
فَسَكَبَتْ الدَّمُوعُ وَالْحَقُّ يُقْضَى
كَيْفَ سَامَ الْهَيْلِ كِتَابِكَ فَضًا
مَنْ يَهْنُ مَجْدَ قَوْمِهِ صَانَ عِزًّا

قَفَّ بِتِلْكَ (الْقَصُورِ) فِي الْيَمِّ غَرَقَى
كَعِذَارَى أَخَقَيْنَ فِي الْمَاءِ بَعْضًا
مَشْرِفَاتٍ عَلَى الزَّوَالِ وَكَانَتْ
شَابَ مِنْ حَوْلِهَا الرِّمَانُ وَشَابَتْ
صَنَعَةُ تَلْهِيشِ الْعَقُولِ وَفَنُ
يَا قُصُورًا نَظَرُهَا وَهِيَ تَقْضَى^(١)
أَنْتَ سَطَّرَ وَبَجَدَ مَصْرَ كِتَابٍ
وَأَنَا الْمُحْتَفَى بِتَارِيخِ مَصْرَ

وقال في يناير سنة ١٩٢٣ بعد اكتشاف كنوز توت عنخ آمون يذكر عظمة مصر الخالدة:

قَفَى يَا أُخْتِ (يُوشَعَ)^(٢) خَيْرِينَا
فَمَثَلُكَ مِنْ رُوى الْأَخْبَارِ طَرَا
أَحَادِيثَ الْقُرُونِ النَّابِرِينَا
وَمِنْ نَسَبِ الْقَبَائِلِ أَجْمِينَا

إِلَى أَنْ قَالَ يَشِيدُ بِحَضَارَةِ قَدَمَاءِ الْمِصْرِيِّينَ وَكَيْفَ بَلَغُوا الشَّأْوَ الْعَظِيمَ مِنَ الْمَجْدِ:

مَشَتْ بِمَنَارِهِمْ فِي الْأَرْضِ (رُومَا)
مُلُوكُ الدَّهْرِ بِالْوَادِىِ أَقَامُوا
تَمَالِىَ اللَّهِ كَانَ السَّحَرُ فِيهِمْ
غَدَاوًا يَبْتَغُونَ مَا يُبْقَى وَرَاحُوا
إِذَا عَمِلُوا لِمَا تُرَى أَعْلَوْا
وَلَيْسَ الْخِلْدَ مَرْتَبَةً تَلْقَى
وَلَكِنْ مُنْتَهَى هِمِّ كِبَارِ
وَسُرِّ الْعِيقَرَةِ حِينَ يَسْرِى
وَأَتْلَوْا الرِّجَالَ إِذَا تَنَاهَتْ
وَأَخَذَكَ مِنْ فَمِ الدُّنْيَا ثَنَاءَ

وقال مخاطبًا توت عنخ آمون:

سَلَامٌ يَوْمَ وَلَرْتِكَ الْمَنِيَا
بِوَادِحِهَا وَيَوْمَ ظَهَرْتَ فِينَا

خرجت من القبور خروج عيسى عليك جلالة في العالمينا

ومن قصيدة أخرى له عن توت عنخ آمون وقد تخيله قد بعث بعد أربعين قرناً ورأى
الاحتلال جاثماً على صدر البلاد فحزن لما رآه وأثر العودة إلى قبره؛ والقصيدة من أروع
ما جادت به قريحة شوقي في الإشاعة بأيجاد مصر وفي المعاني الوطنية، قال في مطلعها مخاطباً
توت عنخ آمون:

قَمِّ سَابِقِ (السَّاعَةِ) وَاسْبِقِ وَعَنَّا	الأَرْضُ ضَاقتْ عَنْكَ فاصْدَعْ غَمِّدَهَا
وَامْلَأْ رِمَاحاً غَوْرَهَا وَنَجِّدَهَا	وافْتَحْ أَصُولَ النَّيْلِ واسترُدَّهَا
شَلَّالَهَا وَعَنْتَهَا وَعِثَّهَا ^(١)	واصْرِفْ إِلَيْنَا جَزْرَهَا وَمِلَهَا

إلى أن قال:

سَافَرَ أَرْبَعِينَ قَرْنًا عَدَّهَا	جِئِ أَتَى الدَّارَ فَأَلْفَى عِنْدَهَا
انْجَلَّتْ رَأً وَجِشَّهَا وَلَوْرَدَهَا	مَسْئُولَةَ الْهِنْدِيِّ تَحْمِي (هِنْدَهَا) ^(٢)
قَامَتْ عَلَى (السُّودَانِ) تَبَيَّ سَنَّا	وَرَكَّزَتْ دُونَ (الْقَنَاةِ) بَيْنَهَا ^(٣)

فَقَالَ وَالْمَسْرَةَ مَا أَشْغَا	لَيْتَ جِدَارَ الْقَبْرِ مَا تَنَهَّيَهَا ^(٤)
وَلَيْتَ عَيْفَى لَمْ تَفَارِقَ رَقَّتَهَا	قُمْ نَبِيَّ يَا (بَنْتُورِ) ^(٥) مَا تَهَا

مِصْرُ الْفَتَاءِ بَلَّغَتْ أَشْغَا	وَأَتَيْتَ الْبِلْمَ الزَّكِيُّ رُشَّغَا
وَلَمِيتْ عَلَى الْهَيْمَالِ وَجَبَّغَا	وَجَرَّيْتُ إِرْغَاءَهَا وَشَلَّغَا

يَارِبِّ قَوْ يَمَّهَا وَشَلَّهَا	وافْتَحْ لَهَا السَّبِيلَ وَلَا تَسْغَا
وَقَسَّ لِكُلِّ خُطْوَةٍ مَا يَمَّهَا	وعن صغيرات الأمور حُلَّهَا

(١) تعهد: انقط.

(٥) بنتور: شاعر مصري قديم.

(١) الحد: الماء الجاري

(٢) الهندي: السيل، وهنكا: في الهند

(٣) الهند: العلم

واصرَف إلى جد الشؤون جَنِّها
ولا تَضَع على الضحايا جهدها
واكْبَحْ هوى الأَنْفَسِ واكسر حَقْلها
واجْمَعْ على الأُمِّ الرُّؤْمِ وَلَنَها

وادی الملوك

وقال سنة ١٩٢٥ في هذا المعنى يذكر توت عنخ آمون وحضارة عصره بعد أن اكتشفت كتوزه في (وادی الملوك):

وَأَتَتْ عَلَى الدُّنْ (١)	درجَتْ على (الكنز) القرونْ
وابن الزواهر من (أمون) (٢)	بِابْنِ الثَّوَابِ مِنْ (دع)
بَذَّ القِبَائِلَ والبَطونْ	نَسَبَ عَرِيْقَ فِي الضَّحَى
غَمَّرَ القَضَاءَ المَفْرَقونْ	أَرَأَيْتَ كَيْفَ يَشُوبُ مِنْ
نَ عَلَى رَحَى الزَّيْنِ الطَّحونْ	وَتَدُولُ أَثَارَ القُرُونْ
خُلُقًا بِهِ تَتَفَرَّدونْ	حُبُّ المَخْلُودِ بِقَى لَكُمْ
نَ بِهِ وَلَا المِتَّاعُونْ	لَمْ يَأْخُذِ المِتَّقِدْمُو
بَانَ فِيهَا تَعْمَلونْ	حَقٌّ تَسَابَقْتُمْ إِلَى الإِحْسَرِ
بَلَ لَا المَقِيرِ مِنَ الشُّنُونْ	لَمْ تَتْرَكُوهُ فِي الجَلِيدِ
يَوْمُ الأَخِيرِ مَتَى يَكُونْ؟	هَذَا القِيَامُ فَقُلْ لَنَا أَلْ
فَإِنْ وَأَنْتُمْ خَالِدونْ	الْبَعَثُ غَايَةُ زَائِلْ
أَتَرَى القِيَامَةَ تَسْبِقونْ؟	السَّيْقُ مِنْ عَادَاتِكُمْ
رَةِ والبِنَاءِ المَحْسَنونْ	أَنْتُمْ أَسَاطِينُ المَضَى
يُجْزَى المَخْلُودَ المِتَّقونْ	الْمِتَّقِنونْ وَإِنَّا

يتغنى بالنيل

نظم هذه القصيدة الرائعة يتغنى فيها بالنيل، فصور الحياة للوادي وأهله، وأبدع في وصف روعته وجماله وجلاله، ثم انتقل إلى قدماء المصريين ومفاخرهم، وهي القصيدة التي تغنيها أم كلثوم فتزيدها بهاءً وجمالاً:

(١) الدن: بالية الحمر.
(٢) دع وأمون من آله مصر القديمة.

وَبَأَى كَفٌّ فِي الْمِدَائِنِ تُفْهِقُ
عَلَيْهَا الْجَنَانُ جَدَاوِلًا تَتَرَقُّقُ
أَمْ أَيْ طُوفَانٍ تَفِيضُ وَتَنْفُثُ
لِلضَّفَتَيْنِ جَدِيدُهَا لَا يَخْلُقُ
فَلِذَا حَضَرْتَ اخْضُوضِرِ الْإِسْتِثْقُ^(١)
وَجِبَاحُكَ الشَّرْقُ الشَّهِيَّةُ دَفْقُ^(٢)
بِالْوَارِدِينَ وَالْإِخْوَانِكَ يَنْفَقُ^(٣)
وَالْأَرْضُ تُفْرِقُهَا فَيَحْيَا الْمَفْرَقُ
مُتَخَبِّطٌ فِي عِلْمِهَا وَمَحْفَقُ

مَنْ أَيْ عَهْدٍ فِي الْقُرَى تَتَدَفَّقُ
وَمِنْ السَّمَاءِ نَزَلَتْ أَمْ فَجَرَتْ مِنْ
وَبَأَى عَيْنٍ أَمْ بِأَيَّةٍ مُزَنَّةٍ
وَبَأَى تَوَلَّى أَنْتَ نَاسِجٌ بُرْدَةٍ
تَسْوَدُ وَيَسْجَا إِذَا فَارَقَتْهَا
أَتَتْ الدَّهْوَرُ عَلَيْكَ مَهْدُكَ مَتَرَعُ
تَسْقَى وَتُطِغِمُ لَا إِنْلُوكُ ضَائِقُ
وَالْمَاءُ تَسْكِبُهُ فَيَسْبِكُ عَسْجَدًا
تُجِبِي مَتَابِعُكَ الْعُقُولَ وَيَسْتَوِي

إِلَى أَنْ قَالَ:

لَمْ لَا يُؤْذَنُ مِنْ يَمُوتُ وَيَرْزُقُ
لِسَوَاكَ مَرْتَبَةُ الْأُلُوهَةِ تَخْلُقُ
الْعِبَادَةَ خَشْيَةً وَتَعْلُقُ
عَلَيْهِ الْمَشَارِعَ مَدَّةً لَا يُلْحَقُ
يَجْرِي عَلَى سَنَنِ الْوَفَاءِ وَيَصْنُقُ
مَنْ رَاحَتِكَ عَمِيمَةً تَتَدَفَّقُ

دَيْنُ الْأَوَائِلِ فَيْلِكَ دَيْنٌ مَرُومَةٌ
لَوْ أَنَّ مَخْلُوقًا يُؤْذَنُ لَمْ تَكُنْ
جَعَلُوا الْهَوَى لَكَ وَالْوَقَارَ عِبَادَةً إِنْ
دَانُوا بِبَحْرِ الْمَكَارِمِ زَاخِرٍ
مَتَقَبِّلٍ بِمَعُودِهِ وَوَعُودِهِ
يَتَقَبَّلُ الْوَادِي الْحَيَاةَ كَرِيمَةً

إِلَى أَنْ قَالَ يَصِفُ مَهْرَجَانَ وَفَاءَ النَّيْلِ عِنْدَ قَدَمَيْهِ الْمَصْرِيِّينَ وَكَيْفَ كَانَتْ «عُرُوسُ النَّيْلِ»
تَقْدِمُ قَرِيَانًا لَهُ كُلِّ عَامٍ:

يُغْنِي كَمَا يُغْنِي الْجَمَالَ وَيُغَشِّقُ
وَمِنْ الْعَقَائِدِ مَا يَلْبُ وَيَحْمَقُ^(٤)
فِي كُلِّ دَيْنٍ بِالْمَهْدَايَةِ تَلْعَقُ
دَيْنٌ وَيَذْفُقُهَا هَوًى وَتَشْوَقُ

وَالْمَجْدُ عِنْدَ الْغَانِيَاتِ رَغِيْبَةٌ
إِنْ زَوَّجُوكَ مِنْ فَهَى عَقِيدَةٍ
مَا أَجَلَ الْإِيمَانَ لَوْلَا ضَلَّةُ
زُفَّتْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ يَحْتَشُرُهَا

(١) النسيج والاسترق: ثوب الحرير.

(٢) الشرق: القرق.

(٣) ينفق ينفق أو ينفق.

(٤) يلبيه أي يصير لبيد.

ولربما حسدت عليك مكانها
 مجلوة في الفلك يحسبو فلكتها
 في مهرجان هزت الدنيا به
 فرعون تحت لوائه وبناته
 حتى إذا بلغت مواكبها المدى
 وكسا سماء المهرجان جلالة
 وتلفتت في اليم كل سفينة
 ألتفت إليك بنفسها ونفيسها
 خلعت عليك حياة ما وحياتها
 وإذا تنهى الحب وافق الفدى

يَرْبِي تَمَسُّحٌ بِالْعُرْسِ وَتَحْدِيقُ^(١)
 بِالشَّاطِئَيْنِ مُزْعِرَةٌ وَمُصَفِّقُ
 أَعْطَافُهَا وَاخْتَالَ فِيهِ الْمَشْرِقُ
 يَجْرِي بَيْنَ عَلَى السَّفِينِ الزُّورِقُ
 وَجَرَى لَهَا يَتَهَ الْقَضَاءُ الْأَسْبَقُ
 سَيْفُ الْمَنِيَّةِ وَهُوَ صَلَّتْ يَبْرِقُ
 وَاتَّالَ بِالْوَادِي الْجَمْعُوعُ وَحَدَّقُوا
 وَأَتَمَّكَ شَيْقَةَ حَوَاهِنَا شَيْقُ
 أَعَزُّ مِنْ هَذَيْنِ شَيْءٌ يُنْفَقُ؟
 فَالْروحُ فِي بِمَا فِي الضَّحِيَّةِ الْبَقُ

إلى أن قال يذكر النبل وأنه مصدر الحياة والحضارة لمصر والوادي:

أصل الحضارة في صعيدك ثابت
 ولدت فكنت المهذب ثم ترعرعت
 ملأت ديارك حكمة مانورها
 وبنت بيوت العلم باذخة النوى
 واستحدثت ديناً فكان فضائلاً
 مهذب السبيل لكل دين بعده
 يدعوا إلى بر ويرفع صالحاً

وَبَنَاتُهَا حَسَنٌ عَلَيْكَ مُخَلَّقُ^(٢)
 فَأَظْلَمُهَا مِنْكَ الْخَفِيُّ الْمُشْفِقُ
 فِي الصُّخْرِ وَالْبَرِّي الْكَرِيمُ مَنِيْقُ^(٣)
 يَسْعَى لِمَنْ مَغْرِبٌ وَمَشْرِقُ
 وَبِنَاءٌ أَخْلَاقِي يَطُولُ وَيَشْهَقُ^(٤)
 كَالْمَسْكِ رِيَاءُ بِأُخْرَى تَفْتَقُ
 وَيَعَافُ مَا هُوَ لِلْمُرُوءَةِ مَخْلَقُ

وقال في ختامها:

يائيل أنت بطيب مانعت (الهدى)
 وإليك يهدي الحمد خلق حازم

وَيَمْدَحُ (التوراة) أُخْرَى وَأَخْلَقُ
 كَفَّ عَلَى مَرِّ الدُّهْرِ مَرْهَقُ^(٥)

(١) الترب من ولد مع الإنسان. الجمع أتراب وأكثر ما تحصل في اللؤنة يتال هذه ترب ثلاثة

(٢) مخلق: متطليح.

(٣) منيق: مصطف.

(٤) يشهق من شهق الجبل ارتفع.

(٥) المرهق: كثير غشيان الناس والأضياف.

وعليك نُجلى من مصونات التهى خوذُ عرائس خدرهن المَهْرَقُ^(١)
 الدرُّ فى لَبَّاتهن مننظم والطيب فى حَبَرَاتهن مسرق
 لى فيك مدحٌ ليس فيه تكلف أملاء حبٌ ليس فيه تملق

وفى الحق أنه لم يوصف النيل فى عظمته وجلاله وماضيه وحاضره وخلوده بأبداع مما وصفه
 شوقى فى هذه القصيدة.

نشيد النيل

ووضع نشيدًا جميلًا للنيل يتفق به الشباب والمواطنون قال:

النيلُ السَّذْبُ هو الكَثَرُ والجنةُ شاطئُهُ الأخضر
 رِيَانُ الصفحةِ والمتنظَّر ما أبهى الخلد وما أنضر

البحرُ الفَيَاضُ القُدْسُ الساقى الناس وما غرسوا
 وهو المتوالُّ لما لبسوا والمتعمِّمُ بالقطن الأنور

جعلَ الإنسانَ له شَرْعًا لم يُفْلَرْ الوادى مِنْ مَرْعى
 فَرى زرعًا يَتَلو زرعًا وهنا يَجْنَى وهنا يُنْزَر

جارٍ ويرى ليس بجارٍ لأنثاقٍ فيه ووقارٍ
 يَنْصَبُ كَتَلٍ منهارٍ ويَضِجُ فتحسبه يَزَار

حَيَشَى اللون كجيرته من منيعه وبحيرته
 صَبَغَ الشَّطِينَ بِسُمرته لونا كالمسك وكالعنبر

النشيد الوطنى

وفى سنة ١٩٢٠ وضع نشيداً وطنياً أقرته اللجنة التى ألفت فى هذا العام لترقية الأغاني الوطنية قال:

بفى مصر مكانكمو تهياً فهياً مهّدوا للملك هياً
خنوا شمس النهار له حلياً ألم تك تاج أولكم ملياً

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا فليس وراءها للعز ركن
أليس لكم بواى النيل عنن وكوترها الذى يحرى شهياً

لنا وطن بأنفسنا نقيه وبالدينا المريضة نفتديه
إذا ما سيلات الأرواح فيه بذلناها كأن لم تعط شيئاً

لنا الهرم الذى صحب الزمانا ومن جذثاته أخذ الأمانا
ونحن بنو السنا العالى غاننا أوائل علموا الأمم الرقيّاً

تطاول عهدكم عزاً وفخراً فلما آل للتاريخ دُخراً
نشأنا نشأة فى المجد أخرى جعلنا الحق مظهرها العليا

جعلنا مصر ملة ذى الجلال وألغنا الصليب مع الهلال
وأقبلنا كصف من عوال يشد السحرى السهرياً

تقوم على النياية محسنينا ونعهد بالتسام إلى بنينا
نموت فداك مصر كما حيننا ويبقى وجهك المقيّد حيّا

نشيد الكشافه

نحن الكشافه في الوادي جبريلُ الروحُ لنا حادي
يأربُّ يبيّسُ والهادي ويمسى خُذ بيد الوطنِ

كشافه مصر وحييتها ومناء الدار ومنيتها
وبحال الأرض وجليتها وطلّاع أفراس المكن

نبتدر الحير ونستبق ما يرزى الخالق والخلق
بالتفس وغالفها نتق ونزيد وثوقا في المحن

في السهل نرفّ رياحيننا ونجوب الصخر شياطينا
نهي الأبدان وتبيننا والمهمة في الجسم المرن

ونخل الخلق وما اعتقدوا ولوجه الخالق نجتهد
نأسو الجرحى ألق وجدوا ونداوى من جرح الزمن

في الصديق نشأنا والكرم والعفة عن مس الحرم
ورعاية طفل أو حرّم والسود عن الفيد الحصن

ونواق الصارخ في اللجج والنار الساطعة الوهج

لانسأله ثمنَ المهج وكفى بالواجب من ثمن

ربِّ فكثُرنا عدداً وابذل لأبوتنا المددا
هيىء لهم ولنا رشداً ياربِّ وخذ بيد الوطن

نشيد الشباب

اليومَ نسود بأيدينا ونعيدُ محاسنَ ماضينا
ونشيدُ العزَّ بأيدينا وطنُ تفديهِ ويُفدينا

وطنُ بالحقِ نُؤيِّده وبعينِ اللهِ نشيِّده
ونحسنه ونزيِّنه بمآثرنا ومساعدتنا

سرُّ التاريخِ وعنصره وسريرُ الدهرِ ومُنبره
وچنانِ الخلدِ وكُوثره وكفى الآباءَ رماحينَا

تتخذُ الشمسُ له تاجاً وضاحاً عَرشاً وهُجلاً
وسباهُ السُّودِ أبراجاً وكذلك كانَ أوالينا

القصرُ يراكم والأُمُّ والكرتاكُ يلعنُ والمهرمُ
ابنى الأوطانِ ألا هيمَ كبناءِ الأولِ يَجَنِّبنا

سَمِياً أبداً سَمِياً أبداً لأثيلى المجدِ وللعليا
ولتجمل مصرُ هى الدنيا ولتجمل مصرُ هى الدنيا

وظل شوقي يتغنى بالوطنية ويفرد للمواطنين والناطقين بالضاد جميعاً ألحان الحرية ويسمعهم
أسمى معاني الإنسانية حتى أدركته الوفاة سنة ١٩٣٢، وظل شعره بعد وفاته وسيظل على الدوام
رمزاً للحكمة والحرية والخلود.

حافظ إبراهيم شاعر النيل

١٨٧٢ - ١٩٣٢



هو صوّ شوقي في إحياء دولة الشعر، ولكن تميز شوقي
بالزعامة كما أسلفنا في الحديث عن شوقي، فإن حافظا
يمتاز عنه بأن نشأته وحياته كانت شعبية، في حين كانت
نشأة شوقي وحياته أرسقراطية، فكان حافظ أقرب إلى
روح الشعب ومشاعره، وأقدر على تصوير آلامه التي
شاركه فيها، واكتوى بلهبها، فكان لذلك أبلغ في التعبير
عنها، وكانت عباراته أسهل وأقرب إلى إدراك معانيها من
عبارات شوقي، لأنه كان يحس إحساساً قوياً أنه يخاطب
الشعب في مجموع مثقفيه وقارئيه.

ولد حافظ إبراهيم سنة ١٨٧٢ من أب مصري وأم من
أسرة تركية، كان أبوه إبراهيم أفندي فهمي مهندساً يشرف على قناطر ديروط حيث ولد
حافظ، وتوفي وحافظ في الرابعة من عمره، فكفله خاله محمد أفندي نيازي وعاش في كتفه
عيشة الطبقات المتوسطة التي كانت أقرب إلى الضيق منه إلى اليسار، فأحس حافظ منذ صباه
بما تعانيه الطبقات الشعبية من جهد ورقة حال، ولما ظهرت مواهبه الشعرية كان الترجمان
الصادق الأمين لهذه الطبقات.

تلقي التعليم الابتدائي وجزءاً من التعليم الثانوي، ولكنه لم يتمه، وانتقل مع خاله إلى طنطا
وكان مهندس تنظيم بها وانقطع حافظ وقتاً ما عن متابعة التعليم، واتجهت نفسه إلى الأدب
والشعر.

واشتغل وقتاً وجيزاً بالمحاماة بطنطا، ولكنه لم يستمر فيها إذ لم يجد من نفسه ميلاً إليها
لما كانت تقتضيه من دأب على العمل المتواصل وهو لم يكن يميل إلى التقيد بمثل هذا الدأب، بل
كان كالطير ينطلق مفرقاً بين مختلف الأشجار والأغصان.

ولقد فكر في أن يكون ضابطاً بالجيش إذ كانت الحياة العسكرية مما يستثير في نفسه روح

الشعر والحيال، أو لعله أراد أن يقلد البارودي في نشأته العسكرية، فالتحق بالمدرسة الحربية بالقاهرة، وتخرج منها سنة ١٨٩١ ضابطاً برتبة ملازم ثان، وكان إذ ذاك في سن العشرين تقريباً، وانتظم في حملة السودان بقيادة اللورد كيتشر سردار الجيش المصري وقتئذ، ولما انتهت الحملة بانفراد الإنجليز بحكم السودان عافت نفسه البقاء في ريعه، فالتمس إحالته إلى المعاش وأجيب طلبه وعاد إلى مصر، وغشى مجالس الشعراء والأدباء والعلماء، وأفاض فيها من شعره وأدبه، فتألفت شاعريته، وعرف له معاصروه فضله ومكانته في عالم الأدب والشعر، وإذا كان الشعر لا يدنو عليه ما يحفظ مكانته من الوجهة المادية فقد عينه أحمد حشمت وزير المعارف في سنة ١٩١١ رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية، وظل بها إلى فبراير سنة ١٩٣٢ إذ أحيل إلى المعاش لبلوغه السن القانونية، وتوفي يوم ٢١ يولييه سنة ١٩٣٢.

كان حافظ شاعراً بطبعه، ظهرت مواهبه الشعرية وهو في السادسة عشرة من عمره، لم يتلقها عن معلم أو أديب، ولا تعلمها في المدارس التي انتظم بها، بل كانت وحى الإلهام والسليقة، فكان يقول الشعر وهو في هذه السن المبكرة، ويأخذ نفسه بالمطالعات الشعرية ويحفظ قصائد فحول الشعراء المتقدمين، واشتدت به الرغبة إلى محاكاتهم في جيد الشعر، فواتته سليقته الشعرية وساعدته على تحقيق رغبته، ويُنعم الزمن أولئك الشعراء، وبلغ الذروة في عالم الشعر والأدب.

وحافظ يمتاز في شعره بقوة البلاغة وإشراق الديباجة وطلاوة الأسلوب والروح الخطابية، ولقد أنصفه شوقي إذ قال في رثائه :

يا حافظ الفصحى وحارس مجدها	وإمام من نجلت من البُلغاء ^(١)
مازلت تهتف بالقديم وفضله	حتى حميت أمانة القدماء
خلفت في الدنيا ياناً خالداً	وتركت أجيالاً من الأبناء
وغدا سيذكرك الزمان ولم يزل	للدهر إنصاف وحسنُ جزاء

أضفت الوطنية على شعر حافظ حالة من العظمة والمجد، فقد كان بلا مراء خير ترجمان للشعب في أحاسيسه وآماله، وخير مواس له في مآسيه وآلامه، وتغنّى بمصر والنيل في قصائده الغرّ، ولعلّ بقاءه في السودان عدة سنين، ومشاهدته غدر الإنجليز هناك، وتدبيرهم في تخييق أغراضهم الاستعمارية، قد زاده سخطاً على الاستعمار واستمساكاً بوحدة وادى النيل، وتجلّت هذه المواهب في شعره في شق المناسبات حتى سمي بحق «شاعر النيل»، وهو إلى جانب ذلك

(١) سجل: أي ولدت.

شاعر الوطنية والاجتماع والأخلاق. كان لا يفتأ يدعو قومه إلى التسليح بالأخلاق في جهادهم للحرية، إذ يرى الأخلاق قوام الجهاد الصحيح، وبلغت دعوته إلى الأخلاق حدَّ الترغيع في مخاطبته لبني وطنه وبجابهتهم بالمحق الصريح.

وحافظ وإن كانت نقافته شرقية إلا أنه قد تعلَّم الفرنسية على كبر، واقتبس من الآداب الفرنسية ما استطاع أن يقتبسه، وساعده ذكاؤه والمُعينة على محاكاة الشعر الغربي أحياناً، وكان يميل إلى التجديد في شعره، وفي ذلك يقول:

آن يا شعر أن تفكَّ قيوداً قِيدَتْنَا بِهَا دَعَاةُ الْمَحَالِ
فَارْفُضُوا هَذِهِ الْكُمَائِمَ عَنَّا وَدَعُونَا نَشْمِ رِيحَ الشَّمَالِ

ولقد نجح حافظ في أن يرتفع بشعره في كثير من المواطن إلى التجديد واقتباس المعاني والأفكار والأساليب الحديثة، فزاد شعره طلاوة ورونيًا موسيقيًا حبيّاه إلى النفوس وجعلها بعض قصائده أشبه بالأغاني والتغاريذ.

الوطنية في شعر حافظ

تجلى الروح الوطنية ويتألق نورها في شعر حافظ، ولقد وجدت الحركة الوطنية في قصائده البديعة قوة تستمد منها الحماسة والصمود في الجهاد، والثورة على الاحتلال.

كان شعره معيناً لا ينضب من الكفاح الوطني، وكان حبه للوطن يملك عليه شغاف قلبه، ويلهمه النود عن حريته واستقلاله، ولقد عبر عن هذه العاطفة الملتهبة بقوله من قصيدة له سنة ١٩٠٠:

مَقَى أَرَى النَّهْلَ لَا تَحُلُو مَوَارِدَهُ لَغِيرِ مُرْتَهَبٍ لِلَّهِ مُرْتَقِبِ
فَقَدْ غَلَّتْ مِصْرُ فِي حَالٍ إِذْ ذُكِرَتْ جَادَتْ جَفَوْنِي لَهَا بِاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ
كَأَنِّي عِنْدَ ذِكْرِي مَا أَلَمُ بِهَا قَرَمَ تَرَدَّدَ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْهَرَبِ^(١)
إِذَا نَطَقْتُ فَقَاعَ السَّجَنِ مَتَكُأً وَإِنْ سَكْتُ فَلِإِنَّ النَّفْسَ لَمْ تَطْلُبِ
أَيْسَتُكِي الْفَقْرَ غَابِئَنَا وَرَأَيْتُنَا وَنَحْنُ نَمِشِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذُّهْبِ!!

وقوله في قصيدة له سنة ١٩٠٩:

لِعَمْرِكَ مَا أَرَقْتُ لِغَيْرِ مِصْرَ وَمَالِي دُونَهَا أَسْلَ مِصْرَ

(١) القرم: أي الرجل للشجاع.

تصول بها الفراغة العظام
وأيام الزمان لها غلام

ذكرت جلالها أيام كانت
وأيام الرجال بها رجال

وقوله من قصيدة له سنة ١٩١٠:

كَمْ ذَا يَكِيدُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي
إِنِّي لِأَحْمِلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً
لَهْفَى عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكَ طَلِيقَةً
كَيْفَ بِحَمُودِ الْحِلَالِ مَتَّيْمٌ

فِي حُبِّ مَصْرٍ كَثِيرَةِ الْعُشَاقِ
يَا مَصْرُ قَدْ خَرَجْتَ عَنِ الْأَطْوَاقِ^(١)
يَجِيئُ كَرِيمَ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقِي
بِالْبَذْلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْإِنْفَاقِ

وقوله من قصيدة له سنة ١٩١٩ نظمها في (ملجأ الحرية):

فَتَعَاهَدْنَا عَلَى دَفْعِ الْأَثَى
وَتَوَاصَيْنَا بِصَبْرِ بَيْنِنَا
أَنْتَشَرْتَ فِي مَصْرٍ شَعْبًا صَالِحًا
كَمْ مَحِبُّ هَائِلٍ فِي حُبِّهَا
وَشَابٍ وَكُهُولٍ أَقْسَمُوا

بِرُكُوبِ الْحَزْمِ حَقَّ نَظْفَرَا
فَقَسَدُونَا قُوَّةً لَا تَزْدَرَى
كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مُنْفَكَّ الْعُرَا^(٢)
ذَادَ عَنِ أَجْفَانِهِ سَرْحَ الْكَرَى^(٣)
أَنْ يَشِيبُوا تَجَدُّعًا فَوْقَ النَّرَا^(٤)

حافظ ومصطفى كامل

عاصر حافظ مصطفى كامل. وكان صديقاً له مسجماً بجهاده. رغم صداقته وصلته بخصوصه السياسيين. وكان مصطفى شديد الإعجاب بشعره وأدبه. وعندما ظهر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠١ قرطه في «اللواء»^(٥) تقرّظاً يدل على عظم تقديره لشاعر النيل وأسهب في الثناء عليه سنة ١٩٠٣ حين عرب كتاب (البؤساء) لفكتور هيجو.

قصيدة حافظ

في حفلة مدرسة مصطفى كامل

ويبدو إعجاب حافظ مصطفى وجهاده في قصيدته التي ألقاها يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٠٦ في احتفال مدرسة مصطفى كامل تعليقاً على خطبة مصطفى. قال في مطلعها:

(٤) النرا: جمع نروة وهي المكان المرتفع.

(٥) عدد ٩ أكتوبر سنة ١٩٠١.

(١) الأطواق: جمع طوق: أي الجهد والطاقة.

(٢) انتشرت: أصبحت.

(٣) الكرى: الغرم.

سَمِعْنَا حَدِيثًا^(١) كَقَطَرِ النَّدَى
وَأَضْحَى لِأَمَالِنَا مَنِيحًا

وقال يستثير في النفوس روح الأمل والحياة وهي الدعوة المحبية إلى الفقيه:

فَدَنِيَاكَ يَا شَرْقُ لَا تَجْزَعَنَّ
فَكَمْ مَحْنَةً أَعْقَبَتْ مَحْنَةً
فَلَا يُؤَيِّسُكَ قِيلُ الْعُدَاةِ
أَتَوَدَّعَ فِيكَ كَنُوزَ الْعُلُومِ
وَتُبْعَثَ فِي أَرْضِكَ الْأَنْبِيَاءُ
وَتَقْضَى عَلَيْكَ قَضَاةُ الضَّلَالِ
أَتَشْقَى بِعَهْدِ سَهْمٍ بِالْعُلُومِ
إِذَا شَاءَ بَمَزٍ لَهَا سَهْمُ سِرِّهِ
وَإِنْ شَاءَ أَدْنَى إِلَيْهِ النُّجُومِ
وَإِنْ شَاءَ زَعَزَعَ شَمَّ الْجِبَالِ
وَإِنْ شَاءَ شَاهَدَ فِي نَزْوٍ
وَمَنْ تَسْخَرُ فِيهِ الرِّيحُ
وَتَكْنُوا الطَّبِيعَةُ لِلْمَارْفِقِينَ
إِذَا مَا أَهَابُوا أَجَابَ الْحَدِيدُ
وَطَارَتْ إِلَيْهِمُ مِنَ الْكَهْرِبَاءِ

إِذَا السُّيُومُ وَلَّى فِرَاقَ غَدَا
وَوَلَّتْ سِرَاعًا كَرَجَعَ الصَّدَى
وَإِنْ كَانَ قِيلًا كَحَزَّ الْمُدَى^(٢)
وَيَعْنَى لَكَ الْغَرْبُ مَسْتَرْفَدًا^(٣)
وَيَأْتِي لَكَ الْغَرْبُ مَسْتَرْشِدًا
طِيَوَالُ اللَّيَالِي بِأَنْ تُرْقِدَا؟
فَأَضْحَى لِلضَّعِيفِ هَذَا أَيْدَا^(٤)
وَأَدْرَكَ مِنْ جَرِيهِ الْمَقْصِدَا^(٥)
فَنَاجَى الْمَجْرَةَ وَالْفَرْقِدَا^(٦)
فَخُفِرَتْ لِأَقْدَامِهِ سُجْدَا
عَوَالِمُ لَمْ تَحْشَى فِيهَا سَدَى
وَيَقْدُو الْجَمَادُ بِهِ مَنِيحِدَا^(٧)
بِمَعْنَى الْوُجُودِ وَبِسِرِّ الْمُنَى
وَقَامَ الْبُخَارُ لَهُ مُسْعِدَا^(٨)
بِرُوقٍ عَلَى السَّلَكِ تَطْوِي الْمُنَى



أَيَّجُمِلُ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَذَاكَ بِأَنْ نَسْتَكِينُ وَأَنْ نَجْمُدَا؟

(١) يقصد خطبة مصطفى كامل في الخلفاء.

(٢) المدي بالضم جمع مديّة؛ وهي السكين.

(٣) مسرّ غدا: أي يطلب المرغوب وهو السطوة.

(٤) الأيدى بتثنية الياء: القوي من الأيدى بمعنى القوة.

(٥) بزه سليبه والسها الكوكب المرفوف أي إذا ساء ذو العلم سلب من السهي سره وأظهره للناس.

(٦) المجرة والفرقد: نحر في السماء.

(٧) يشير إلى الطيران والموتى عراف.

(٨) مسعدا: أي معينا.

وها أمة (الصُفر) قد مهَّدت لنا النهج فاستبقوا المورد^(١)

وقال فيها مخاطبا الشباب:

فيا أيها الناشئون اعملوا
ستُظهر فيكم ذوات القيوب^(٢)
فياليت شعري من منكم
إذا هي نادت يلبي النداء؟

وقال في ختامها مخاطبا مصطفى كامل:

لَكَ الله يا (مصطفى) من فتي
إذا ما حمدتكَ بين الرجال
سيخفى عليك سجلُ الزمان
وصف باسمك أبناؤنا
كثير الأيادي كثير العدا
فأنت الخلق بأن تُحمد
ثناء يُخلد ما خُلدا
إذا آن للزرع أن يُحصدا

والقصيدة من أبلغ شعر حافظ. وتأمل في البيت الأخير منها تجد حافظا يقر لمصطفى بأنه الموجد للحركة الوطنية، وأنه الجدير بأن تعرف الأمة له هذا الفضل عندما يتجنى ثمار هذه الحركة. وقد ظل على هذا الرأي بعد وفاة القعيد وبعد ظهور زعامة سعد زغلول للحركة الوطنية سنة ١٩١٩. وجهر به في رثائه للمرحوم محمد فريد في ديسمبر سنة ١٩١٩، إذا قال مناجيا روح فريد:

قل (لصَبِّ النيل)^(٣) إن لاقيته
إن بصراً لا تق عن قصدها
جئتُ عنها أحمل البشرى إلى
فاسترحِ واهناً ونم في غيطة
في جوار الدائم الفرد الصمد
رغم ما تلقى وإن طال الأمد
(أول البائنين) في هذا البلد
قد بلورت الحب والشعبُ حصدا

فحافظ يعترف هنا أيضاً لمصطفى بأنه أول البائنين في صرح الحركة الوطنية، وبأنه بذر الحب وأن الشعب حصد وجنى نمار ما بذر. ورأى حافظ سنة ١٩١٩ هو تأييد وتوكيد لראيه سنة ١٩٠٦.

(١) أمة الصفر: أي اليابان.

(٢) ذوات القيوب: أي الأقدار التي في عالم القيوب.

(٣) يربد مصطفى كامل.

قصيدة حافظ في حادثة دنشواي

لقيت حادثة دنشواي^(١) صداها في شعر حافظ، فنشر في ٢ يولييه سنة ١٩٠٦ - أى بعد صدور الحكم فيها بخمسة أيام - قصيدته المشهورة عن الحادثة. ندد فيها بسياسة الاحتلال، وسبق بها شوقي بعام، إذ أن شوقي لم يقل قصيدته عن الحادثة إلا بعد عام من وقوعها.

قال حافظ في مطلع قصيدته مخاطبا المحتلين:

أجبا القائمون بالأمر قينا	هل نسيتم ولأنا والوداد
خَفَضُوا جيشكم وناموا هنيئا	وابتغوا صيدكم وجوبوا البلاد
وإذا أُعَوِّزَتْكُمْ ذاتُ طوق ^(٢)	بين تلك الرُّبَا فصيدوا العباد
إنما نحن والهمام سواء	لم تُفَادِرْ أطواقنا الأجياد ^(٣)
لا تظنُّوا بنا العقوق ولكن	أرشدونا إذا ضللتنا الرُّشاد
لا تُقِيدُوا مِنْ أُمَّةٍ بِقَتِيلٍ	صادت الشمسُ نفسه حين صاد ^(٤)

وقال يصف الحادثة وقظائع المحاكمة والتنفيذ:

جاء جُهلنا بأمر وجئت	ضُغِفَ ضغيفه قسوة واشتدادا
أحسنوا القتل إن ضننتم بهفو	أقصاأ أردتم أم كيدا؟
أحسنوا القتل إن ضننتم بهفو	أنفوسا أصبتم أم جمادا؟



ليت شعري أتلک (محكمة التف	تیش) عادت أم عهد(نيرون) عادا؟
كيف يحل من القوى التشفي	من ضغيف ألقى إليه القيادا؟
إنها مثله تشف عن الغي	خط ولسنا لغيتكم أندادا
أكرمونا بأرضنا حيث كنتم	إنما يُكرم الجواد الجوادا
إن عشرين جثة بعد خمس	علمتنا السكون مهبا تهادى

(١) راجع تفصيلها في كتابنا (مصطفى كامل باحث للحركة الوطنية).

(٢) ذات طوق: أى الجملة.

(٣) الأطواق هنا سلاسل الأسر والاعبيد والأجياد الأعناق، جمع جيد.

(٤) أى لا تأخذوا الأمة بقتيل ثبت أنه مات بخربة الشمس، وهو الكابتن بول. وأعاد الحاكم القاتل بالقتيل أى قتله به قودا.

أمة النيل أَكْبَرَتْ أَنْ تُعَادَى مَنْ رَمَاهَا وَأَشْفَقَتْ أَنْ تُعَادَى
ليس فيها إِلَّا كَلَامٌ وَإِلَّا حَشْرَةٌ بَعْدَ حَشْرَةٍ تَتَهَادَى

وقال مخاطباً المدعى العمومى فى القضية:

أَيُّهَا الْمُدَّعَى الْعُمُومِيُّ^(١) مهلاً
قد ضَمَنْا لَكَ الْقَضَاءَ بِمَصْرٍ بَعْضَ هَذَا فَقَدْ بَلَغَتْ الْمَرَادَا
فَإِذَا مَا جَلَسْتَ لِلْحُكْمِ فَادْكُرْ وَضَمَنْا لِنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا
لَا جَرَى النَّيْلُ فِي نَوَاحِيكَ يَا (مَصْرُ) عَهْدَ (مَصْرٍ) فَقَدْ شَفِيتَ الْخَوَادَا
أَنْتَ أَتَيْتَ ذَلِكَ النَّهْثَ يَا (مَصْرُ) وَلَا جَادُكَ الْحَيَا حَيْثُ جَادَا^(٢)
أَنْتَ أَتَيْتَ نَاعِقًا قَلَمَ بِالْأَمْرِ فَأُضْحِي عَلَيْكَ شَوْكًا قَتَادَا
حَسَ فَاذْهَبْ الْقُلُوبَ وَالْأَكْبَادَا



إِيهِ يَا مِثْرَةَ الْقَضَاءِ وَيَا مَنْ سَادَ فِي غَفْلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا
أَنْتَ جَلَادُنَا فَلَا تَسْ أُنَا قَدْ لَبَسْنَا عَلَى يَدَيْكَ الْحِدَادَا

والقصيدة كما ترى من أروع ما قال حافظ، وفيها تصوير لتلك الحادثة الفظيعة التى أظهرت مبلغ الظلم البريطانى ومبلغ هوان المصرى فى نظر الاحتلال، ولقد حمل حافظ بأسلوبه اللاذع القوى على هذا الظلم حملات اهتزت لها أركانه، كما حمل على الضعف الذى كان من أسباب استفعال هذا الظلم. فكانت هذه الحملة دعوة صادقة إلى اطراح الضعف والأخذ بأسباب النهوض والقوة فى محاربة الاحتلال.

قصيدته فى استقبال اللورد كرومر

بعد حادثة دنشواى

وعاد يصف فظائع الاحتلال فى حادثة دنشواى فى قصيدة له قالها فى أكتوبر سنة ١٩٠٦
لناسبة عودة اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى أجازته وكان صاحب الحول والطول وقتئذ فى البلاد.

(قصر الدبارة)^(٣) هل أتاك حديثنا فالشرقُ رُيِّعَ له وَضِجَ الْمَغْرِبُ

(٣) يريد دار المعتمد البريطانى.

(١) إبراهيم الخليلوى.

(٢) الحيا - المطر.

بعد التحية إننى أتعَبُ
بأتت لها أحشأونا تنهَلُبُ

أهلاً بساكنك الكريم ومرحباً
نَقَلْتُ لنا الأسلاكُ عنك رسالةً

إلى أن قال :

يوم الحمام فلن صدرك أرحب^(١)
أُتِيتُ إلى معنى التَّعَبُ تَتَسَبَّبُ^(٢)
ضاق الرجاء بها وضاق المنهَبُ
ليست بغير ولائها تتعنَّبُ
للقوت لا للمسلمين تعصبوا
وسخا يهجهته على من يقصب
لِيبِ القضاء بنا وعزَّ المهرب
فتسابقوا في صيدهن وصوبوا
لو كنت حاضر أمرهم لم يُنكبوا
وسياطهم وحبالهم تتأهب
بعبال من شفقوا ولم يتهبوا
يلقى سياط الجالدين ورحبوا^(٣)
بين الشفاء وطعمه لا يحنَّبُ
يرنو وهذا أجل يترقب
ومعاجز ومناجز ومحزَّبُ
والسمع حول ركابه يتصبب
هو خير ما يرجو العمد ويطلب
يُحْيِي بغيرسها الثناء الطيب

إن ضاق صدر النيل عاً هالَه
أو كلها ياح الحزين بآنيَه
رفقاً عميد الدولتين بأمة
رفقاً عميد الدولتين بأمة
إن أرهقوا صيادكم فلعلمهم
ولربما ضنَّ الفقيرُ بقوته
في (دنشواي) وأنت عنا غائب
حسبوا النفوس من الحمام بديلةً
نكبوا وأقفرت المنازل بعتهم
خليتهم والقاسطون^(٤) برصيدٍ
جُلدوا ولو منيتهم لتعلقوا
شيقوا ولو منعوا الحيار لأهلوا
يتحاسدون على الممات وكأسه
موتان: هذا عاجلٌ متمرُّ
والمستشار^(٥) مكاتِرٌ يرجاله
يختال في أتعابها متبسماً
طاحوا بأربعة فأردوا خامساً
حبٌ يحاول غرسه في أنفُس

(١) يوم الحمام أى يوم عيد الحمام في حادثة دنشواي.

(٢) أُتِيتُ إلى ما زعم الثورود كروير من أن التعب الكيفي هو سبب حادثة دنشواي.

(٣) القاسطون الظالمون.

(٤) أهلوا ورحبوا أى قالوا أهلاً ومرحباً.

(٥) يرید الکهن متخل مستشار وزارة الداخلية. وكان يشرف على تنفيذ الحكم ومعاجز من عاجزت الرجل إذا أتت بما يعمله

عاجزاً. وحزب أى جمع أعوانه وأحزابه فيمضهم يترى الشق ويضعهم يترى الجلد.

كن كيف شئت ولا تكلّ أرواحنا
وأغض على (تُبد) ^(١) إذا ولى القضا
للمستشار فإن عدلك أخضب
رفقا يش له القضاء ويطرب

قصيدته في شكوى مصر من الاحتلال

قالها في يناير سنة ١٩٠٧ :

لقد كان فينا الظلم فوضى فهتبت
تمن ^(٢) علينا اليوم أن أخضب الثرى
أعد عهد (إسماعيل) جلدا وسخرة
عملتم على عزّ الجهاد وذلنا
إذا أخضبت أرض وأجذب أهلها
نهب إلى الدينار حتى إذا مشى
فلا تحسبوا في وفرة المال - لم تُفد
فإن كثير المال - والحفض وارف
حواشيه حتى بات ظلما منظما
وأن أصبح المصري خرا منعا
فإني رأيت المن أنكى وأما
فأغليتم طينا وأرخصتم بما
فلا أطلت نبتا ولا جادها السما
به ربه للسوق ألفاه درهم
متاعا ولم تعصم من الفقر - مغنا
قليل إذا حلّ الغلاء وخيبا ^(٣)

قصيدته في استقالة اللورد كرومر

في الشعر هذا موطن الصدق والهدى
لقد حان توديع العميد وإنه
فودع لنا الطود الذي كان شامخا
إلى أن قال :

يناديك قد أزريت بالعلم والحجا
وأنتك أخضبت البلاد تعمدا
قضيت على أم اللغات وإنه
ولم تبق للتعليم يا (لورد) معهدا
وأجذبت في مصر العقول تعمدا
قضاء علينا أو سبيل إلى الردى ^(٤)

(١) السير يوند وكيل محكمة الاستئناف وأحد نضاة المحكمة المضمومة التي حاكت المتهمين في حادثة دنشواي وكان القاضي الموجه للأستة وقت أسئلته على سوء نيته وميله إلى الانتقام والتشفى.

(٢) يحاطب المقتد البريطاني.

(٣) الحفض سمة العيش يريد أن كثرة المال مع غلاء الأسعار لا تنفي شيئا

(٤) أم اللغات أي اللغة العربية. يشير إلى عبارة الاحتلال اللغة العربية وجعل دراسة العلوم في أكثر المدارس باللغة الإنجليزية.

روافيتَ والقطران في ظل رايةٍ
فطاح كما طاحت (مصوّح) يمهده
حَجَبَتْ ضياءَ الصحف عن ظلماته
وأودعتْ تقريرَ الدواعِ مفاخرًا
غمرتْ بها دينَ النوى وإتنسا
فمازلت (بمالسودان) حتى تمردا
وضاعت مساعينا بأطعاعكم سدى
ولم تستقل حتى حَجَبَتْ (المؤيدا)^(٣)
وأينا جفاء الطبع فيها مجسداً
لنغضب إن أغضبت في القبر (أحدنا)



يناديك أين النابغون يمهّدكم
فما عهد إسماعيل والعيش ضيقُ
يناديك ولُمّت الوزارة هيئَةً
فليس بها عند التشاور من فقي
بربك ماذا صَدْنَا ولوى بنا
أشرت برأى في كتابك لم يكن
وحاولت إعطاء الغريب مكانةً
فياويل مصرٍ يوم تشقى بندوةً
وأى بناء شامخ قد تجسدا؟
بأجذب من عهد لكم سال عَسَجدا
من الصم لم تسمع لأصواتنا صدى
أبى إذا ما أصدر الأمر أودا
عن القصد إن كان السبيل مهّدا؟
سديداً ولكن كان سهلاً مسدداً
تجبر علينا الويل والذلُّ سرمداً
يبيتُ بها ذاك الغريب مسوداً^(١)



ألم يكفنا أننا سلّينا ضياعنا
وزاحمنا في العيش كل ممارسٍ
وما الشركات السود في كل بلدة
على حين لم تبلغ من الفطنة المدي
خير وكنا جاهلين ورُقدا
سوى شركٍ يلقي به من تصيدا

قصيدته في استقبال السير جورست

استقال اللورد كرومر أو أقيل من منصبه في أبريل سنة ١٩٠٧ على أثر حادثة دنشواي،
وخلقه في منصبه السير إلدون جورست، فاستقبله حافظ بقصيدة عبر فيها عن شكوى مصر
من الاحتلال وأثامه، قال فيها في أسلوب التهكم والسخرية:

(١) حجت المؤيد أي منعه من دخول السودان.
(٢) يشير إلى مشروع اللورد كرومر في إنشاء مجلس تشريعي غلط.

أَذِيْقُونَا الرُّجَاءَ فَقَدْ ظَلَمْتَنَا
وَمُنُوا بِالْوُجُودِ فَقَدْ جَهِلْتَنَا
إِذَا أَعْلَوْنَا الصِّبَاخَ فَلَا تَلْمَنَا
عَلَى قَتْلِ الْأَذَى وَالظُّلْمَ يَعْلَمُو
جِرَاحُ فِي النُّفُوسِ تَقْرَنَ نَقْرًا
إِذَا مَا هَاجَهُنَّ أَسَى جَدِيدُ

إلى أن قال:

فَمَا جِئْنَا نَطَاوِلَكُمْ بِجَاءٍ
وَلَكِنَّا نَطَالِبُكُمْ بِحَقٍّ
يَطْوِلُكُمْ وَلَا رُكْنَ شَدِيدٍ
أَضْرَ بِأَهْلِهِ نَقْضُ الْعَهْدِ

وعاد إلى ذكر حادثة دنشواي وكيف كانت مبعث اليقظة والحياة للحركة الوطنية:

رَمَانَا صَاحِبَ التَّقْرِيرِ ظَلَمًا
وَأَقْسَمَ لَا يَجِيبُ لَنَا نِدَاءً
وَيُشَرُّ أَهْلَ مِصْرَ بِاحْتِلَالٍ
وَأَنْتَ فِي النُّفُوسِ لَكُمْ جَفَاءُ
فَأَمَرٌ وَحِشَةٌ بَلَّغَتْ مَدَاهَا
قَتِيلَ الْمَسِّ أَوْرَثَنَا حَيَاةً
فَلَيْتَ (كُرُومًا) قَدْ دَامَ فِينَا
وَيُتَّخَفُ (مِصْرَ) أَنَا بَعْدَ أَنْ
لِنُنْزِعَ هَذِهِ الْأَكْفَانَ عَنَّا
بِكُفْرَانِ الْعَوَارِفِ وَالْكُنُودِ^(١)
وَلَوْ جِئْنَا قَرَأَنَ بِمَجِيدٍ
يَدُومُ عَلَيْهِمْ أَبَدَ الْأَبِيدِ
تَعَهَّدَ بِمَنْهَلِ الصُّلُودِ
وَزُكَاهَا بِأَرْيَمَةِ شُهُودِ^(٢)
وَأَيُّقُظُ هَاجِعَ الْقَوْمِ الرُّقُودِ^(٣)
يُطَوِّقُ بِالسَّلَاسِلِ كُلَّ جَيِّدٍ
بِمَجْلُودٍ وَمَقْتُولٍ شَهِيدٍ
وَتُبْعَتْ فِي الْعَوَالِمِ مِنْ جَدِيدٍ

رثاؤه لمصطفى كامل

في يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ حين شيعت مصر جنازة مصطفى كامل وقف حافظ على قبره .
وأنشد قصيدته الرائعة في رثائه قال:

(١) أعلوني أي علا.

(٢) نثر الجرح سال دمه واتعمل التأم

(٣) صاحب التقرير هو اللورد كرومر.

(٤) يريد بالشهود الأربعة أعدموا في قضية دنشواي وهم أريمة.

(٥) قاتل الشمس هو الكابتن يول الضابط الإنجليزي الذي مات في حادثة دنشواي بخرقة الشمس، يريد أن ما أصاب الناس

من التشكل بسبب هذا القاتل يجعلهم يثرون للمطالبة بالحرية.

فكبرُ وهلل والقي ضيفك جائئاً
شهيدُ العُلا في زهرة العمر ذاوياً
لكان التأسى من جوى الحزن شافياً^(١)
وهيهات أن يأتى به الدهر ثانياً
وأين الحِجَا والرأى؟ ويحك هاهنا
فقد أسكت الصوتُ الذى كان عالياً
إلى المجد فاستعيا النفوس البواليا

أيا قبرُ هذا الضيف آمالُ أمة
عزيزُ علينا أن نرى فيك مصطفى
أيا قبر لو أنا فقدناه وحده
ولكن فقدنا كل شيء بفقدته
فيا سائلى أين المروءة والوفاء
هنيئاً لهم^(٢) فليأمنوا كل صائح
ومات الذى أحيا الشصور وساقه



وإنى أجيذُ اليوم فيك المراتبا
وفيك وإلاً مالذا الشعب باكيا
لما فيه من داء النفوس مداويا
فأسهدتنا حُزناً وأمسيت غافياً

مدحتك لما كنت حياً فلم أجيذُ
عليك^(٣) وإلا مالذا الحزن شاملاً
يموت المداوى للنفوس ولا يترى
وكنا نياماً حينما كنت ساهداً^(٤)



يَرُنُّ كما قد كان بالأس داوياً
فلا تهدموا بناه ما كنت يانيا
قَضَيْتُ وأن الحى قد بات خالياً
وكونوا رجالاً لا تَسْرُوا الأعاديا
تُشارفكم^(٥) عنى وإن كنت بالها
أخاف عليكم في الحلات الدواها

شهيد الملا لا زال صوتك بيننا
يُجيبُ بنا؛ هذا بناء أقمته
يصيح بنا؛ لا تشمروا الناس أنى
يناشدنا بناه ألا تَفَرَقُوا
فَرُوحى من هذا المقام مطلةً
فلا تحزنوها بالخلال فإنى



على العهد مادمتما فتم أنت هانيا
وصوتك مسموعٌ وإن كنت نائيا

أجل أيا الداعى إلى الخير إتنا
بنائك محفوظ وطيفك مائلٌ

(١) ساهداً: ساعداً.

(٥) تشارفكم أى تنظر إليكم من علو.

(١) التأسى بحق الصبر.

(٢) يريد الإنجليز.

(٣) عليك: أى عليك الحزن.

عَهْدُكَ لَا تَبْكِي وَتُتَكَرُّ أَنْ يُرَى
فَرَحُصْ لَنَا الْيَوْمَ الْبُكَاءَ وَفِي غَدٍ
فِيضَائِلَ إِنْ لَمْ تَجْرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ
وَيَا (مِصْرَ) إِنْ لَمْ تَحْفَظِي ذِكْرَ عَهْدِهِ
وَيَا أَهْلَ (مِصْرَ) إِنْ جَهِلْتُمْ مَصَائِكُمْ

* * *

ثَلَاثُونَ عَامًا^(١) بَلْ ثَلَاثُونَ دُرَّةً
سَتَشْهَدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ
بِجَيِّدِ اللَّيَالِي سَاطِعَاتٍ زَوَاهِيَا
فَقَى مُفْرَدًا بَلْ كُنْتُ جَيْشًا مُقَازِيَا

قصيدته في حفلة الأربعين

وله في رثاء مصطفى قصيدة أخرى ألقاها في حفلة الأربعين قال:

نَشَرُوا عَلَيْكَ نَوَادِي الْأَزْهَارِ^(٢)
زَيْنَ الشَّبَابِ وَزَيْنَ طُلُوبِ الْعُلَا
غَادَرْتَنَا وَالْحَادِثَاتُ بِمُرُودٍ
مَا كَانَ أَحْوَجُنَا إِلَيْكَ إِذَا عَدَا
أَيُّنَ الْخَطِيبِ وَأَيُّنَ خَلَابِ النُّهَى؟
بِاللَّهِ مَالِكَ لَا تَجِيبُ مَنَادِيَا
قُمْ وَامْضِ مَا خَطَّتْ يَمِينُ (كِرُومِي)
قَدْ كُنْتُ تَغْضِبُ لِلْكُنَانَةِ كُلِّهَا
غَضِبَ التَّقَى لِرُبِّهِ وَكَتَابِهِ
قَدْ ضَاقَ جِسْمُكَ عَنْ مَدَاكَ فَلَمْ يُطِقْ
أَوْدَى بِهِ ذَاكَ الْجَهَادَ وَهُدَى
لَيْتَ يَمِينُكَ بِالْإِرَاعِ قَسَاجَزَتْ
وَجَرِيتُ لِلْمَلِيَاءِ تَبْغِي شَأْوَهَا

وَأَتَمَيْتُ أَنْثَرُ بِمِثْنِهِمْ أَشْعَارِي
هَلْ أَنْتَ بِالْمُهْجِ الْحَزِينَةِ دَارِي؟
وَالْعَمِيشُ عَيْشٌ مَذْلَةٌ وَإِسَارِ
عَادٍ وَصَاحِ الصَّائِحُونَ: بِدَارِ
طَالَ انْتِظَارُ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ
مَاذَا أَصَابَكَ يَا أَبَا الْمَغْوَارِ؟
جَهْلًا بِدِينِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
هَمَّتْ وَهَمَ وَجَاؤُهَا بِعَمَارِ
أَوْ غَضَبَةً (الْفَارُوقُ لِلْمَخْتَارِ)^(٣)
صَبْرًا عَلَيْكَ وَأَنْتَ شُعْلَةُ نَارِ
عَزَمْتُ بِهِدْ جَلَائِلَ الْأَغْطَارِ
لِجِبِ الْفَوَارِسِ بِالْقَنَا الْخَطَّارِ^(٤)
بَدَرْتُ إِلَيْهِ غَوَائِلَ الْأَقْدَارِ؟

* * *

(١) إشارة إلى عمر القيد وهو رقم تقريبي لأنه توفي في الرابعة والثلاثين من عمره.

(٢) نواحي الأزهار: أي الرطة المبللة بالندى.

(٣) الفاروق: عمر بن الخطاب، والمختار: النبي عليه الصلاة والسلام.

(٤) القنا: الرماح.

وشهدتُ موكبهُ ففَرُّ قرارى^(١)
 بالكهرباءِ وطائرٌ يبخار
 وعلمتُ منه مراتبَ الأقدار
 حقَّ الولاءِ وواجبَ الإكبار
 يمشون تحت (لوائك) السَّيار
 للحزنِ أسطَراً على أسطار
 ركبَ الحجيجِ بكعبةِ الزَّوار
 عند المصلَّى ينصتون لقرارى
 تجرى بلا كلح^(٢) ولا استتار
 ما بين سميلٍ دافقٍ وسَّرار
 فيصنقُ متدفقُ التَّيار
 لقضيتُ بين سراجلٍ وبخار

عزَّ القرارُ على ليلةٍ نعيمه
 وتساقطت فيه النِّماءُ فطائرُ
 شاهدتُ يومَ الحشرِ يومَ وفاته
 ورأيتُ كيف تغيَّ الشعوبُ رجالها
 تسمون ألقاً حولَ نعشك خُشَعُ
 خطوا بأدمعهم على وجه النُّرى
 أنا يوالون الضَّجيجُ كأنهم
 ونحَّالهم أنا لفرطِ غنوعهم
 غلب الخشوعُ عليهم فلموعهم
 قد كنت تحت دموعهم وزفيرهم
 أسعى فيأخذنى اللهبُ فأنتقى
 لولم ألدُّ بالنَّعشِ أو بظلاله

* * *

هتكتُ عليك حرائرَ الأستار
 في النعشِ لا غيراً من الأخبار
 وجبة الحُمارِ فلم تَلدُ بخمار^(٣)
 سترٌ من الأحزان والأكدار

كم ذات غدٍ يوم طاف بك الردى
 سَفَرْتُ تودع أمةً محمولةً
 أُنِتَّ عيون الناظرين فمزقتُ
 قد قام ما بين العيون وبينها

* * *

منك الوداد فكان خيرَ شمار
 في طيِّة يسار من الأسرار
 يتعانقان على شفيرِ هارى
 لِنَوَى مَرَوَعَةٍ وبعد مزار
 ما بين حَرٍّ أَسَى وحَرٍّ أَوَار^(٤)
 رجلاً يناضل عنه يوم فجار
 باتت تُقاس بأطول الأعمار

أُدرجتُ في العَلَمِ الذى أَصْفَيْتَهُ
 عَلَّمان^(٥) من فوق الرُّوسِ كلاهما
 ناداهما داعى الفراق فأَسِيا
 تاقه ما جزع المحب ولا بكى
 جزع (الهلل) عليك يوم تركته
 متلفتاً متحيراً متخيراً
 إن الثلاثين التى بك فاخرت

(١) أى استقرت نفسه بعد أن شهد وفاة الأمة للفقيد في موكب الجنازة.

(٢) الكلب المبرس أى تجرى الدموع طليحتها بلا عيوب.

(٣) الحمار: المجاز.

(٤) يريد بالملحنين الفقيد فهو علم الرُّبُوعِ والثاني علم الرُّبُوعِ.

(٥) الأسى: الحزن؛ والأوار: الظلم والنقص، أى الصلح إلى الفقيد.

ضمت إلى التاريخ بضع صحائف
شبهتهن بنقطة عطرية
خلفتها كالشئ يحذو حذوها
ماذا على السارى وهن^(١) منائر
بيضاء مثل صحائف الأبرار
وسعت محصل روضةٍ يعطار^(٢)
راجى الوصول ومقتضى الآثار
لو سار بين مجاهل وقفار



ما زلت تختارُ المواقف وعرة
وهملت سوراً قد أجاد بناءه
ووصلت بين شكاتنا ومشايخ
كشفوا الغطاء عن العيون فأبصروا
نبهوا كلام (اللورد) حين تبينوا
ورماهم مجلدين^(٣) رَمَوْهَا
حقى وقفت لذلك الجبار^(٤)
فرعون^(٥) ذو الأوتاد والأنهار
في (البرلمان) أجلّة أخيار
ماني الكنانة من أذى ويضرار
حَتَقَ المغيظ ولهجة الثرثار
في رتبة الأصفار لا الأسفار



وأما على تلك المواقف إنها
لم يَلَوْه عنها السوءُ ولا نفي
فأهنا بمنزلك الجديد ونم به
واستقبل الأجرَ الكبير جزاء ما
نعم الجزاء ونعم ما بلغت
كانت مواقف ليت غاب ضارى
من عزمه قول المريب: حذار
في غبطةٍ ونعم بخير جوار
ضَحِيتَ للأوطان من أوطار
في منزليك^(٦) ونعم عقبى الدار

قصيدته في الذكرى الأولى للفقيد

وله قصيدة ثالثة ألقاها عند قبره يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٩ في الاحتفال بإحياء ذكره
الأولى، وهي من أبلغ روائع الشعر العربي، قال:
طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا^(٧) واقضوا هنالك ما تقضى به الذمم

(١) الروضة للمطار: هي الكتبة الأظفار والرياحين.

(٢) من إشارة إلى التلايين عاماً: أى ماذا على السارى في المجاهل والتفكر إذا انتهى بمرور هذه الأعلام.

(٣) اللورد كرومر.

(٤) شبه كرومر بفرعون.

(٥) يريد بالمجلدين كتاب مصر الحديثة للورد كرومر.

(٦) أى الدنيا والآخرة.

(٧) استلم القبر: قبله أولسه يمد.

ضاقَت بِأَمَالِهِ الْاِقْدَارَ وَالْهَمَمَ
فِي الشَّرْقِ فَجَرَّ تَحِيَّ ضَوْءِهِ الْأُمَمَ
نَشْرًا تَسِيرُ بِهِ الْأَمْثَالُ وَالْحِكَمُ
لِطَالِبِ الْحَقِّ رُكْنًا لَيْسَ يَنْهَدِمُ
حَامِيَ الثَّمَارِ هَذَا الشَّهْمَ الَّذِي عَلِمُوا

هَذَا جَنَانُ تَعَالَى اللَّهِ بَارِئُهُ
هَذَا قَمٌّ وَبِنَانُ لَاحِ بَيْنِهَا
هَذَا قَمٌّ وَبِنَانُ طَالِمَا نَتَرَا
هَذَا الْكَيْمِيُّ^(١) الَّذِي شَادَتْ عِزَاتُهُ
هَذَا الشَّهِيدُ هَذَا رَبُّ اللُّوَاءِ هَذَا

* * *

لَيْهَنَكَ النَّوْمُ لَا هَمٌّ وَلَا سَقَمٌ
عِنْدَكَ الْمَنَابِرُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
إِلَّا أَهْيُ ذِكْرِي الْقَلْبُ مَضْطَرِمٌ
آثَارُهُ عَمَمٌ أَمَالُهُ أُمَمٌ

يَا أَيُّهَا النَّائِمُ الْهَانِي بِمُضْجَعِهِ
بَاتَتْ تَسَائِلُنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
تَرَكْتَ فِينَا فِرَاعًا لَيْسَ يَشْغَلُهُ
مُتَفَرِّ النَّوْمِ^(٢) سُبُاقُ لِفَاقِهِ

* * *

رَوْحًا يَجِفُّ بِهَا الْإِكْبَارُ وَالْعِظَمُ
أَرَى مُحْيَا يَحْيِينَا وَيَسْتَسِمُ
هَذَا فِي النَّيْلِ هَذَا الْفَرْدُ الْعَلَمُ
مِنَ الْقُلُوبِ إِذَا لَمْ تَبْعُدْ^(٣) الْكَلَمُ
فَنَحْنُ فِي مَوْقِفٍ يَحُلُو بِهِ الْقَسَمُ

إِنِّي أَرَى وَفِي زَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي
أَرَى جِلَالًا أَرَى نُورًا أَرَى مَلَكًا
اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا الْوَجْهَ أَعْرِفُهُ
غَضُّوا الْعَيُونَ وَحَيَّوْهُ تَحِيَّتَهُ
رَأْسِمُوا أَنْ تَنْوَدُوا عَنْ مِلَادَتِهِ

* * *

لَمَّا سَكَنْتَ وَلَمَّا غَالَكَ الْعَمَمُ
وَنَسْتَمِدُّ وَنَسْتَعْدِي^(٤) وَنَحْتَكِمُ
عَفَّ الْجَفَاءُ^(٥) وَأَعْلَى صَوْتِنَا الْأَلَمُ
إِنْ الضَّعِيفُ عَلَى الْمَحَالِينَ مُتَّهَمٌ
وَاللَّهُ يَمْلِكُ أَنْ الظَّالِمِينَ هُمُ
إِنْ نَطَقْنَا تَنَادَا: قَتْنَةُ عَمَمٍ

لِيَبْلِكَ نَحْنُ الْأَوَّلَى حَرَكْتَ أَنْفُسَهُمْ
جِئْنَا نُؤَدِي حَسَابًا عَنْ مَوَاقِفِنَا
قَبِيلَ اسْكُتُوا فَسَكْتْنَا ثُمَّ أَنْطَقْنَا
قَدْ أَتَيْنَا وَلَمَّا نَطَلَبْ جِلَالًا
قَالُوا لَقَدْ ظَلَمُوا بِالْحَقِّ أَنْفُسَهُمْ
إِذَا سَكْتْنَا تَنَاجَرُوا: تِلْكَ عَادَتُهُمْ

* * *

(٤) نَسْتَمِدُّ: نَطْلُبُ لِلدُّدِّ وَنَسْتَعْدِي: نَسْتَعْمُرُ.

(٥) عَفَّ بِالْجَفَاءِ لِلْمُطْلَقِينَ الْجَنَاتِ.

(١) الشَّجَاعِ.

(٢) مُتَفَرِّ النَّوْمِ أَيْ سَهْوِهِ.

(٣) أَسْعَدَ: أَعَانَهُ.

قد مرَّ عامٌ بنا والأمرُ يحزننا^(١) فالتاس في شدةٍ والنحر في كلب^(٢)
والسياسة فيناكلُ آونةً بينا نرى جمرها تحشى ملامسه
تصفي لأصواتنا طوراً لتخدعنا فمن ملاينةٍ استأرأها خدعُ

* * *

ماذا يريدون^(٣)؟ لا قرَّت عيونهم إن الكنانة لا يطوى لها علمُ
كم إمة رغبَتْ فيها فما رسخت لها - على حوالها^(٤) - في أرضها قدم
ما كان ربك ربَّ البيت تاركها وهي التي بحبالٍ منه تعصم

* * *

ليبك إنا على ما كنت تمهده حتى تسود وحق تشهد الأمم
فيعلم النبل أنا خيرٌ من وودوا ويستطيل اختيالاً ذلك المرم
إلى أن قال:

يا أيها النشء سيروا في طريقته وثابروا: رضى الأعداءُ أو تقموا
فكلكم (مصطفى) لوسار سيرته وكلكم (كامل) لوجازة^(٥) السأم
قد كان لا وائياً يوماً ولا وكلاً^(٦) يستقبل الخطب بسأماً ويفتحم
وأنت يا قبر قد جئنا على ظمأ فجد لنا بجوابٍ جادك الدميم^(٧)
أين الشباب الذي أودعت نضرته أين الحلال - رعاك الله - والشيم؟
وما صنعت بآمالٍ لنا طويت يا قبر فكيف وعفى رسمها القدم؟
ألا جوابٌ يروى من جوانحننا؟ ما للقبور إذا ما نوديت نجم^(٨)؟

(١) حزه الأمر: اشتد عليه.

(٢) الكلب الشدة.

(٣) يريد المحتل.

(٤) الحول: القوة.

(٥) جازة: أي جازة.

(٦) الوكل: المايز الذي بكل الأمر إلى غيره.

(٧) الدميم جمع دبة السحاب.

(٨) وجم بهم سكت عن اللحم.

ثم أنت يكفيك ما عاتيت من تعب فنحن في يقظة والشمل ملتئم
هذا (لواؤك) خفائق يظللنا وذاك شخصك في الأكباد مُرْتَسَم

تحية العام الهجري

أعد الشباب في سنة ١٩٠٩ (١٣٢٧ هجرية) احتفالاً كبيراً بالعام الهجري الجديد تولى الطلبة تنظيمه برعاية نادى المدارس العليا، وكان احتفالاً رائعاً أقيم بهدار التمثيل العربي مساء الجمعة غاية ذى الحجة سنة ١٣٢٦ (٢٢ يناير سنة ١٩٠٩) برأسة أحمد بك لطفى، وألقى فيه حافظ قصيدته المشهورة في تحية العام الجديد. قال في مطلعها:

أطلّ على الأكوان والخلق تسطرُّ هلالاً رآه المسلمون فكبروا
تجلى لهم في صورة زاد حسنيتها على الدهر حسناً أنها تتكرر
ويشهرهم بمن وجهه وجبينه وغرته والناسطرين مبشر
وأذكرهم يوماً^(١) اغرّ بحجلاً به توجّ التاريخ والصدّ مسفر
وهاجر فيه خير دأع إلى الهدى يحفّ به من قوة الله عسكر
يماشيه جبريل وتسعى وراءه متلازمة ترعى خطاه وتخفر
يسرّاه برهان من الله ساطع هدى ويمنّاه الكتاب المطهر
فكان على أبواب (مكة) ركبته وفى (يثرب)^(٢) أنواره تتفجّر
مضى العام ميمون الشهور مباركاً نعتد آثاراً له وتسطرّ
مضى غير مذموم فإن يذكروا له هناتٍ فطبع الدهر يصفو ويكثر
وإن قيل أودى بالألوف اجابهم بحب لقد أحيا الملايين فانظروا
إذا قيس إحسان امرئ بإساءة فأرى عليها فالإساءة تفقر
ففيه اقام النائمون وقد اتت عليهم كأهل الكهف في النوم اعصر
وفى عالم الإسلام في كل بقعة له أثر باقٍ وذكرٌ ممطر

وبعد أن سرد الحوادث في مختلف البلاد الإسلامية طوال العام المنصرم، عرج على الحركة الوطنية في مصر فحيّاها أحسن تحية وكان ترجمان الشعر والأدب في تمجيدها وتأييدها، قال:

(١) يرمز يوم هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة.

(٢) المدينة المنورة.

وفيه سرّت في مصر روحٌ جديدةٌ
 خبّت زمننا حتى توهّت أنها
 تصدّى فأورأها وهيهات أن يرى
 مضى زمن التّسويم يا نيل وانقضى
 وقد كان «مرفين» الدهاء مخدراً
 شعرنا بحاجات الحياة فلن وقت
 شعرنا وأحسننا ويات نفوسنا
 إذا الله أحيّا أمة لن يردها

وحيا الشباب بقوله:

رجال الغد المأمول إنا بحاجة
 رجال الغد المأمول إنا بحاجة
 رجال الغد المأمول إنا بحاجة
 رجال الغد المأمول إنا بحاجة
 رجال الغد المأمول إنا بحاجة
 رجال الغد المأمول لا تتركوا غداً
 رجال الغد المأمول إن بلادكم
 عليكم حقوقٌ للبلاد أجلها
 قصارى مَنى أوطانكم أن ترى لكم
 فكونوا رجالاً عاملين أعزة

وعرج على حركة المطالبة بالدستور، قال:
 وياطلبي (الدستور) لاتسكتوا ولا
 أعدوا له صدر المكان فلاننى
 ولاتطفقوا إلا صواباً فلاننى
 فما ضاع حق لم ينم عنه أهله

مباركة من غيرة تشعمر
 تجافت عن الإبراء لولا (كرومر)^(١)
 سبيلا إلى إخمادها وهي تزفر
 ففي مصر إيقاظٌ على مصر تسهر
 فأصبح في أعصابنا يتخدر
 عزائمنا عن نيلها كيف نُعزّر؟
 من العيش إلا في ذرا العز تسحر
 إلى الموت قهّار ولا متجسّر

إلى قصادٍ تبنى وشعبي يعمر
 إلى مصلح يدعو وداع يذكّر
 إلى عالم يندى وعلمي يقرّر
 إلى حكمة تملى وكف تمهّر
 إلهم فسدوا التقصّ فينا وشمروا
 يمر مرور الأس والعيش أغبر
 تناشدكم بالله أن تتذكروا
 تمهّد روض العلم فالروض مقفر
 يداً تهتق مجداً ورأساً يفكر
 وصونوا همى أوطانكم وتحرروا

تبيتوا على يأس ولا تنزعجروا
 أراه على أبوابكم يستخطف
 أخاف عليكم أن يقال تموروا
 ولا ناله في العالمين مقصّر

(١) خست خدمته، وتجاقت: تعادلت. وإبراء النار: إشمالاً. وكرومر هو اللعند البريطاني في ذلك الحين والحاكم المطلق في مصر وقتئذ، يريد أن فطّاح كرومر قد اشعلت روح الكرامة للاحتلال.

لقد ظفر الأتراك عدلا بسؤلهم^(١) ونحن على الآثار لا شك نظفر
هم لهم العام القديم مقنن^٢ ونحن لنا العام الجديد مقدر

وقد قولت القصيدة بالتصفيق والإعجاب والحماسة البالغة من الحاضرين، وكان
إلقاؤه رائعا أخذا، ولبت في إلقائه ساعة من الزمان كاملة.

وفي ١٢ يناير سنة ١٩١٠ أقام الشباب أيضا احتفالا فحفا بعيد رأس السنة الهجرية
(١٣٢٨) بمسرح (البيلوت باسك) بشارع عماد الدين، والتقى فيه حافظ قصيدة من أبلغ
شعره، قال في مطلعها يحى هلال العام الجديد:

لى فيك حين بدأ سنّاك وأشرقّا أسألُ سألتُ الله أن يتحقّقّا

ثم ذكر العام الذى مضى وما أصاب مصر فيه من كوارث، قال:

أشرق علينا بالسعود ولا تكن كأخيك مشنوم المنازل أخرقّا

إلى أن قال ينمى حرية الصحافة ويذكر ما أصابها من الضغط والاضطهاد:

ورمى على أرض الكنانة جرمه بالنّازلات السّود حتى ارهقا
حصدت مناجله غراس رجائنا ولو أنها أبقت عليه لأورقا
فتقيدت فيه (الصحافة) عنوة ومشى الهوى بين الرعية مطلقا
وأقى يساوم في (القناة) خديعة ولو أنها تمت لثم بها الشقا^(٣)
إن الهيلة أن تُباع وتُستوى مصر وما فيها وأن لا تنطقا
كانت تواسينا على آلمنا صف إذا نزل البلاء وأطبقا
فإذا دعوت الدمع فاستعصى بك عنا أسى حتى تقص وتشرقّا
كانت لنا يوم الشدائد اسهبا نرمى بها وسوايقا^(٤) يوم اللقا
كانت صامسا للنفوس إذا علت فيها المصنوم وأوشكت أن تزها
كم نفست عن صدر حرّ واجد^(٥) لولا الصمام من الأسى لتمزقا

(١) يريد إعلان الدستور في تركيا عام ١٩٠٨.

(٢) يشير إلى مشروع مد امتياز قناة السويس وقد ظهر في أواخر سنة ١٩٠٩ ورفضته الجمعية العمومية في أبريل سنة ١٩١٠.

(٣) السوايق من صفات الخيل، أى كانت لنا عنة في الجهاد.

(٤) الواجد: المزين.

مالي انوح على الصحافة جازعاً
قصوا حواشيها وطنوا أنهم
وأثوا بعبادتهم^(١) يكيدها بها
ماذا لم بها وماذا احذقنا
اينوا صواعقها فكانت أصعقا
يتى عزائمها فكانت أحذقنا

وقال يخاطب الشباب ويهيب بهم أن يعملوا ليردوا إلى مصر مجدها واستقلالها:

أهلاً بنا بنة البلاد ومرحباً
لا تياسوا أن تستردوا مجدكم
مدت له الآمال من أفلاكها
فتجشموا للمجد كل عظمية
من رام وصل الشمس حاك خيوطها
جددت العهد الذى قد أخلقنا
فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى
خيطة الرجاء إلى العلا فتسلقا
إنى رأيت المجد صعب المرتقى
سبها إلى آماله وتعلقا



عاز على ابن النيل سباق الورى
أو كلما قالوا تجمع شملهم
فتدققوا حجباً وحوطوا نيلكم
حملوا علينا بالزمان وصرفه
هزوا مقاربا فهايت بأسهم
فتعلموا فالعلم مفتاح العلا
ثم استمدوا منه كل قواكم
وابتو حوالى حوضكم من يقظة
وذنوا الكلام وسندوه فليتهم
وامشوا على حذر فلن طريقكم
نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا
الموت فى غشيانسه وطروقته
مها تقلب دهره أن يسبقا
لسب الشقاق بجمعنا فتفرقا
فلكم أفاض عليكم وتدفقا
فتأنقوا فى سلينا وتأنقا^(٢)
يا ويلكم إن لم تهزوا المشرقا^(٣)
لم يبق بابا للمعادة مقلقا
إن القوى بكل أرض يتنقى
سورا وخطوا من حذار خندقا
خباؤا لكم فى كل حرف مزلقا
وعرأ طاف به الهلاك وحلقا
للسالكين بكل فج موبقا^(٤)
والموت كل الموت ألا بطرقا^(٥)

(١) بريد بطرس غالى رئيس الوزراء. ولكن ليق أن تبة ذلك يتصلها الوزراء جميعا لا بطرس غالى وحده.

(٢) أى حاربنا المحتلون بأحداث الزمان ونواهد وتأتى فى الأمر: أى بالغ فيه.

(٣) يشير إلى الإنجليز: أى أنهم مدوا سلطانهم فى دول القربى ويدعو للصرب إلى أن يميلوا لمصر هذه الكاتبة فى الشرق.

(٤) الفج: الطريق، الموق: الهلاك.

(٥) أى إذا كان فى الإقدام موت فإن فى الاستسلام موتاً أكبر.

فتحتينوا فرصَ الحياة كثيرة
أو فاخلقوها قادرين فلإنما
وتعجلوها بالعزائم والرق
فرص الحياة غليظة أن تغلقا

مسألة قناة السويس

في أواخر سنة ١٩٠٩ وأوائل سنة ١٩١٠ شغلت الرأي العام مسألة كبرى تتصل بحياة البلاد الاقتصادية والسياسية، وهي مشروع مدّ الامتياز الممنوح لشركة قناة السويس أربعين عاما أخرى، وقد أثار هذا المشروع سخط الأمة واحتجاجها وطالبت بوقفه وعرضه على «الجمعية العمومية» قبل البت فيه.

حركت هذه المسألة الهامة روح الشعر في نفس حافظ، فنظم في نوفمبر سنة ١٩٠٩ قصيدة من بليغ شعره القومي، وصف فيها الحالة السيئة التي وصلت إليها البلاد، وأيد الحركة الوطنية في مطالبتها، وعبر أصدق تعبير عن آلامها وآمالها، قال في مطلعها:

لقد نَصَلَ الدُّجَى فمَتَى تَنَامُ أهُمُّ ذَاكَ نَوْمَكَ أَمْ هُمَامٌ^(١)
إلى أن قال:

أَيُّمِلُّ بِالْأُدَيْبِ أَدَيْبُ مِصْرَ	بكاء الطفل أرهقه الضَّطَامُ
ويصرفه الهوى عن ذكر مصر	ومصرٌ في يد الباغى تُضَامُ
عَدِمْتُ يَمْرَأَتِي إِنْ كَانَ مَا بِي	هوى بين الضلوع له حُزَامُ
وما أنا والفراق وشاب رأسي	وغال شبابي الخطبُ الجسامُ
وربما في النسي ربي (لبيدًا)	فعلمني النسي جهل الأنعام ^(٢)
لمعرك ما أرقّت لغير مصر	ومالي دونها أمل يرامُ
ذكرت جلالها أيام كانت	تصول بها القراعنة العظامُ
وأيام الرجال بها رجال	وأيام الزمان لها غلامُ
فأطلق مضجعي ما بات فيها	وباتت مصر فيه فهل ألامُ؟

وأهاب بالشعب أن يدع التواكل والتخاؤل والاتقسام قال:

(١) الدجى: ظلام الليل.

(٢) ليده هو الشاعر العربي صاحب اللطافة التي أزلها:

عفت الدجاء عجلها فرسومها

أرى شعباً يمتزجة العواذي
إذا ما مرَّ بالأساء عام
سرى داء التواكل فيه حتى
قد استمصى على الحكباء منا
هلاك الفرد منشؤه توائن
وإننا قد وَنِينَا وانقسمنا
فساء مُقَامُنَا في أرض مصر
فلا عجب إذا مُلِكت علينا

تمخَّخ عظمه داءُ عُقَام^(١)
أطل عليه بالأساء عام
تخطف رزقه ذاك الزحام^(٢)
كما استمصى على الطب الجُدام
وموت الشعب منشؤه انقسام
فلا سمى هنالك ولا نعام
وطاب لغيرنا فيها المُقام
مذاهبنا وأكثرتنا نيام

وناجي الأمير حسين كامل وكان رئيساً لمجلس شورى القوانين أن ييث روح الحياة
والتضامن في نفوس أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية، وناشدهم ألا يتقوا بوعود
الاحتلال، قال:

(حسينُ، حسينُ) أنت لنا فنيّه
وكن - بأبيك - لا ين أخيك عَوْنَا
أفوض في قاعة الشورى ونما
وعلمهم مصادمة الأعداي
ففي (حزب اليمين) لديك قومٌ
وفي (حزب الشمال) لديك أسدٌ
فكونوا للبلاد ولا يفتكم
فما سادوا بمعجزة علينا
فلا تتقوا بوعود القوم يوما
وخافوهم إذا لائنوا فلاني
فكم ضحك (العميد) على لحانا

رجالا عن طلاب الحق ناموا
فأنت بكفه نغم الحسام
فقد أودى بنا وبها الخصام
فمثلك لا يُروعه الصدام
وإن قلوا فلنهم كرام
كُماة لا يطيب لها انهمام
من النهزات والفرص اغتنام
ولكن في صفوفهم انضمام
فلن سحاب جهام^(٣)
أرى السَّوَّاس ليس لهم ذِمَام^(٤)
وغر سراتنا منه ابتسام

(١) للفرجة: الطريق، والعراضي: التراتيب، وتخيخ العظم: إذا أخرج عظمه.

(٢) أي مزاحمة الأجانب للمصريين.

(٣) السحاب الجهم: الذي لا ماء فيه.

(٤) السَّوَّاس: الغمة والبهت.

ونادى بالدستور وتند بمشروع مد امتياز القنائة، قال:

ليس العلمُ يسكننا وحيداً إذا لم ينصر العلمَ اعتزام
وإن لم يدرك (الدستور) مصرًا فبا لحياتها ابدا قوام
حبونا وردة النيل عذبًا وقالوا: انه موت زوام
وما الموت الزوام إذا عقلنا سوى (الشركات) حل لها الحرام
لقد سعدت بفقلتنا فراحنا بشروتنا وأولها (الترام)

فياويل (القنائة) لازل احتواها بنو (التاميز) وانحسر اللثام
لقد بهت من الدنيا خطامًا بأيدينا وقد عَزَّ الخطام
وقد كنا جعلناها زمامًا فوالهفى إذا قطع الزمام!

فيا (قصر الدبارة) لست أدرى احربُ في جرابك أم سلام؟
أجبتنا هل يُراد بنا وراءُ فنفضى أم يمراد بنا أمام؟
ويا (حزب اليمين) اليك عنا لقد طاشت نبالك والسهام
ويا (حزب الشمال) عليك منا ومن انشاء تجدتك السلام

وقد اضطرت الوزارة تحت ضغط الرأى العام إلى عرض المشروع على الجمعية العمومية التى قررت رفضه، وبذلك حبط المشروع.

تنديده بالكولونل روزفلت

جاء الكولونل تيودور روزفلت الرئيس الأسبق لجمهورية الولايات المتحدة إلى مصر عن طريق السودان في مارس سنة ١٩١٠، وألقى بالخرطوم خطبة سياسية مجد فيها الاحتلال البريطانى، ودعا إلى الخضوع لحكمه، ولما وصل إلى القاهرة ألقى بالجامعة المصرية خطبة أخرى أشد وطأة من خطبته، بالخرطوم، وقد أثارت خطبته احتجاج الرأى العام، وشارك حافظ الأمة في سخطها على روزفلت، ونظم قصيدة عصاء لاه فيها على إطرته الاحتلال، نشرها قبيل إلقاء خطبته الثانية بالقاهرة، قال.

أنى خطيب الدنيا شئتُف سمع مصر بقولك الماثور

إنما شوقها لقولك يا (روز)
 قَفْ غَدًا أيها الرئيس وعَلِّمْ
 وأخير الناس كيف سدت على الناس
 وملكتهم أَعْنَةُ الريح والماء
 قَفْ وَعَدُّ مآثر العلم واذكر
 وإذا ما ذكرت أنعمه الكُـبـ

فلنت) شوق الأسير للتحرير
 أهل مصر حرية التعبير
 س وجنتهم بمسجرات الدهور
 ودستهم على قارب العصور
 نعم الله ذكر عبد شكور
 رى فلا تنس نعمة (الدستور)



يا نصير الضعيف مالك تطرى
 لم تطبقوا جوارهم بل اقمتم
 أنت تطريهم وتثني عليهم
 ليت شعري أكنت تدعو إليهم
 يوم كانوا قذى بعين (نيويور)
 يوم نادى (واسنجتون) فلما
 يوم سجلتم على صفحات الدهن
 ووثبتم إلى الحياة ثوبا
 إنما النيل والمسيبي^(١) صنوا
 وعجيب أن يفوز هذا بإطلا
 يا نصير الضعيف حبيب إليهم
 فعليهم أن يهجروا وعلى المص

خطة القوم^(١) بعد ذلك النكير
 في حاكم من دونهم ألف سور
 نائباً آمناً وراء البحور
 يوم كانوا على تخوم الثغور
 (ك) وداء مستحكماً في الصدور
 ه من القيل كل لئث هصور^(٢)
 ر تاريخ مجدهم بالنور
 ونقضتم عنكم غبار القبور
 ن هما حليتان للمعمور
 ق وهذا في ذلة المأسور
 هجر مصر^(٤) تفز بأجر كبير
 رى ذكر المتيم المهجور

رثاؤه لمحمد فريد

نظم حافظ في رثاء محمد فريد قصيدة من غرر شعره ألقاها بصوته الجمهورى في حفلة التأبين
 التى أقامها الحزب الوطنى يوم الأربعين لوفاته (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٩)، فهزت مشاعر

(٣) هو الشهر المشهور بأمرىكا
 (٤) أى الجلاء عنها.

(١) يقصد الإنجليز.
 (٢) النيل: موضع الأسد

السامعين والمواطنين لما حوته من المعاني الرائعة والتقدير البالغ للزعيم الراحل، قال:

مَنْ ليومٍ نحن فيه مَنْ لَفَدَ؟ مات ذو العزمة والرأى الأسدُ
حَلَّ (بالجمعة) حزنٌ وأسى ومشى الوجد إلى (يوم الأحد)^(١)
وبدا يشعري على قرطاسه لوعةٌ سالت على دمع جَدُّ



أيها النيل لقد جَلَّ الأسى كُنْ مِدَاداً لي إذا الدمع نفدُ
واذبلِي يازهرةَ الرُّوضِ ولا تسمى للطلُّ فالعيش نَكَدُ
والزم التَّسْوَحَ أيا طيِّرٍ ولا تتهجج بالشُّدُوِّ فالشدو حدُ^(٢)
فلقد ولَّى (فريدٌ) وانطوى ركن مصرٍ وفتاها والسُّنْدُ



خالدُ الأنار لا تخشِ الهلِيْ ليس يَمَلِيْ من له ذِكْرُ خَلَدُ
زوتَ (برلين) فنادى سَمْتَهَا نزلت شمس الضحى بـرج الأسد
واختفت سمسك فيها وكذا تخفتي في الغرب أقمار الأهد^(٣)



يا غريبَ الدار والقبر ويا سلوةَ النيل إذا ما الخطبُ جَدُّ
وحُساماً قُلَّ حَدْبُهُ الرُّدَى وشهاباً ضاءَ وَهْناً وخمد
قُلَّ (لصب النيل)^(٤) إن لاقِيته في جوار الدائم الفرد الصمد
إن مصرّاً لاتقِ عن قصدها رغم ما تلقى وإن طال الأمد
جئت عنها أحمل البشرى إلى (أول البائنين)^(٥) في هذا البلد
فاستريحْ وهناً ونَمَ في غِبْطَةٍ قد بذرت الحبَّ والشعب حُصْدُ^(٦)



(١) كين بيومي الجمعة والأحد عن المسلمين والمسيحيين.

(٢) الحمد: الحرام الذي لا يهل أن يرتكبه.

(٣) كانت وفاة الفقيد في براين يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩.

(٤) يريد مصطفى كامل.

(٥) يشير إلى قيام ثورة سنة ١٩١٩.

آثر النيل على أمواله
يطلب الخير لمصر وهو في
ضارب في الأرض يبقى مأرباً
لم يعبه أن تجف دهره
يستعم العزم حتى إن بدت
فهو لا يثق عناناً عن مؤ
فأباديه إذا ما أنكرت

وقواه وهوأ والولد
يُثَقِّوَة أحلى من العيش الرغد
كما قاربه عنه ابتعد
رب جد حاد عن مجراه جد^(١)
فرصة شد إليها وصمد
وهو هجيراه (من جد وجد)
إنما تنكرها عين المسد



فقدت مصر (قريداً) وهي في
فقدت مصر (قريداً) وهي في
فقدت منه خبيراً حولاً^(٢)
لم سكد يئسها الدهر به
ليته عاش قليلاً فترى
ويش مصر بل فويحاً للثرى
كم تمقى وتمقى أهله

موطن يمزجها فيه المد
لهوة الميدان والموت رصد
وهى الأيام في أخذ ورد
في ربوع النيل حيا لم يكد
شعب مصر عينه كيف اتحد
إنه أبلغ حزننا وأشد
لو يراى فيه ذياك الجسد^(٣)



لطف نفسى هل (بيرلين) امرؤ
هل بكت عين فروقت تربيته
ها هنا قبر شهيد في هوى

فوق ذاك القبر صلى وسجد؟
هل على أحجاره خط أحد؟
أمة أيقظها ثم رقد؟

ثورة سنة ١٩١٩

حيا حافظ ثورة ١٩١٩ في قصيدة نظمها عن أول مظاهرة للسيدات قمن بها يوم ١٦ مارس ١٩١٩ احتجاجاً على عسف الإنجليز حيال المظاهرات السابقة وما ارتكبه مع المتظاهرين من

(١) المد (الكسر) الاجتهاد والفتح الخط، والمعنى: رب اجتهاد أخطأ الخط.

(٢) الحول: الحاقق البصر يتحول الأمور.

(٣) يشير في هذا البيت والبيت الذى سبقه إلى أن جثمان الفتيدي توى في برلين، وقد نقل إلى مصر في يونيو سنة ١٩٢٠.

فظائع القتل والتكيد، وقد مجد حافظ شعور السيدات المتظاهرات وشجاعتهن، وحل في قصيدته حلة لازدة على مسلك الجنود الإنجليز حيالهن، قال:

خَرَجَ الغَوَايِ يَحْتَجِجْنَ وَرُحْتَ أَرْقُبَ جَمْعَهُنَّ	فَإِذَا يَمْنٌ تَحْذَنَ مِنْ
سُودَ النِّيَابِ شِعَارَهُنَّ	فَطَلَمْنَ مِثْلَ كَوَاكِبِ
يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ اللُّجْنَةِ ^(١)	وَأَخْذْنَ يَحْتَزْنَ الطَّرِيقَ
وَدَارَ «سَعْدٍ» قَصْدَهُنَّ	يَمِشْنَ فِي كَنَفِ الْوَقَا
رَ وَقَدْ أَيْنَ شَمُورَهُنَّ	وَإِذَا بِجَيْشٍ مُقْبِلٍ
وَالْحَيْلِ مُطْلَقَةِ الْأَعْنَةِ	وَإِذَا الْجُنُودُ سَيُوفُهَا
قَدْ صُوبَتْ لِنُحُورِهِنَّ	وَإِذَا الْمِدَافِعُ وَالْبُنَا
حَقَّ وَالصَّوَارِمُ وَالْأَسْنَةُ	وَالْحَيْلُ وَالْفِرْسَانُ قَدْ
ضَرَبَتْ نَاطِقًا حَوْلَهُنَّ	وَالسُّورَدُ وَالرَّيْحَانُ فِي
ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحَهُنَّ	فَتَطَاوَعْنَ الْجَيْشَانِ سَا
عَابَتْ تَشِيبَ لَهَا الْأَجْنَةُ	فَتَضْمَعُ النِّسْوَانُ وَالنَّدَى
وَأَنْ لَيْسَ لَهَا مُنَّةٌ ^(٢)	نَمِ انْهَزَمْنَ مَشْتَتَاتِ الشَّمْسِ
بَلْ نَحَرُ قَصُورِهِنَّ	



رَ يَنْصَرُهُ وَيَكْسِرُهُنَّ!	فَلِيَهِنَا الْجَيْشُ الْفَخُو
لَبَسُوا الْبَرَاقِعَ بَيْنَهُنَّ	فَكَأَنَّمَا (الْأَلْمَانُ) قَدْ
بَغِيًّا بِعَصْرِ يَقُوتُهُنَّ	وَأَتَوْا (يَهْتَدُونَ) جَ ^(٣) مَحْدَ
وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ!	فَلِذَاكَ خَافُوا بِأَسْهُنْ

وأنشأ قصيدة حيا بها جمعية المرأة الجديدة، وألغ فيها إلى بطولة المرأة في ثورة سنة ١٩١٩. قال:

(١) اللجئة: الغلام.

(٢) المنة: القوة.

(٣) المارشال هتندرج، القائد الشهير في الحرب العالمية الأولى.

إِلَيْكَ يَدَى النَّيْلِ أَلْفَ نَحْيَةٍ
وَيَتَنَى عَلَى أَعْمَالِكُنْ مَوْكَلِي^(١)
أَقْمَتُنْ بِالْأَمْسِ الْأَسَاسَ مِبَارَكَا
صَنَعْتُنْ مَا يَبْغَى الرِّجَالُ صَنِيعُهُ

مُعْطَرَةٌ فِي أَسْطَرِ عَطَرَاتِ
يَلْطَرَاءُ أَهْلَ الْبَرِّ وَالْمَسْنَاتِ
وَجِئْتَنَ يَوْمَ الْفَتْحِ مُفْتِطَاتِ
فَزِدْتَنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ



يقولون: نصفُ الناسِ في الشرقِ عايطُلُ
وهذى بنات النيلِ يَحْمِلُنَ لِلنَّهْيِ
وَفِي السَّنَةِ السُّودَاءُ كُنْتَنَ قُدُوةٌ
وَقَفْتَنَ فِي وَجْهِ الْخَمِيسِ مُنْجَبَا
وَمَا هَا لَكُنْ الرَّمْحُ وَالسَّيْفُ مُصْلَتَا
تَعْلَمُ مِنْكُمْ الرِّجَالُ نَأْصَحُحُوا

نِسَاءَ قَضَيْنَ الْعَمَرَ فِي الْحَجَرَاتِ
زَيْفَرِسْنُ غَرْسَادَانِي الثُّمَرَاتِ
لَنَا حِينَ سَالِ الْمَوْتَ بِالْمَهْجَاتِ
وَكُنْتَنَ بِالإِيمَانِ مُعْتَصِمَاتِ
وَلَا الْمُنْفَعُ الرُّشَاشُ فِي الطَّرِيقَاتِ
عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَهْلُ ثَبَاتِ

مصر تتحدث عن نفسها

قصيدة غراء قالها سنة ١٩٢١ على أثر قطع مفاوضات عدلى - كيرزون، حين سفرت نيات الإنجليز في العدوان على مصر، وقد أشاد فيها بمجد مصر وعظمتها، ثم أشار إليها وهي تستنجد ببنيتها البررة على غدرات الأيام ويصيبهم أن ينظروا من تليد مجدها إلى المثل الأعلى ليحتذوه، ويتعاونوا على التمسك بالحق كاملاً حتى يبلغوه، وقد أجرى الخطاب في القصيدة على لسان مصر لينصت الجميع لصوتها، إذ هي فوق الجميع، وكان عنوان القصيدة حين نشرت (مصر فوق الجميع) وهذه القصيدة أنشدتها سيدة الطرب أم كلثوم من روائع أغانيها:

وَقَفَ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعَا
وَهِنَاةُ الْأَهْرَامِ فِي سَالَفِ اللَّفْدِ
أَنَا تَاجُ الْعِلَاءِ فِي مَفْرَقِ^(٢) الشَّرِّ
أَيُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّأْ

كَيْفَ أَبْنَى قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَحْدَى
مَرَكَزُونِي الْكَلَامِ عِنْدَ التَّعْدَى
فِي وَتَرَاتِهِ قِرَائِدُ عَيْفَدَى
سَ جَمَالَا وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ عَيْفَدَى؟

(١) موكل، أى أن النيل قد أتاه عنه في إيلاهن تلمه عليهم.

(٢) المفروق، وسط الرأس.

فستمراني تَبَرُّ وَتَهْرَى قُرَاتُ
أَيْنَمَا يَسُرَّتْ جَوَلُ عِنْدَكُمْ كَرَمِ
وِيرْجَالِي لَوْ أَنْصَفُوهُمْ لَسَادُوا
لَوْ أَصَابُوا لَهْمُ بِجَالًا لَا يَبْدُوا
أَنَا إِنْ قَدَرُ الْإِلَهُ بِمَا قَى
وَسَمَائِي مَصْقُولَةٌ كَالْفِرْنِيدِ^(١)
عِنْدَ زَهْرٍ مُدَنَّرٍ عِنْدَ رَنَدِ^(٢)
مِنْ كُھُولٍ مِلْءِ الْعَيُونِ وَمُرْدِ^(٣)
مُعْجَزَاتِ الذِّكَاءِ فِي كُلِّ قَصْدِ
لَا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ بِعَدَى



مَا زَمَانِي رَامِي رَاحَ سَلِيحَا
كَمْ بَحَثْتُ دَوْلَةً عَلَيَّ وَجَارَتْ
إِنِّي حُرَّةٌ كَسَرْتُ قَيْودِي
مِنْ قَدِيمِ عَنَابَةِ اللَّهِ جُنْدِي
نَمَّ زَالَتْ وَتِلْكَ عُقْبَى التَّعْدِي
رَغَمَ رَقَبِي الْبِدَا وَقَطَعْتُ قَدِي^(٤)



قُلْ لِمَنْ أَنْكَرُوا مَفَاخِرَ قَوْمِي
هَلْ وَقَفْتُمْ بِقَمَّةِ الْمَرْمِ الْأَكْرِ
هَلْ رَأَيْتُمْ تِلْكَ النُّفُوسَ اللَّوَانِ
خَالَ لَوْنُ النَّهَارِ مِنْ قَدَمِ الْعَهْدِ
هَلْ فَهَمْتُمْ أَسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدِي
دَالِقُنْ التَّحْنِيطُ قَدْ غَلَبَ الدُّخْدُ
يُثَلِّ مَا أَنْكَرُوا مَا تَرَى وَلَدِي
بِرِ يَوْمًا قَرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْدِي^(٥)
أَعْجَزْتُ طَوَقَ صَنْعَةِ الْمُتَعَدِّي؟
بِدَوَامَسٍ لَوْنَهَا طُولُ عَهْدِ
مِنْ عُلُومٍ تَحْبُومَةٍ طَيِّ بِرْدِي؟
رَوَّابِلِي الْبَيْلِ وَأَعْجَزَ زَيْدِي



قَدْ عَقَلْتُ الْعَهْدَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوِ
إِنْ يَجِدِي فِي الْأَوَّلِيَّاتِ عَرِيْقُ
أَنَا أُمُّ (التَّشْرِيعِ) قَدْ أَخَذَ الرُّوْ
وَرَدَّصَدْتُ التَّجُومَ مُنْذُ أَضَاعَتْ
نَفَقِي (مَصْرَ) كَانَ أَوَّلُ عَقْدِ
مَنْ لَهْ مِثْلُ أَوْلِيَايَ وَيَجِدِي؟
مَا نُ عَنِ الْأَصُولِ فِي كُلِّ حَدِّ
فِي سِهَابِ الدُّجَى فَاحْكَمْتُ رَحْمَتِي

(١) اللرات، العنبد، والفرد: السيد.

(٢) المنز، أي مختلف الألوان أو المشرق للتلألؤ، والرند: حجر طيب الرائحة.

(٣) مرد: جمع أمرد، وهو الشاب.

(٤) القد: القيد، وقد منجلد.

(٥) قرينته أي غيري.

وَسَدَا (بنتشور^(١)) فَوْقَ رُبُوعِي
اتراني وقد طَوَّيْتُ حَيَاتِي
أَيُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّي بِعَيْشٍ
قَبْلَ عَهْدِ الْيُونَانِ أَوْ عَهْدِ (نَجْدِ)
فِي مَرَّاسٍ لَمْ يَبْلُغِ الْيَوْمَ رُشْدِي؟
وَارِفِ الظِّلَّ أَخْضَرَ اللَّوْنِ رَغْدِي؟



أَمِنَ الْعَدْلَ أَنَّهُمْ يَرْتُونَ الـ
أَمِنَ الْحَقَّ أَنَّهُمْ يُطْلِقُونَ الـ
نَصْفُ قَرْنٍ إِلَّا قَلِيلًا أَعَانِي
نَظَرَ اللَّهِ لِي فَارْتَسَدَ أَبْنَا
إِنَّمَا الْحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدُّ
سَاءَ صَفَوْنَا وَأَنْ يُكْتَلَزَ وِرْدِي؟
أَسَدَ مِنْهُمْ وَأَنْ تُقَيَّدَ أَسْدِي؟
مَا يُعَانِي هَوَانَهُ كُلُّ عَيْدِ^(٢)
نَى فَسَدُوا إِلَى الْعَمَلَا أَيُّ شُدُّ
يَانِ أَمْضَى مِنْ كُلِّ أَيْبَضٍ هِنْدِي

وقال في تمجيد التضحية والصمود والصبر أمام الشدائد:

قَدْ وَعَدْتُ الْعَمَلَى بِكُلِّ أَيْ
أَمْهَرُوهَا بِالرُّوحِ فَهِيَ عَرُوسُ
وَوَدُّوا بِي مَنَاهِلَ الْعَرْضِ حَتَّى
وَارْفَعُوا دَوْلَتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخْـ
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ فَالصَّبْرُ إِنْ فَـ
خُلِقَ الصَّبْرُ وَحْدَهُ تَصَرَّ الْقَوُـ
شَهِدُوا حَوْمَةَ الْوَعَى بِنَفْسِهِ
فَمَحَا الصَّبْرُ آيَةَ الْعِلْمِ فِي الْحَرْبِ
مِنْ رَجَالٍ فَأَنْجَزُوا الْيَوْمَ وَعْدِي
تَسْنَأُ الْمَهْرَ مِنْ عُرُوشٍ وَتَقِيدُ^(٣)
يَخْطُبُ النِّجْمُ فِي الْمَجْرَةِ وَدَى
سَلَاقٍ فَالْعِلْمُ وَحْدَهُ لِسَ عَمْدِي
رَقَى قَوْمًا فَبَالَهُ مِنْ مَسَدُ
مَ وَأَغْنَى عَنْ اخْتِرَاعٍ وَعَدُ
صَابِرَاتٍ وَأَوْجِهٍ غَيْرِ رَيْدِ
وَأَنْحَى عَلَى الْقَوَى الْأَشَدُّ

وقال يدعو إلى توحيد الكلمة ونبذ الشقاق وكانت البلاد وقتئذ في غمرة من الانقسام:

إِنَّ فِي الْغَرْبِ أَعْيُنًا رَاصِدَاتٍ
فَوْقَهَا يَجْهَرُ يُرْعَا خَفَايَا
فَاتَّقَوْهَا بِجَنَّةٍ مِنْ وَثَامِ
كَخَلَّتْهَا الْأَطْمَاعُ فَبِكَمِ يَسْهَدِ
كُمُ وَيَطْوِي شُعَاعَهُ كُلُّ بَعْدِ
غَيْرِ رَثِّ الثَّمَرَا وَسَعَى وَكَدِّ

(١) بنتشور: أقدم شاعر عرفه التاريخ وهو مصري، وقبل عهد اليونان الفخ، أي قبل شعراء اليونان وشعراء العرب

(٢) يقصد عهد الاحتلال البريطاني.

(٣) نشأ: تكبر.

رَبِّ هَافٍ هَافًا عَلَى غَيْرِ عَمَدٍ
رَأَى فِيهِ وَعْثَرَةَ الرَّأْيِ تُرِيدِي
مِنْ خِلَافٍ وَالْخَلْفِ كَالسُّلِّ يَعْدِي
فِيَعِيدُ الْجَهْلُولَ فِيهَا وَيُجِدِي
وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جِدِّي
جَانِبِيهِ بِعَزْمَةِ الْمُسْتَعِدِّ
قَدْ قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهْدٍ وَوَجَدِ
وَالْأَمَانِ بَيْنَ جَزَرٍ وَمَدِّ
وَهُوَ رَمَزُ لَهْدِي الْمُسْتَرَدِّ
فَالْمَعَالِي مَحْطُوبَةٌ لِلْمُجَدِّ

وَاصْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ
نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَسْرُ الْآ
وَنَعِيرُ الْأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا
وَنُشِيرُ الْقَوَضَى عَلَى جَانِبِيهِ
وَيُظَنُّ السَّيْئُ أَنْ لَا نُنْظَمَ
فَقِفُوا فِيهِ وَقْفَةَ الْحَزْمِ وَارْمُوا
إِنَّمَا عِنْدَ فَجْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ
غَمَرْتَنَا سُودُ الْأَهْوَالِ (١) فِيهِ
وَنَجْهَلِي ضِيَاؤُهُ بَعْدَ لَأَى
فَاسْتَبَيْنَا قَصْدَ السَّبِيلِ وَجِدْنَا

الاستقلال المقيّد

قالها عندما أعلن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢:

أَجِدْتِ الْأَيْلَامَ أَمْ تَمَزَّجُ؟
أَمْ ذَاكَ لِلَّهِ بِنَا مَسْرُجُ؟
فِي حَالِكِ الشُّكِّ فَاسْتَرْجُ
فَأَتَتْنِي أَنْكُرُ مَا أَلْمَحُ
إِنْ لَمَحُوا بِالْقَصْدِ أَوْ صَرَحُوا
مَكَانَكُمْ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
وَرَأَتْهَا النَّايَةُ وَالْمُطْمَحُ
هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَافْرَحُوا
وَاسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرَبُّعُوا
لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْجَبَا أُنِصَحُوا
أَلَا تَرَى عِزَّتَهَا تُجْرَحُ
فَمِنْهُمْ الْمُخْلِصُ وَالْمُضْلَعُ

أَصْبَحْتُ لَا أَدْرَى عَلَى خَيْرٍ
أَمْوَقِفُ لِلْجِدِّ نَجْتَازُ
أَلْمَحُ لاسْتِقْلَالِنَا لَمَعُ
وَتَطْمِسُ الظُّلُمَةُ أَنْارَهَا
قَدْ حَارَبَ الْأَنْهَامُ فِي أَرْهَمِ
فَقَائِلُ لَا تَعْجَلُوا إِنْكُمْ
وَقَائِلُ أَوْسَعُ بِهَا خُطْوَةُ
وَقَائِلُ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ:
إِنْ تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلُّ عَاهِدُوا
وَأَسْأَلُوا دَارًا لِنُؤَابِكُمْ
وَلِتَذْكُرِ الْأُمَّةُ مِيثَاقَهَا
وَتَتَخَبَّيْ صَفْوَةَ أَبْنَائِهَا

(١) الأهلويل جمع أمّوال

وَلْيَتَّقِ اللَّهَ أُولُو أَسْرَها
أَوْ تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يُقَلِّ حَازِدُوا -
إِنِّي أَرَى قَيْدًا فَلَا تَسْلِمُوا
إِنْ هَيَّأَهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ
حَتَّامٌ - وَالصَّبْرُ لَهُ غَايَةٌ -
حَتَّامٌ - وَالْأَمْوَالُ مَشْهُوَةٌ - (٣)
حَتَّامٌ يُخَيِّضُ أَمْرَنَا غَيْرَنَا
أَنْ يُسَكِّنُوا الْأَضْوَاتِ أَوْ يُرْفَعُوا (١)
وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تَقْلِبُوا
أَيْدِيَكُمْ فَالْقَيْدُ لَا يَسْجَعُ (٢)
فَهُوَ عَلَى لَيْلٍ بِهِ أَقْدَحُ
لَفَصْرْنَا مِنْ يَسْرْنَا تَمْنَحُ؟
تَمْنَحُ إِلَّا (بَصْرًا) مَا تَمْنَحُ؟
وَذَاكَ بِالْأَحْرَارِ لَا يَلْعَلُ؟

وعاد يدعو إلى الوحدة والوئام ويستنكر الفرقة والانقسام:

أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَعْضِهِمْ
فَانْتَهَزَتْ أَعْدَاؤُنَا ثَمَرَهُ
فَالرَّأْيُ كُلُّ الرَّأْيِ أَنْ تُجْمِعُوا
وَكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ فِي صَدْعِكُمْ
أَغْشَى إِذَا اسْتَمْثَرْتُمْ بَيْنَكُمْ
فَلْتَقْصِدُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ فِيهِمْ
ظَنَّا وَقَدْ أَمْسَوْا وَقَدْ أَصْبَحُوا
فِينَا وَمَا كَانَتْ لَهُمْ تَسْنُحُ
فَلِنَا إِجْمَاعُكُمْ أَرْجَحُ
فَلِنَا فِي صَخْرَةٍ يَنْطَلِعُ
مَنْ قَادَةَ الْآرَاءِ أَنْ تَقْضُوا
فَلِنَا فِي الْقَلَةِ الْمَنْجَحُ

يستحث المواطنين على التضحية والجهاد

نظم حافظ سنة ١٩٠٤ قصيدة رائعة عن (غادة اليابان) ضرب فيها الأمثال في التضحية والجهاد، وجعلها على لسان غادة وطنية من اليابان وأشاد بشجاعته في الحرب التي شبت بين بلادهما والروسيا عام ١٩٠٤، إذ ذهبت متطوعة إلى ميادين القتال تواسي الجرحى، وترعى حقهم قال:

لَاتَلَمْ كَيْفَ إِذَا السَّيْفُ نَبَاً (١)
رَبٌّ سَاعٍ مُيَصِّرُ فِي سَعِيهِ
مَرْحَبًا بِالْمَخْطَبِ يَتَلَوْنِ إِذَا
صَحَّ مَنِ الْعَزْمُ وَالْدَهْرُ أُنِ
أَخْطَأَ التَّوْفِيقُ فِيهَا طَلِبَا
كَانَتْ الْعِلْيَاءُ فِيهِ السَّبِيَا

(١) يريد تأييد المواطنين من النفي إلى (ربح) وكانت منذ ثورة سنة ١٩١٩ منى للأحرار.

(٢) يلين ويسهل.

(٣) أي مستنفدة مضيق.

(٤) نبا السيف: كل وارتد.

إيه يادنيا اعبسى أو قابسمى لا أرى برقك إلا غلباً^(١)
إلى أن قال:

كنتُ أهوى في زمانى غادةً وهب الله لها ما وهبها
حملتُ لى ذات يوم نبالاً لارعاك الله يذاك النبا
وأنت تحسطن والليل فق وهلال الأفق فى الأفق حبا
ثم قالت لى بقر باسم نظم الدر به والحبيا
نبأونى برحيل عاجل لا أرى لى بعدة متقلبا^(٢)
ودعانى موطنى أن أغتنى^(٣) علفى أقضى له ما وهبها
نذبح اللب^(٤) وتفرى جلته أظن اللب أن لا يعلبا؟

قلتُ والآلام تفرى مهجى ويك! ماتصنع فى الحرب الطبا؟
ما عهدناها لظبي مسرحا يبتقى ملهى به أو ملعا
ليست الحرب نفوساً تشتري بالتمنى أو عقولا تستنى
أحسبت القد من عذتها أم ظننت اللحظ فيها كالشبا^(٥)
فدعيتها للذى يعرفها والزى ياطيبة البان الحبا^(٦)

فأجابتنى بصوت راعى وأرتنى الظن ليثا أغلبا
إن قومى استعذبوا ورد الردى كيف تدعونى ألا أشربا؟
أنا يابانية لا أنسى عن مرادى أو أذوق السطبا
أنا إن لم أحسن الرسمى ولم تستطع كفاى تليب الطبا
أخدم الجرحى وأقضى حقهم وأواسى فى الوغى من نكبا
هكذا (الميكاد) قد علمنا أن نرى الأوطان أما وأبا

(١) الرق الحلب الذى ينتظر الناس مغربه ويظلمهم.

(٢) المنقلب؛ المودة.

(٣) أغتنى أى أبادر بمكرة للدفاع عنه.

(٤) اللب: رمز لروسيا.

(٥) الشبا: جمع شبة وهى حد السجد.

(٦) البان: شجر لين تألفه الطبا والحبا؛ البيت.

ملك يكفيك منه أنه
بعث الأمة من مرقدها
فسمت للمجد تبغى شأوه
وقضت من كل شيء مأربا
أنهض الشرق فهز المغرب
ودعا للعلم أن تدأبا

يستنهض الهمم، ويدعو إلى توحيد الكلمة

قال من قصيدة له سنة ١٩٢٣ يخاطب المواطنين:

ويدُ الإله مع الجماعة فاضربوا
كونوا رجالا عاملين وكذبوا
ودعوا التخاذل في الأسور فلنما
والله ما بلغ الشقاء بنا المدى
بعصا الجماعة تظفروا بنجاح
والصبح أبلغ - حامل الصباح^(١)
شبح التخاذل أنكر الأشباح
بسوى خلاقي بيتنا وتلاحى^(٢)



قم يا ابن مصر فأنت حر واستبد
شمر وكافح في الحياة فهذه
وإذا ألح عليك خطب لا تن
وحض الحياة وإن تلاطم موجها
في البحر لا تتريك نلر بوارج
وانظر إلى الغرقى كيف سمّت به
مجد الجندود ولا تعد لمراح^(٣)
دنياك دار تناحر وكفاح
واضرب على الإلحاح بالإلحاح
خوض البحار رياضة السباح
في البر لا يلويك غاب رماح
بين الشعوب طبيعة الكداح

إلى أن قال:

واهن الكنازة في الكنازة راكذ
لا يستغل كما علمت ذكاهه
فانهض وفع شكوى الزمان ولا تفع
واربع لمصر برأس مالك عزه
واشرب من الماء القراح منعما
فلكم وردت الماء غير قراح
يرنو بحين غير ذات طماح
وذكاه كالحافظ اللماح
في قاذح البؤسى مع الأنواع
إن الذكاه حباله الأرباح
فلكم وردت الماء غير قراح

(١) الإشارة إلى الفيلسوف ديوجنس الذي كان يمشي في راية التلار مصباحا يمشي عن رجل.

(٢) التلاحى: التخاصم.

(٣) يريد بجراح: الأخذ بأسباب المرح واللهو.

يحذر سعدا من خداع الإنجليز

قال سنة ١٩٢٤ مخاطب سعد زغلول من قصيدة له في تهنته بنجاته من محاولة اغتياله وكان إذ ذاك معتزماً السفر إلى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية في القضية الوطنية:

لا تقرب (التاميز) واحذر مائه	مهما بدا لك أنه مصوّل
الكيدُ ممزوجٌ بأصفى مائه	والخُتْلُ ^(١) فيه مُنَوَّبٌ مصقول
كم وارد يا (سعدُ) قبلك مائه	قد عاد منه وفي الفؤاد غليل ^(٢)
القومُ قد ملكوا عَنَانَ زمانهم	ولهم روايات به وقصول
ولهم أحابيل ^(٣) إذا ألقوا بها	قَنَصُوا النُّهى أسيرُهم محبول
ولكل لفظٌ في المأجَمِ عندهم	معنى يقال بأنه معقول
نَصَلَتْ ^(٤) سياستهم وحال صاغها	ولكل كاذبة الخُضابِ نُحول
جمعوا عقاقير الدواء وركبوا	ما ركبوه وعندك التحليل

حافظ والإنجليز وجهها لوجه

في سنة ١٩٣٢ ساهم الإنجليز مع العناصر الرجعية في إلغاء الحياة الدستورية وتظاهروا بأنهم على الحياد في هذه المحنة مع أنهم مديروها، وقد هاجمهم حافظ بقصائد رائعة نعى فيها عليهم بغيهم وعدوانهم، وكشف فيها الستار عن حيادهم الكاذب، وطعن على سياسة الاستعمار عامة، وأعاد بعملاته عليهم ذكرى قصائده الوطنية الخالدة التي نظمها في تمجيد الحركة الوطنية ومهاجمة الاحتلال في عهد مصطفى كامل ومحمد فريد.

قال في مارس سنة ١٩٣٢ مخاطباً الإنجليز مندداً بسياسة «الحياد» التي أعلنوها، ناعياً عليهم ظلمهم وإخلافهم وعودهم للأمة:

بَنَيْتُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ آسَاسَ مَلِكِكُمْ	فَكَانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ زِمَامٌ ^(٥)
فَمَالَى أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا ^(٦)	وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامٌ

(١) الختل: الخداع والمكر.
 (٢) الخليل: شدة الملح.
 (٣) الأحابيل: المصائد.
 (٤) نصلت: انكشفت وخرجت من لونها الكاذب إلى لونها الحقيقي. وحال: تحول.
 (٥) الزمام هنا الحق والمعرفة.
 (٦) القرن: القنواة من الشعر.

أخاف عليكم عشرةً بعد نهضة
أضعتم ودأداً لو رعيتُم عهوده
أبعد «حياد» لا راعى الله عهدَه
إذا كان في حسن التفاهم مَوْتًا

وقال في هذا المعنى:

فمصابكم ومصابنا سيان
أخلاقنا قتالُ الشعبان

واتذكروا الأخلاق بعد «حيادكم»
حاربتمو أخلاقكم إتحاربوا

وقال عن (الحياد الكاذب):

قَصَرَ الدُّبَارَةَ قَدْ نَقَضَ
أَخْفَيْتَ مَا أَضْمَرْتَهُ
الْحَرْبُ أَرْوَحُ لِلنَّفْسِ

ت المهدَّ نَقَضَ الفاصب
وأبْنَتَ ودَ الصاحب
س من «الحياد» الكاذب

وقال غطابا السير برسي لورين المندوب السامي البريطاني وقتنته مندداً بحياد الإنجليز المصطنع:

ألم ترَ في الطريق إلى «كياد»^(١)
ألم تلمح دموعَ الناس تجرى
ألم تحسب بني «التاميز» عنا
بأننا قد لمسنا الغدر لُسا

كشفنا عن نواياكم فلستم
ستجمع أمرنا فتوون منا
ونأخذ حقنا رغم العوادي
ضربتم حَوْلَ قادتينا نطاقا

تصيد البُطْ يؤس الصالينا؟
من البلوى - ألم تسمع أننا؟
وقد بعثوك مندوباً أميناً؟
وأصبح ظننا فيكم يقينا

وقد برح الحفء محايدينا
لدى الجبل^(٢) كراماً صابرينا
تُطيف عنا وِزْم القاسطينا^(٣)
من التيران يُعصى الدَّارِعيننا

(١) التاغرات: الدبابات.

(٢) بركة يركز ثاقوس بالشرقية كان المندوب السامي البريطاني يذهب إليها لعيد الطيور.

(٣) الجبل: النازلة الشديدة.

(٤) التاسطون: الظالمون.

عل رغم المروعة قد ظفرتم
 قهل يجديكم الأسطول نفعاً
 ولكن بالأسود مصفديننا
 إذا ما نازل الحق المبيننا؟
 وقال في هذا المعنى (ابريل سنة ١٩٣٢):

(إلى المحايدين)

أُحَايِدُ أَمْ حَائِدُ	عن منهج الحق الميّن؟
نَازَلْتُ شَعْبًا أَعَزَّلَا	بِمَدْرَعَيْنِ مَدَجَّيْنِ
وَأَمَنْتَ عَقْبَى الظَّالِمِينَ	وَنَشَّ عَقْبَى الظَّالِمِينَ
مَهْمَا تُصَبِّ مَنَا فَلَسْ	خَا الْجَازِعِينَ الْيَاسِينَ
إِنَّا بِجَبَّارِ السَّيَاءِ	وَبِالْعَقِيدَةِ نَسَمِينَ
إِنَّ الْعَقِيدَةَ لَا تَزُلْ	زِلْهَا حَرَابُ الْفَاصِيَيْنِ
فَلْتَنِ مَلَكْتُمْ بِمَوْمَكُم	لَقَدْ لَرَبِّ الْعَالَمِينَ
أَأَمَنْتُمْوْ صَرْفَ الزَّمْ	بَانَ وَفَتَكَهْ بِالْفَاشِمِينَ؟



كَمْ مِنْ قَوِيٍّ هَدَّ	كَيَّدَ الضَّعِيفَ الْمُسْتَكِينِ
أَوْ لَمْ تَرَوْا مَا ذَاقَهُ	بِالْأَمْسِ ذِيكَ السَّجِينِ ^(١) ؟
فِي (سَنْتِ هِيلِينِ) قَضَى	مِنْ دَوَّخِ الدُّنْيَا سَنِينَ
مَنْ كَانَ فِي غَنَارَاتِهِ	فِي الْكُونِ مَنَقَطُ الْقَرِينِ
أَمْسَى أَلَاتُهُ الْخَطُوبِ	وَكَانَ صُلْبًا لَا يَلِينِ
أَوْ تَقْبُونَ مَصِيرَهُ	أَمْ لَسْتُمْوْ بِالْمُتَّقِينَ؟



جُتِّقْنَا بِكَيْدِ مُحَايِدِ	بَنَ لَنَا وَكَيْدِ مِشْرِينِ
ثَارُوا عَلَى دِينِ الْهُدَى	وَتَحْطَفُوْا جَنَّا الْبَنِينَ
دَاسُوا الْعَرِينَ وَقَدْ خَلَا	مِنْ أَسَدِهِ ذَاكَ الْعَرِينَ

(١) نابليون، وقد مات أسيراً سجيناً في جزيرة سنت هيلين.

خسر المبشر، إن دين الحق دين المسلمين
الله حاميهم وكافيه شرور المعتدين

نحن والإنجليز وجهها لوجه

وقال أيضًا:

قل للمعايد هل شهدت دماءنا
سفكت مودتنا لكم وبدائنا
إن المراحل شرها لا يتقى
لم يبق فينا من يثق نفسه
أمن السياسة والمروءة أننا
إننا جمعنا للجهاد صفوفنا
تجري وهل بعد الدماء سلام؟
أن الحساد على الخصام إثم
حق ينفس كرهين صمام
بودادكم قودادكم أحلام
نشقى بكم في أرضنا ونضام؟
سنموت أو نحى ونحن كرام

وقال في أبريل سنة ١٩٣٢ تحت عنوان (إلى الإنجليز)، وهي من أبلغ ما قيل في تحدى القوة الناشئة والصمود أمام الشدائد مها عظمت:

حوّلوا النيل واحجّبوا الضوء عنا
واملأوا البحر إن أردتم سفينا
وأقيموا للحسف في كل شبر
إننا لن نحول عن عهد مصر
واطمسوا النجم واحرمونا النسيان
واملأوا الجو إن أردتم رجومنا
(كونستبلا) بالسوط يقرى الأديان^(١)
أوترونا في الثراب عظمًا وميما



عاصف صان ملكتكم وحاكم
غال (أرمادة)^(٢) العدو فغزتم
فعدلتم هنيهةً، وبغيتم
فشهدنا ظلياً يقال له العد
فاتنوا غضبة العواصف إنى
وكفاكم بالأس خطباً جسيماً
ولغتم في الشرق شأوا عظيماً
وتركتكم في النيل عهداً ذميماً
لُ ووداً يسقى الحميم الحميماً^(٣)
قد رأيت المصير أسمى وخيماً

(١) يقرى الأديان أن يشق الجبل.

(٢) الأرمادة هي الأسطول الأسباني الذي تحطم في القرن السادس عشر بمحاصرة حاليته وبين مهاجمة الأسطول الإنجليزي الذي كان دونه قوة وعدداً.

(٣) الحميم الأول الصديق، والحميم الثاني الشراب الشديد الحرارة.

وقال أيضًا (أبريل سنة ١٩٣٢):

لقد طال الحياذ ولم تكفوا	أما أرضاكم فمن الحياذ؟
أخذتم كل ما تبغون منا	فما هذا التحكم في العياذ؟
بلونا شدة منكم ولبنا	فكان كلاهما ذر الرماد
وسألتم وعاديتم زمانا	فلم يُغن المسالم والمعادى
فليس ورلاءكم غير التجنى	وليس أماننا غير الجهاد

وعود الانجليز في الجلاء

وقال في سنة ١٩٣٢ يندد بكتائب فرنسي زعم أن جلاء الانجليز سيكون في أكتوبر من ذلك العام:

كم حلدوا يوم الجلاء الذي	أصبح في الإيهام كاللحشر
وسن قوم الطيتس من جهلهم	كذبة (إبريل لأكتوبر)

حافظ وصدقى باشا

وقال في سنة ١٩٣٢ يندد بسياسة صدقى باشا رئيس الوزارة وقتئذ من قصيدة لم ينشر منها إلا النزر اليسير:

قد مرَّ عامٌ يا سعاد وعام	وابنُ الكنانة في حماء يضام
صَبُّوا البلاء على العباد فنصفهم	يجبى البلاد ونصفهم حكام
أشكو إلى (قصر الدبارة) ماجتى	(صدقى) الوزير وماجى (علام) ^(١)

ومنها في مخاطبة صدقى باشا:

ودعا عليك الله في محرابه	الشيخ والقسيس والمخام
لا هم أحمر ضميره لينوقها	غصصا وتنسف نفسه الآلام

يكافح الاستعمار ويدعو إلى الفداء

قال في حرب طرابلس (سنة ١٩١١ - ١٩١٢) حين اعتدت إيطاليا على العرب يستحث أمم الشرق أن تهض وتكافح الاستعمار، ويجد التضحية في سبيل الحرية:

(١) محمد علام باشا، وكيل حزب اشب الذى اتفه صدقى باشا، يشير إلى ما كانوا يمجونه من الأفعال إساءة لحزب الشعب.

فاسْتَفِقْ يَاشَرْقُ واحْذَرُ أَنْ تَنَامَا
كُلُّ مَنْ يَسْكُنُ فِي الشَّرْقِ السَّلَامَا
فِي سَبِيلِ الْحَقِّ قَدْ مِتَّ بِكَرَامَا
مِنْ دَمِ الْقَتْلِ حَلَالًا وَحَرَامَا
فَأَعْلُوا^(١) مِنْ دَرَارِينَا الْحُسَامَا
بَذَوَاتِ الْخَيْلِ طَاحُوا بِالْيَتَامَا
يَرْحَمُوا طِفْلًا، وَلَمْ يُقُوا غُلَامَا
حَرَمَتْ (لَاهَائِي) فِي الْعَهْدِ احْتِرَامَا
فَسَلُوهُ: بِأَرْكَ الْقَوْمِ عِلَامَا؟
أَمْرًا يَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ سِلَامَا؟
وَجَلُّوا عَنْ أَفْقِ الشَّرْقِ الظَّلَامَا
أَقْسَمْتُ تَلْتَهُمُ الشَّرْقُ التَّهَامَا

طَمَعُ أَتَقَى عَنِ الْقَرَبِ اللَّثَامَا
وَاحْمِلْ أَيْتَهَا الشَّمْسُ إِلَى
وَاضْهَدِي يَوْمَ التَّنَادِي^(٢) أَتَنَا
مَلَدَتِ الْأَرْضُ بِنَا حِينَ انْتَشَتِ
عَجَزَ الطَّلِيَانِ عَنْ أَبْطَانِنَا
كَبَلُوهُمْ، قَتَلُوهُمْ، مَثَلُوا
دَهَبُوا الْأَشْيَاغَ وَالزَّمَنِي^(٣)، وَلَمْ
أَحْرِقُوا الدُّورَ، اسْتَحَلُّوا كُلَّ مَا
بَارَكَ الْمَطْرَانُ فِي أَعْمَالِهِمْ
أَهَذَا جَاءَهُمْ أَنْجِيلُهُمْ
كَشَفُوا عَنْ نَيْةِ الْقَرَبِ لَنَا
فَقَرَأْنَاهَا سَطُورًا مِنْ دَمٍ

وختم قصيدته بقوله:

تَقْنَطِي الْيَوْمَ فَإِنَّ الْجَدَّ قَامَا
تَعَشَّقُ الْمَجْدَ، وَتَأْبَى أَنْ تُضَامَا

فَاطْطِنِي أُمِّ الشَّرْقِ وَلَا
إِنَّ فِي أَضْلَاعِنَا أَفْنَدَةً

تمجيده للشورى

قال في عمرته المشهورة التي أنشأها في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب:

جَزَاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عَنْ مُحِبِّهَا
وَلِلْمَنْيَةِ أَلَامُ تَعَانِيهَا
إِلَى الْجَمَاعَةِ إِتْدَارًا وَتَنْبِيهَا
فَجَرَّدَ السِّيفَ وَاضْرَبَ فِي هَوَادِيهَا
طَعْمُ الْمَنِيَةِ مُسْرًا عَنْ مَرَامِيهَا

يَا رَافِعًا رَايَةَ الشُّورَى وَحَارِسَهَا
لَمْ يَلْهَكِ التَّنَزُّعُ عَنْ تَأْيِيدِ دَوْلَتِهَا^(٤)
لَمْ أَتَسَّ أَمْرُكَ لِلْمَقْدَادِ بِحِمْلِهِ
إِنْ ظَلَّ بَعْدَ ثَلَاثِ^(٥) رَأْيَا شُعْبَا
فَاعَجَبْ لِقُوَّةِ نَفْسٍ لَيْسَ بِبَصْرِهَا

(٤) دولتها، أي دولة الشورى.

(٥) بعد ثلاثه، أي بعد ثلاث ليالٍ، وللمرادى: الأمتان.

(١) يوم القيامة.

(٢) أعلوا أي سقوا.

(٣) الزمنى: دور الساعات.

دَرَى عَمِيدُ بَنَى الشُّورَى بِمَوْضِعِهَا فَعَاشَ مَا عَاشَ بَيْنَهِمَا وَبِعَلِيهَا
وَمَا اسْبَدَّ بِرَأْيٍ فِي حُكُومَتِهِ إِنَّ الْحُكُومَةَ تَقْصُرُ مَسْتَبْدِيهَا
رَأَى الْجَمَاعَةُ لَا تَشْقَى الْبِلَادُ بِهِ رَغِمَ الْخِلَافُ وَرَأَى الْفَرْدُ يُشْقِيهَا

الاستمرار في الكفاح

قال سنة ١٩٢٤ يدعو إلى الاستمرار في الكفاح:

إِنَّا سَنَعْمَلُ لِلْخِلَاصِ وَلَا نَبِي وَإِلَهُ يَقْضِي بَيْنَنَا وَيُدْبِلُ^(١)
كَمْ دَوْلَةٍ شَهِدَ الصَّبَاحُ جَلَالَهَا وَأَتَى عَلَيْهَا اللَّيْلُ وَهِيَ قُلُوبُ
وَقُصُورٍ قَوْمٍ زَاهِرَاتٍ فِي الدُّجَى طَلَّتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ طُلُوبُ

يَأْتِيَا النَّشْءَ الْبِكْرَامَ تَحِيَّةً كَالرُّوْضِ قَدْ خَطَرَتْ عَلَيْهِ قَبُولُ^(٢)
يَا زَهَرَ مَصَرَ وَزَيْنَهَا وَهَمَاتَهَا مَتَى لَكُمْ بِعَدِ الرَّئِيسِ^(٣) فَضُولُ
جُدْتُمْ لَهَا بِالنَّفْسِ فِي وَرْدِ الصَّبَا وَالسُّورِ لَمْ يُنْظَرْ إِلَيْهِ ذَهُولُ
كَمْ مِنْ سَجِيْنٍ دُونَهَا وَبِجَاهِدِ تَمَّ عَلَى عَرَصَاتِهَا مَطْلُوبُ
سَيَرُوا عَلَى سَنَنِ الرَّئِيسِ وَحَقَّقُوا أَمَلِ الْبِلَادِ فَكُلُّكُمْ مَأْمُولُ
أَنْتُمْ رِجَالٌ غَدِيدٌ وَقَدْ أَوَى غَدُ فَاسْتَقْبِلُوهُ وَحَاجِّلُوهُ وَطُولُوا^(٤)

تقريره للمواطنين

ويبلغ حثه المواطنين على النهوض ضد التقرير أحياناً. وله سنة ١٩٠٤ قصيدة ينمى فيها على مواطنيه بعض عيوبهم الاجتماعية، وقد نظمها لمناسبة قضية شخصية ثار لها الرأي العام بغير موجب، إذ تزوج صاحب المؤيد المرحوم الشيخ على يوسف بكريمة السيد عبد الخالق السادات، فرفع هذا دعوى أمام المحكمة الشرعية طالِباً فسخ عقد الزواج بحجة عدم الكفاءة في النسب، وانحاز الرأي العام إلى جانب المدعى، وأخذ القضاء بوجهة نظره رغم علو مكانة الشيخ على يوسف في الهيئة الاجتماعية، قال حافظ:

(١) يدبِل: أى يميل الدولة لنا عليهم

(٢) القبول: ربح الصبا.

(٣) يقصد هنا سعد زغلول.

(٤) حاجلوه: أى اجلسوه ربما ايضاً، وطولوا أى اقربوا واعتزوا.

وَعِثْتُ الْبَيَانَ فَلَا تَعْتَبِي
وَلَا أَنْتِ بِالْبِلْدِ الطَّيِّبِ
أَقَالَ الْبِرَاعَ وَلَمْ يَكْتُبِ
فَقَدْ ضَاقَ مِنْكَ مَا ضَاقَ بِي
سَكُوتَ الْجَمَادِ وَلِمَبِّ الصَّبِيِّ؟
لَسَلَّ الْحَقُوقَ وَلَمْ تَقْضِ

خَطَمْتُ الْبِرَاعَ فَلَا تَعَجَّبِي
فَمَا أَنْتِ يَا مِصْرَ دَارِ الْأَدِيبِ
وَكَمْ فِيكَ يَا مِصْرَ مِنْ كَاتِبٍ
فَلَا تَعْدِلِيْ لِهَذَا السُّكُوتِ
أُعِجَّبِيْ مِنْكَ يَوْمَ (الْوَفَاقِ)^(١)
وَكَمْ غَضَبَ النَّاسِ مِنْ قَبْلِنَا



يُجِدُ بِمِصْرَ فَلَا تَأْخُصِي
وَلَلْنَشْءِ شَرٌّ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ
وَبَيْنَ الْمَسَاجِدِ مَتَوَى الْأَبِ؟
كَمَا قَالَ فِيهَا (أَبُو الطَّيِّبِ)^(٢)
وَنَحْنُ مِنَ اللَّهِو فِي مَلْعَبٍ
فِرَارُ السُّلَيْمِ مِنَ الْأَجْرِبِ
وَأُخْرَى تَشُنُّ عَلَى الْأَقْرَبِ
وَيَدْعُو إِلَى ظِلِّهِ الْأَرْحَبِ
وَيُطْنِبُ فِي وَرْدِهِ الْأَعْذِبِ
عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا مَأْرَبِ

أَنَابَةُ الْمِصْرِ إِنْ الْغَرِيبِ
يَقُولُونَ: فِي النَّشْءِ خَيْرٌ لَنَا
أَتَى (الْأَزْبَكِيَّةَ) مَتَوَى الْبَنِينَ
(وَكَمْ ذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحَكَاتِ)
أَسُورٌ تَمَرُّ وَعَيْشٌ يَمُرُّ^(٣)
وَشَعْبٌ يَفْرُ مِنْ الصَّالِحَاتِ
وَصُحْفٌ تَطُنُّ طَنِينَ الذُّبَابِ
وَهَذَا يَلُودُ بِقِصْرِ الْأَمِيرِ
وَهَذَا يَلُودُ بِقِصْرِ السُّفِيرِ
وَهَذَا يَهْيِجُ مَعَ الصَّانِحِينَ



رَمَاهُ بِهَا الطَّمَعُ الْأَشْعَى
فَجَنُّ جُنُونًا يَبْنِي النَّبَى
وَضَجَّ لَهَا الْقَيْرُ فِي (يُثْرِبِ)^(٤)
وَقَالُوا: تَلَوْنُ فِي الْمَشْرِبِ

وَقَالُوا: (الْمُؤَيَّدُ) فِي غَمَرَةٍ
دَعَاهُ الْفِرَامُ بِسَنِّ الْكُهُولِ
فَضَجَّ لَهَا الْعَرْشُ وَالْحَائِلُوهُ
وَنَادَى رَجَالٌ بِإِسْقَاطِهِ

(١) يقصد الاتفاق الذي عقد بين فرنسا وبريطانيا سنة ١٩٠٤ ويقضاه أثرت فرنسا الاحتلال البريطاني لمصر.

(٢) يشير إلى قول أبي الطيب المتنبي: (وكم ذا بهجر من المضحكات ولكنه ضحك كالكفا).

(٣) عيش يمر، أي يصير مرًا.

(٤) اسم قديم للمدينة المنورة.

وَعَدُّوا عَلَيْهِ مِنَ السُّيُنَاتِ أَلَوْقًا تَدُورُ مَعَ الْأَخْقَبِ
وَقَالُوا لَيُبَيِّقُ بَيْتَ الرِّسُولِ أَغَارَ عَلَى النَّسَبِ الْأَتَجِبِ
وَزَكَّى (أَبُو خَطُوفٍ) قَوْلَهُمْ بِحُكْمِ أَحَدٍ مِنَ الْمَضْرَبِ
فَمَا لِلتَّهَانِ عَلَى دَلَرِهِ تَسَاقَطَ كَالطَّرِ الْعُصْبِ؟
وَمَا لِلوَفُودِ عَلَى بَايِهِ تَزُفُ الْمَشَائِرَ فِي مَوِجِبِ؟
وَمَا لِلخَلِيفَةِ أَسْنَى إِلَيْهِ وَسَاءَ مَا يَلِيقُ بِصُنْدِ الْأَبِ؟

* * *

فِيَا أُمَّةَ ضَاقَ عَنْ وَضْفِهَا جَنَانُ الْمَفُوءِ وَالْأَخْطَبِ
تَضِيعُ الْحَقِيقَةَ مَا بَيْنَنَا وَيُضِلُّ الْبِرَىءُ مَعَ الْمَذْنَبِ
وَيُضْمُّ فِينَا الْإِمَامَ الْحَكِيمَ وَيُكْرِمُ فِينَا الْجَهْلُولَ الْغَبِيَّ

* * *

عَلَى الشَّرْقِ مَنَى سَلَامُ الْوُدودِ وَإِنْ طَاطَأَ الشَّرْقُ لِلْمَغْرِبِ
لَقَدْ كَانَ خِصْبًا بِجَذْبِ الزَّمَانِ فَأَجْنَبَ فِي الزَّمَنِ الْمُخْصِبِ

شعره الاجتماعي

يزخر شعر حافظ بالاجتماعيات، فهو من هذه الناحية أغزر مادة وأعرق غورا من شوقي، ولا غرو فقد كان أكثر اتصالا بالطبقات الشعبية، وعانى ما تعانيه من الألم والحرمان، فصار أدق تصويرا لأحوالها وآلامها، وفي ذلك يقول بحق عن نفسه في قصيدته التي أنشدناها بدار الأوبرا سنة ١٩١١ في حفلة جمعية رعاية الأطفال:

لَمْ أَقِفْ مَوْقِفِي لِأَتَشَدَّ شَعْرًا صَبَّ فِي قَالِبِي بِمَدِيحِ النُّظَامِ
إِنَّمَا قَمْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ تَشْوَى مِنْ كُؤُوسِ الْمَحْمُومِ وَالْقَلْبُ دَامَسَى
فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعِطِفُ النَّاسَ سَأَى عَلَى الْيَائِسِينَ فِي كُلِّ عَامِ
دُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عَيْشًا كُونُ شَرِبِي قَدْأَهُ شَرِبُ الْحِمَامِ^(١)
فَتَقَلَّبْتُ فِي الشُّقَاءِ زَمَانًا وَتَنَقَّلْتُ فِي التَّخَطُّوبِ الْجِسَامِ
وَمَشَى الْمَهْمُ ثَائِقِيًّا فِي قُودَائِي وَمَشَى الْحَزَنُ نَائِجِرًا فِي عِظَامِي

عطفه على منكوبي حريق ميت غمر

في سنة ١٩٠٢ شب حريق مروع في مدينة ميت غمر، وبقيت النار مشتعلة فيها عدة أيام، فدمرت كثيراً من دورها ومات في الحريق كثيرون؛ ولطمم النكية تساق أهل الخير في إعانة المنكوبين وإسعافهم، وفاضت أعمدة الصحف بأنباء ما أصابهم، وفي ذلك أنشأ حافظ قصيدته المشهورة في وصف هذه الكارثة والعطف على ضحاياها. قال:

سائلوا الليل عنهم والنهارا	كيف باتت نساؤهم والعذارى؟
كيف أمسى رضيعهم فقد الأ	م وكيف اصطلى مع القوم نارا؟
كيف طاح العجوز تحت جدار	يتداعى وأسقف تجارى؟
رب إن القضاء أنحن عليهم	فاكشف الكرب واحجب الأقدار
ومر الفيت أن يسيل انهارا	ومر الفيت أن يسيل انهارا
أين طوفان صاحب الفلك يروى	هذه النار فهي تشكو الأوارا ^(١)
أشعلت فحمة الدياجي فبات	تملا الأرض والسباه شرارا
غشيتهم والنحس يجرى يمينا	ورمتهم والهوس يجرى يسارا
فأعارت وأوجه القوم ييض	ثم غارت وقد كستهن قارا
أكلت دورهم قلبا استقلت	لم تُفاد صغارهم والكبارا
أخرجتهم من الديار عراة	حلز الموت يطلبون القرارا
يلبسون الظلام حق إذا ما	أقبل الصبح يلبسون النهارا
حلة لا تقيهم البرد والحد	ر ولا عنهم ترد القبارا
أيما الرافلون في حلل الوشد	سى ^(٢) يجرن للنيول افتخارا
إن فوق المراء قوما جاعا	يتوازون ذلة وانكسارا
أيها السجين ^(٣) لا يمنع السجن	من كريما من يقبل العشارا
مر يالف لهم وإن شئت زدها	وأجرهم كما أجرت النصارى



(١) الأولاد: شدة الحرارة والعطش.

(٢) حال الوشي الثياب للزركشة.

(٣) يقصد أحمد المنشاوي باشا الحصن وساحب المرات للمروقة.

قد شَهِدْنَا بِالْأَمْسِ فِي مِصْرَ عَرْسًا^(١) مَلَأَ السَّعِينِ وَالْفُؤَادَ ابْتِهَارًا
سَأَلَ فِيهِ لِلنُّضَارِ حَتَّى حَسِبْنَا لَنْ ذَاكَ الْفِنَاءَ يَجْرِي نُضَارًا
بَاتَ فِيهِ الْمُتَعَمُّونَ بِكَيْلٍ أَغْجَلَ الْعُصْبَحَ حُسْنُهُ قَسَوَارَى
يَكْسُونَ السَّرُورَ طَوْرًا وَطَوْرًا فِي يَدِ الْكُاسِ يَخْلَقُونَ الْوَقَارَا
وَسِعْنَا فِي (مِيتَ غَمْرٍ) صِيَاخًا مَلَأَ الْبِرَّ ضَجَّةً وَالْبَحَارَا



جَلُّ مِنْ قَسَمِ الْمَحْظُوطِ، فَهَذَا يَتَفَنَّى وَذَاكَ يَبْكِي الدِّيَارَا
رُبَّ كَيْلٍ فِي الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْسًا وَسُمُودًا وَعُسْرَةً وَيَسَارَا

الجامعة في سبيل الكفاح

وقال من قصيدة له في سنة ١٩٠٨ يدعو إلى معاضدة مشروع الجامعة المصرية.

حياكم الله أحيوا العلم والأدبا إِنْ تَشْرُوا الْعِلْمَ يَنْشُرْ فِيكُمْ الْعَرَبَا^(٢)
ولا حياة لكم إلا بجامعة تَكُونُ أُنَا لَطَّلَابِ الْمَلَا وَأَهَا
تَبَى الرِّجَالُ وَتَبَى كُلُّ شَاهِقَةٍ مِنْ الْمَعَالِ وَتَبَى الْعِزُّ وَالْغَلَا
ضَمُوا النُّضَارَ فَلِئِنْ أَصْبُرَ النَّهْبَا ضَمُوا النُّضَارَ فَلِئِنْ أَصْبُرَ النَّهْبَا
وَابْنُوا بِأَكْبَادِكُمْ سُورًا لَهَا وَدَعَا قَبِلَ الْعَدُوَّ فَلِئِنْ أَعْرِفَ السَّبِيَا^(٣)
لا تَقْنَسُوا إِنْ قَرَأْتُمْ مَا يَزُوقُهُ ذَاكَ الْعَمِيدُ وَيُرْمِيكُمْ بِهِ غَضْبَا^(٤)
وراقبوا يومَ لا تَقْنَى حَصَائِدُهُ فَكُلُّ حَيٍّ سَيُجْزَى بِالَّذِي اكْتَسَا^(٥)
بَقَى عَلَى الْإِفْكَ أَبْرَاجًا مُثْبِتَةً فَأَبْنُوا عَلَى الْحَقِّ بُرْجًا يَنْطَعُ الشُّهُبَا
وجاوبوه بفعلٍ لا يُقْوَضُهُ قَوْلَ الْمُنْفِدِ أُنَى قَالِ أَوْ غَطَبَا
لا تَهْجُمُوا إِيَّاهُمْ لَنْ يَجْعَمُوا أَبَدًا وَطَالِهِمْ وَلَكِنْ أَتَجَلَّوْا الطُّلُبَا
وختمها بقوله:

إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ فِي أَوْطَانِكُمْ فَلَكُمْ أَجْرُ الْمُجَاهِدِ طُوبَى لِلَّذِي اكْتَبَا

(١) يتعد عرس زواج (الأمير) حيدر فاضل من كرية على فهمي (بالشا) سنة ١١٠٢ وكان من أعظم المهرجانات.

(٢) أي يبعث فيكم مجد العربيد.

(٣) يشير إلى ما كان يتخذه المعتد البريطاني من الضربات في سبيل إنشاء الجامعة.

(٤) حصاد أي حصاد الصيد أي ما يقوله ليقى به العزائم عن مشروع الجامعة.

رعاية الأطفال

والتقى في إبريل سنة ١٩١٠ القصيدة الآتية في احتفال أقامته جمعية رعاية الأطفال يصف
بؤس أم فقيرة حامل وكيف لقيت الرعاية والإسعاف في مستشفى الجمعية:

شِبْهَا أرى أم ذاك طَيْفٌ خَيَال؟ لا ، بل فتاة بالمرء حَيَالِ
أَسْتُ بِمِذْرَجَةِ المَحْطُوبِ فِيا لها راعِ هناك وما لها مِنْ والي
حَسْرَى تكاد تُجِيدُ قَحْمَةً لَيْلِها نارا بَأَناتِ ذَكَّين^(١) طَوَالِ
ما خَطْبُها عَجَبًا، وما خَطِي بها؟ مالى أَشاطرها الوجيعة مالى؟
ذَانِيتُها وَلِصوتِها في مَسْمَعِي وَقَعَ التَّبَالُ عَطْفَنَ إِثْرَ نِبالِ
وسألْتُها: مَنْ أَنْتِ؟ وهى كَأَنها رَسَمَ على طَلَلٍ مِنَ الأَطْلالِ
قَمَلْتُ جَزَعًا وَقالت: حايِلُ لم تَلِدْ طِعمَ الغَضِّ مِنْذُ لَيْلِ
قد مات واللها وماتت أمها وَمَضَى الحِمَامُ بِعَمَّها والحالِ



والى هنا حيس الحياء لسانها وَجَرَى البُكاءُ بِتَمَعِها المِطْطالِ
فَعَلِمْتُ ما قَفَضَى الفَتاةُ وَأَما يَحْنُو على أَماها أَمثالِ
ووقفتُ أَنْظُرُها كأَنَّ عابِدُ فى هَيْكَلٍ يَرِنُو إلى قَمثالِ
ورأيتُ آياتِ الجمال تكفَلْتُ بِزوالِها فَوادِحُ الأَثقالِ
لأشياء أَقْصَلَ فى النُفوسِ كَقامِةِ هَبْها رُوعُها الأَسَى يَهْزالِ
أَوْعاده كانت تُرِيكَ إِذا بَدَلْتُ شَمْسُ النُّهارِ فَأَصْبَحْتَ كالآلِ^(٢)



قلت: انْهَضِي قالت: أَيَنْهَضُ مُيْتُ مِنْ قَبْرِه وَيَسِيرُ شَنْ بِالِ^(٣)
فَعَلِمْتُ هَيْكَلِ عَظَمِها وكَأَنِّي حَمَلْتُ حينَ حَمَلْتُ عَوْدَ خِلالِ

(١) ذَكَيْن، أى تَوَدَّنَ واشْتَغَلَ.

(٢) الأَثَرُ السَّرايِدُ.

(٣) الشَنْ. القَرَّةُ اللُّغِيُّ البالِية.

وطلّفت أتعّهب الخطا متعمّداً
أشئ وأحمل باتسعين: فطارق
أبكيها وكأنما أنا ثالث

* * *

وطرقت باب الدار لا متعمّداً
طرق المسافر أب من أسفاره
وإذا بأصوات تصيح: ألافتحوا
وإذا بأيّد طاهرات عودت
جاءت تسابق في المهرّة بعضها
فتأولت بالرقق ما أنا حامل
وإذا الطيب مشمر وإذا بها
جاءوا بأنواع الدواء وطوفوا
وجثا الطيب يحسّ نهضاً خافتاً
لم يسر حين دنا ليبلو^(١) قلبها

* * *

ودعته وتركتها في أهلها
وعجزت عن شكر الذين تجردوا
لم يتجملوها بالسؤال عن اسمها
خير الصنائع في الأنام صنعة
وإذا النّوال أقي ولم يترق له
من جاد من بعد السؤال فإنه

* * *

فه درّهم فكم من باتس
جمّ الوجيعة سيّء الأحوال

(١) طارق باب الحياة: الجنيح ويريد بالثّوب بالزوال، أي.

(٢) الإعرال، الحكام.

(٣) يبلو، أي يختبر.

ترمى به الدنيا فمن جوع إلى
عين مُسهَّدة وقلب واجف
لم يذر ناظره أعريانا يصرى
فكأن ناجل جسمه في نوبه
يا بَرْدُ فاجلٍ قد ظفرت بأعزله
يا عينُ سعى يا قلوب تقطرى
لولاكم لتضى عليه شقاؤه
لولاكم كان الردى وقفا على

عزى إلى سُقمٍ إلى إقلال
نفس مُروعة وجيب غالى
أم كاسيا في تلکم الأسمال
خلف الخروق يُطل من غربال
يا حرُّ تلك فريسة المقتال
يا نفس رقى يا مروءة والى
وخلا المجال لحاطف الأجال
نفس الفقير ثقيلة الأحمال



لله دُرُ الساهرين على الأثى
القائمين بخير ما جاءت به
أهل اليتيم وكهفه ومخاته

سهروا من الأوجاع والأوجال^(١)
مدنية الأديان والأجبال
وربيع أهل البؤس والإحمال^(٢)



لا تجهلون عواقب الإهمال
- لا تعلمون - لقائل فعّال
ميدان سبق للجواد النبال^(٣)
يوم الإنابة عشرة الأمثال
عَدُّ وعن وَزَنٍ وعن مكبال

لا تهملوا في الصالحات فيأنكم
إني أرى فقراءكم في حاجة
فتسابقوا الخيرات فهي أمامكم
والمحسنون لهم على إحسانهم
وجزاء رب المحسنين يحل عن

وقال في سنة ١٩١١ يدعو إلى العطف على البؤساء:

دعوة البائس المصائب سور
وهي حرب على البخيل وفى اليَد
إن هذا الكريم قد صان عِرضي

يدفع الشر عن حياض الكرام
سَيِّفٌ على رقاب اللئام
ومخاني من عاديات السقام

(١) الأوجال. المخاوف.

(٢) الإحمال. الجند.

(٣) الجواد. الكريم. والنبال. الكثير القاتل وهو السلاح.

بكساو ويدنو وطعام
س وقاموا في الله خير القيام
خير ورد يؤمه كل ظامى
فهى للبائسات دار السلام

عال طفلى وعالى وحبانى
وهو من معشر أغاثوا ذوى اليؤ
وأقاموا للبر دارا فكانت
مِلَتْ رَحْمَةً وقاضت حَنَانًا

إلى أن قال فى الإحسان والزكاة:

ت بَقُضِلَ الزُّكَاةُ والإِنْعَامُ
فَسَ مِنْ جَلَالِ ذَاكَ الْمَقَامِ
إِذْ تَجَلَّى فِي تَفْهِرِهَا الْيَسَامُ
مَرَّ تَبَدُّى فِي شَخْصِ ذَاكَ الْهَمَامِ
فَهِيَ رُكْنُ الْأَرْكَانِ فِي الْإِسْلَامِ
لِحَيَاةِ الشُّعُوبِ خَيْرُ قَوَامِ
يَا وَأَهْوَى عَلَى اقْتِنَاءِ الْمُطَامِ
لِرُكُوبِ الشُّرُورِ وَالْإِتْمَامِ
لَا يَبَالِي بِشُرْعَةٍ أَوْ نِيَامِ
أَخَذًا قَوْتَهُ بِحَدِّ الْحُسَامِ

قَدْ نَجَا الْمَنَعَمُ الْمَجُودُ مِنَ الْمَوْتِ
فَأَطْلَقْنَا بِهَا وَقَدْ مَلَأَ الْأَثَرُ
وَشَهَدْنَا تَفْهِرَ الْوَفَاءِ تَجَلَّى
وَرَأَيْنَا شَخْصَ الْمَرْوَةِ وَالْبِ
وَعَلَّمْنَا أَنَّ الزُّكَاةَ سَبِيلَ اللَّهِ
خَصَّهَا اللَّهُ فِي الْكِتَابِ بِذِكْرِ
بَدَأَتْ مَبْدَأُ الْيَقِينِ وَظَلَّتْ
لَوْ وَفَى بِالزُّكَاةِ مَنْ جَمَعَ الدُّنْدُ
مَاشِكَا الْجُوعِ مُعْدِمٌ أَوْ تَصَلَّى
رَاكِبًا رَأْسَهُ طَرِيدًا شَرِيدًا
سَائِلًا عَنِ وَصِيَةِ اللَّهِ فِيهِ

ملجأ الحرية

ومن قصيدة له سنة ١٩١٩ فى تحية ملجأ الحرية، وفيها يهيب بالأثرياء أن يبروا الأيتام
والفقراء، ويشير إلى يقظة الأمة سنة ١٩١٩ وما أحدثته الثورة فى النفوس من التطلع إلى المثل
العالى.

قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا أَنْ نُنْشَرَا^(١)
وَأَبَى سَبْحَانَهُ أَنْ تُقْفَرَا
تَبَّكَ عَيْنَاكَ إِذَا خَطَبْتَ عَرَا^(٢)

أَيُّهَا الْوَلَدُ لَكَ الْبُشْرَى فَقَدْ
قَدَّرَ اللَّهُ حَيَاةَ حُرَّةٍ
لَا تَخَفْ جُوعًا وَلَا عَرِيًّا وَلَا

(١) نشر، أى نصبا وتمتد.

(٢) عراء، أى ونزل.

لك عند البرِّ في مَلَجِنه
حيث تلقى فيه حَذْبًا وترى

لا تسمى ظنًا بمُشرينا فقد
كان بالأمس وأقصى هُـ
فقد اليوم يُواسى شعبه
نُبّهت عاطفة البرِّ به
جَمَعْتنا في صعيد واحد
فصاهدنا على دفع الأذى
وتواصينا بصبر بيننا
أَنْشَرْتُ^(١) في مصر شعبًا صالحًا
كم محبِّ هاتس في حبها
وشباب وكهولٍ أقسموا

يارجالَ الجِدِّ هذا وقته
ملجأ أومصرًا أومصنًا
أنا لأعذر منكم من وقى
فابدهوا بالملجأ الحرَّ الذي
واكفلوا الأيتام فيه واعلموا
أبها المشرى ألا تكفل من
أنت ما يُدريك لو أنيته
ربما أطلعت (سعدًا) آخرًا
ربما أطلعت منه (عبدَه)
ربما أطلعت منه شاعرًا
ربما أطلعت منه قارسًا

أَنْ أَنْ يُغْمَلْ كُلُّ مَا يَمَرَى
أو نقابات لزراع القرى
وهو ذو مقدرة أو قسرا
جئت للأيدى له مُستمطرًا
أَنْ كُلُّ الصيْد في جوف الفراء
بات محرومًا يتيسر مفسرًا؟
ربما أطلعت بندا نَمِرًا
يُحْكِمُ القول ويرقى المنبرا
مَنْ حَمَى الدِّينَ وزان (الأزهرا)
مثل (خوقى) ناهيا بين الورى
يدخل الغيل على أسد الشرى^(٢)

(١) الطريقة: الطيلة والمروضة

(٢) أنشروته أى أحيته

(٣) القيل: الشجر الكبير للقف تارى إليه الأسود والشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بأساها لليل

كم طوى اليوس نفوساً لورعت منيتاً خصباً لكات جوهراً
كم قضى العدم على موهبة فتوارت تحت أطباق الثرى

كلُّ من أحيا يتيها ضائعاً حسبه من ربه أن يؤجراً
إنما تحمد عُقبى أمره من لأخراه بدنياء اشترى

جمعية إعانة العميان

وقال في سنة ١٩١٦ في احتفال أقامته جمعية إعانة العميان:

إن حق الضرير عند ذوى الأيدى صار حقٌ مستوجبٌ للتقديس
لم يضُرْه فقْدانُه نُورَ عينيه به إذا اعتاض عنها بأنيس
آنسوا نفسه إذا أظلم العمى بش بعلم فالعلم أنس النفوس
وجّهوه إلى الفلاح يُفدكم فوق ما يستفيد من دروس
أكملوا نقصه يكن عبقرياً مثل (طه) مُبرِّزاً في الطُّروس
كم رأينا من أكمه لا يجارى وضريرٌ يرجى ليوم عيوس
لم تقف آفة العميون حجازاً بين وثباته وبين الشمس
عديم الحس قائداً فحداه هدئ وجدانه إلى المحسوس
مثل هذا إذا تعلم أغنى عن كثير وجاءنا بالتفيس
ذاك أن الذكاء والحفظ خلأ في جوار اللهى بتلك الرموس
فصل كل أكمه ويصير شكر أعضائكم وشكر الرئيس

المال والعلم والأخلاق

قال سنة ١٩٢١ باسم مصر، قصيدته - مصر تتحدث عن نفسها :-

وارفعوا دولتى على العلم والأخلا ق فالعلم وحده ليس يمجى

وقال سنة ١٩١٠ من قصيدة له (ص ١٢٦) في الحث على إعانة مدرسة للبنات ببورسعيد:

كم ذا يكابد عاشقٌ ويلقى في حبٍ مضرٍ كثيرَ العشاق
إنى لأجملُ في هواك صبايةً يامضٍ قد خرَّجت عن الأطواق

تَلْفَى عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكَ طَلِيقَةً
كَيْفَ بِمَحْمُودِ الْخِلَالِ مُتَيِّمٌ
إِنِّي لَطَرُوبِي الْخِلَالِ كَرِيمَةً
وَهَزَنِي ذِكْرِي الْمَرْوَةِ وَالْأَنْدَى



فَإِذَا رَزَقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً
فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا
وَالْمَالُ إِنْ لَمْ تَدْخِرْهُ مُحْصَنًا
وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَفِهِ شَمَائِلٌ
لِتَحْسِنَ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ
فَقَدْ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ
عَلِمَ وَذَاكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
بِالْعِلْمِ كَانَ نَهَايَةُ الْإِنْفَاقِ^(١)
تُعْلِيهِ كَانَ مَطْيَةُ الْإِخْفَاقِ
مَا لَمْ يَتَوَجَّ رُبُّهُ بِخِلَاقِ^(٢)

فضل المرأة على المجتمع

وقال في هذه القصيدة ينوه بفضل المرأة في المجتمع:

مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ؟ فَإِنِّهَا
الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّتْهَا
الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الْحَيَا^(٤)
الْأُمُّ أَسْتَاذُ الْأَسَاتِذَةِ الْأَلَى
فِي الشَّرْقِ. عَلَّةٌ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ
أَعَدَّتْ شَعْبًا طَيْبَ الْأَعْرَاقِ^(٣)
بِالرَّيِّ أَوْقَى أَيْمًا لِمِإِرَاقِ
شَغَلَتْ مَأْتَرَهُمْ مَدَى الْآفَاقِ



أَنَا لَا أَقُولُ دَعُوا النِّسَاءَ سَوَافِرًا
يَسْتَرْجِعْنَ حَيْثُ أُرْدُنَ لَا مِنْ وَازِعٍ
يَفْعَلْنَ أَفْصَالَ الرِّجَالِ لَوَاهِيَا
فِي دَوْرِهِنَّ شَتَوْنَهُنَّ كَثِيرَةً
بَيْنَ الرِّجَالِ يَجْلُنَ فِي الْأَسْوَاقِ
يَحْذَرْنَ رَقَبَتَهُ وَلَا مِنْ وَافِي
عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِسِ الْأَحْدَاقِ
كَشْتُونُ رَبِّ السِّيفِ الْمِزْرَاقِ^(٥)

(١) الإنفاق: الفقر.

(٢) الخلاق: النصب من الخير والصلاح.

(٣) الأعراق: الأصول. الولد عرق.

(٤) الحيا: المطر.

(٥) الميزاق: الرمح.

كلاً ولا أدعوكم أن تُسرفوا
 لئست نسلوكم حلياً وجواهرأ
 لئست نسلوكم أثاثاً يُفتق
 تتشكّل الأزمان في أدوارها
 فتوسطوا في الحاليتين وأنصفوا
 ربوا البنات على الفضيلة إنها
 وعليكم أن تستبين بناتكم
 في الحجب والتضييق والإيهام
 خوف الضياع تصان في الأحقاق
 في الدور بين مخادع وطباق
 دولاً وهن على الجمود يسواقى
 فالشر في التقييد والإطلاق
 في الموقنين لمن غير وثاق
 نور الهدى وعلى الحياة الباقي

المناصب والفضائل

من قوله في رثائه لمحمود سامي البارودي:

إن المناصب في عزل وتولية غير المواهب في ذكرر وتخليد

ومات حافظ سنة ١٩٣٢ بعد أن خلف لمصر والشرق ذخيرة من الوطنية وكنوزاً من الشعر والحكمة والأخلاق لا تنفد ولا تنفد على مر الزمان.

خليل مطران

شاعر الحرية

١٨٧٢ - ١٩٤٩



شاعر الحرية والحرية، حمل لواء التجديد في الشعر،
نيفاً ونصف قرن من الزمان، دلتغ الذروة في عالم الشعر
والفن والبلاغة والخيال.

ولد سنة ١٨٧٢ في بعلبك إحدى المدن الشهيرة ببلنات،
وتشأ نزاعاً إلى الحرية سمع النفس، كريم الخلق، صفي
السريّة، محباً للخير، وديعاً في شمع وإباء، معتزاً بكرامته،
عيوقاً عن الصقائر.

ضاق صدرًا منذ صباه بجو يضغط على حرية الرأي
والفكر، فارتحل إلى باريس يتم فيها دراسته وعلومه،
وهناك ارتوى من مناهل الآداب الغربية، وإذا كانت
شاعريته وليدة فطرته وسليقته، فقد اتجهت نفسه بتأثير الأدب الفرنسي إلى التجديد في شعره،
فجمع بين البلاغة العربية والأساليب والمعاني الأوروبية.

ثم هاجر إلى مصر، واتخذها موطنه الثاني، بل موطنه المختار.
أخلص لها، وغرد في أكتافها، وتشتق نهلها وأرضها وسامها، وهو ثالث الثلاثة الذين عاشوا
مما وانتته إليهم زعامة الشعر في العصر الحديث: شوقي وحافظ ومطران.
ألمه حب الحرية نظم القصائد الرائعة في تمجيدها والذود عنها، والجهاد في سبيلها، فكان من
أعلامها المخالدين.

كان إنساناً في شخصه وفي أخلاقه وفي شعره وأدبه.

كان في شعره ينشد الكمال، ويخلق في أجواء الحرية والوطنية.

كان يستلهم شعره من المثل العليا، وفي ذلك يقول عن نفسه في الاحتفال بيوبيله الذهبي
سنة ١٩٤٨.

كان في الشعر لى مرأى خطير
هائم في الوجود أسأله الوح
أكبروفى ولست أكبر نفسى
لا يضق صدر شاعر بأخيه
والسماوات لو تأملت فيها
كل جرم يعلو ويصبح نجما
والنجوم التى تلوح وتغفى
فعدا طوقى المرأى الخطير
س كى كى يسأل الغنى الفقير
أنا فى الفن مستفيد صغير
يكبره الفضل أن تضيق الصدور
ليس تحصى شمسها والبدور
فله حيز وفيه بدور
ربوات وما يضيق الأثير

وبهذه الروح العالية، والنفس الصافية، والود الخالص، والإيتار والأريجية، عاش محبوباً من معاصريه؛ يحبه ويحبه، وينشد لهم الخير والكمال.

وقد أروخ في شعره الوطنى العذب مراحل النهضة المصرية والشرقية، وسجل حوادثها ووقائعها، وترجم لرجالها وأشخاصها، وغذى بقصائده الروح الوطنية جيلاً بعد جيل.

يمتاز شعره بسعة الخيال وجمال التصوير وبلاغة التعبير، هذا إلى اقتباسه من آداب اللغة الفرنسية التى درسها وتمكن منها تمكنه من آداب اللغ العربية، فجمع بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية، وهو زعيم مدرسة التجديد فى الشعر العربى، وسار على نهجه تلاميذه ومريده.

وقد عبر أبلغ تعبير وأرقه عن منهج التجديد فى شعره، بقوله فى مقدمة الطبعة الثانية لديوانه سنة ١٩٤٨ قال:

« هذا شعرى، وفيه كل شعورى، هو شعر الحياة والحقيقة والخيال، نظمت فى مختلف الآونة التى تخللت فيها عن العمل لرزقى، نظمت مصبهاً ومسياً، منفرداً ومتحدثاً مع عشارى، وقيدت فيه زفرائى وأحلامى، وسجلت بقوافيه أحداث زمانى ويأتى فى دقة واستيفاء.

« أتابع السابقين فى الاحتفاظ بأصول اللغة، وعدم لتفريط فيها، واستيحاء الفطرة الصحيحة، وأتوسع فى مذاهب البيان مجارة لما اقتضاه العصر، كما فعل العرب من قبلى، أما الأمانة الكبرى التى كانت تحمى، فهى أن أدخل كل جديد فى شعرنا العربى بحيث لا ينكره، وأن أستطيع إقناع الجامدين بأن لغتنا أم اللغات إذا حفظت وخدمت حق خدمتها، ففيها ضروب الكفاية لتجارى كل لغة قديمة وحديثة فى التعبير عن الدقائق والجلالات من أغراض الفنون، وإلى لأرجو أن يرى المطلعون على هذا الجزء الثانى وما يليه من أجزاء (ديوان الخليل) مصداقاً لدعواى».

وقال عنه صوته وصديقه حافظ يشيد بنزغته في التجديد:

«هو في طليعة أولئك الذين خرجوا من أفق التقليد وصدعوا قيود التقيد، وأوسعوا صدر الشعر العربي للخيال الأعجمي، وأفسحوا فيه للقصص وتصوير الحوادث، وطوفوا بسرد وقائع التاريخ، ففتح بذلك فتحاً جديداً شت فيه الفارة على أهل الحفاظ والتسيك».

وكان من أركان المسرح العربي بما كتب لهذا المسرح وعرب، فقد ترجم ليالى البريد دى موسيه، ورواية هرناني لفكتور هيجو، كما ترجم لكورنيل مسرحيات (السيد) وسينا وبوليكت، وترجم روايات شكسبير: هاملت، ومكبث، وعطيل، وتاجر البندقية.

النهضة العربية

قال سنة ١٩٠٨ يحيى نهضة الشعوب العربية:

داع إلى العهد الجديد دعاك	فاستأنفى في الحافقين علاك
يا أمة العرب التي هي أمنا	أى الفخار نمتيه ونماك؟
يمضى الزمان وتتقضى أحداثه	وهواك منا في القلوب هواك
إننا نقاضى الدهر في أحسابنا	بالرأى لا بالصارم الفتاك
وملاك شيمتنا الوفا فإنه	لسعادة الأقوام خير ملاك
آمالنا آلامنا أرواحنا	أشباحنا يوم الفداء فداك
بالعلم تنشر ما انطوى من مجدنا	وبه نركى في الورى ذكراك

مطران ومصطفى كامل

كان بينه وبين الزعيم مصطفى كامل صداقة وود داما طول العمر، كان مؤيدا لدعوته نصيراً لرسالته، دافع عنها في حياة مصطفى، وظل وفيها لها بعد وفاته، ويبدو مبلغ إعجابه به وتقديره لعبقريته في قصيدته التي أنشدها سنة ١٩٠٨ في حفلة الأرميين لوفاته، وقد نشرها في ديوانه وصدرها في طبعته الأولى بهذه الكلمة التي تعد في ذاتها قصيدة من النثر المنظوم، قال: «مصاب الشرق في رجله المفرد ويطله الأرحم مصطفى بأشا كامل، أينما الروح العزيزة إن في هذا الديوان الذى اختتمه يرثائك، نفحات من نفحاتك، ودعوات من دعائك، فإلى هيكلك المدفون بالتكريم تحية الأخ المخلص للأخ الحميم، ووداع المجاهد المنطوع للقائد العظيم».

وجعل عنوان القصيدة (حق الوطن وحق الإخاء) قال:

أَعْلَى مَكَاتِكَ إِلَهُ وَشَرُّنَا
الْيَوْمُ فُزْتُ بِأَجْرٍ مَا أَسْلَفْتُهُ
وَجَزَيْتَ مِنْ فَنَائِ الْوُجُودِ بِخَالِدٍ
فَانْعَم بِطَيْبِ جَوَارِهِ يَا (مصطفى)



أَعْظَمُ يَوْمِكَ فِي الزَّمَانِ وَمِنْ لَهُ
حَيْثُ الْوُقُودُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَقْبَلُوا
وَتَحْمَلُوكَ عَلَى الْأَشْمَةِ وَارْتَقُوا
فَوَرِدَتْ وَرَدَكَ فِي الْخُلُودِ مَنْعُهَا
لَمْ تُلَفْ قَبْلَكَ أُمَّةٌ فِي مَشْهَدٍ
يَمُشُونَ مِنْ حَوْلِ الْجَنَازَةِ ضَائِقًا
مُتَشَاقِلِينَ مِنَ الْوَقَارِ وَإِنَّمَا
يَحْرَمُ مِنَ الْأَحْيَاءِ نَعَشُكَ فَوْقَهُ
يَبْكُونَ فِي آثَارِهِ الْعَلَمُ الَّذِي

بِكَ وَاصِفًا ذَاكَ الْجَلَالِ فَيُوصَفَا
حَافِينَ حَوْلَكَ فِي السَّرِيرِ وَعُكْفَا
سَرَبًا يَمُوزُ بِكَ الدَّرَارِي مَوْجِفَا
وَالْأَرْضُ مَائِدَةٌ عَلَيْكَ تَأْسَفَا
يَنْزِرُوا الرِّجَالَ بِهَ الْمَدَامِمْ ذُرْفَا
بِهِمُ الرَّحِيبُ مِنَ الْمَسَالِكِ مَصْرَفَا
سَارُوا بِطَيْفٍ تَاحِلٍ أَوْ أَنْعَفَا
فُلُوكَ يَطْلُلُهُ الْهَوَاءُ مَرْقُوفَا
آثَارُهُ مِنْ رَفْعَةٍ لَا تُقْتَنَفَى



سَعَتْ الْخَوَادِرُ حَاسِرَاتٍ وَالْأَسَى
وَلَتْنِ سَفَرْنِ وَلَمْ يَخْلَنْ فَبَانَهُ
فَزِعَ الشَّيَابُ إِلَى الشَّيْخِ بِثَارِهِمْ
وَمِنَ الْفَضَاخَةِ أَنْ دَعَا دَاعِيَ الْعَلَا
جَزَعَ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ لِمُسْلِمٍ
بَكُوا الْمَرْجِي فِي خِلَافٍ عَارِضٍ
وَاشْتَدَّ رُؤْيُ الْمُسْلِمِينَ وَحَزَنَتِهِمْ

مُلَّتْ عَلَى الْأَبْصَارِ سِتْرًا أَغْدَقَا
خُطْبُ الْآنَ بِرُوعِهِ ضَمُّ الْهَفَا
مِنْ دَمْعِهِمْ إِنْ خَانَهُمْ مَتَكْفِكْفَا
بَعْدَ الْفَقِيدِ فَنِي بِهِمْ فَتَوَقَّفَا
هُوَ خَيْرٌ مِنْ وَالِي وَأَوْفَى مِنْ وَفَى
لَيْسَ زَيْلُ ذَاكَ الْعَارِضِ الْمَتَكَشِّفَا
لَمَّا مَضَتْ وَلَسْتَ فِيهِمْ مَخْلِفَا



مَنْ بَعْدَ كَاتِبِهِمْ وَبَعْدَ خَطِيبِهِمْ
مَنْ يَبْرِيءُ الْإِسْلَامَ مِنْ تَهْمِ الْعِدَى
يُبْدِي لِأَعْيُنِ جَاهِلِيَّةٍ قَضَلَهُ

يُحِلُّ لَهُمْ صَوْتًا وَيَنْشُرُ مَصْحَفَا؟
وَيَرُدُّ نَقْدَ النَّاقِدِينَ مَزْيِفَا؟
وَيَزِيلُ مَا يَلُدُّ التَّيَاكُرُ مِنْ جَفَا؟

ويثير من غضب الغضاب لجديهِ
 لكنَّ من أقلام جنيدٍ حولهِ
 ولعلَّ حُرّاً لا يلدن به انيرى
 قِفْ أيها الناعى عليه جِوْتهُ
 إن يَعتَرِ الشمسَ الكُوفُ هنيهةً
 وهل الكُوفُ سوى تَعرُضِ حائلٍ
 لم تنزل الأديان إلا هاديا
 بشعارٍ حى على الفلاح وما بها
 وبكل أمرٍ موجبٍ إصلاحهم
 قد كان للإسلام عهدٌ باهرٌ
 ملأ البلاد إنارةً وحضارةً
 فالخيرُ كلُّ الخيرِ فيه مقبلاً
 يدعو البقاء إلى التكافؤ بالقوى
 والخلق جسمٌ إن ألم ببعضه
 بشرى البرية بعد مُزْمِنِ دائها
 إن أغضبت تلك السلامة جائراً
 يما من نهضت بنصره وأبنته
 مازلت في مصر تقيم مناره



مصر العزيزة قد ذكرت لك اسمها
 وكأني بالقبر أصبح منبراً
 مصرُ التي لم تحط من نجباتها
 مصرُ التي لم تبغ إلا نفعها
 مصرُ التي غسلت يداك جراحها
 مصرُ التي كافحت لدُعْدعاتها
 مصرُ التي سُقَّت الجيوش مناقبها
 وأرى ترابك من حنين قد هفا
 وكأني بك مُوشِكُ أن تهتفا
 بأعز منك ولم تعز بأحفا
 في الحالتين ملائنا ومعنفا
 بصيب دمك جارياً مستنزفا
 متصدراً لرماتها مستهدفا
 ومُنَى لتكفيها الخير المجنفا

بلغ الفداء نزاهاً وتعففاً
من شملها ما لم يكن ليؤلفاً
لو لم يضأقرها رداك فيسفا
شعب يعز بنفسه مستنصفاً

مصر التي أحبيتها الحب الذي
حتى مضيت كما ابتغيت مؤلفاً
أمنية أعيت خلاك دوتها
وهي التي لو قُسمت لُنك بها



بالحق لا شكساً ولا متصفاً
يحيى الحكيم مدبراً ومصرفاً
فيه مهيب الطبع والمستظرفاً
يُجدي البلاد فتتغيه مُلحفاً
تهوى ومطاءً لغيرك مُسرفاً
بما تقول ولا تعاهد مُخلفاً

من كان أجراً منك يوم كرهية
من كان أقدر منك تصرفاً لما
من كان أظهر منك خلقاً جامعاً
من كان أزهد منك إلا في الذي
من كان أسمع منك مناعاً لما
من كان أصدق منك لامتصلاً



عال اللواء حي المروءة والوفا
أغدت معالمهن قاعاً صففاً
ورجائه كذب النعمي وأرجفاً
ملء الوجود به ويصبح قد عفاً
بك في جهادك أو أشد وأشففاً
عن مصر تضرب في البلاد مطوّفاً
بضو الطريق وتدفع المتخلفا
هماً وتوشك أن تطم فتجرففاً
ويكاد يعزف كل حرف تمزفاً
فهو التسيم وقد ذكا وتلففاً
نقش المداد رسوماً وتخلففاً
وتعاف تحلية لئلا تكشففاً
تلك النفوس مروءة ومشففاً
ذكرى وعرفنا الحياة لتعرففاً

لحنى على فخر الصبي هادى النهي
يا من نعى تلك الفضائل والعلی
للا وحققك يا شهيد وفائه
ما أنت بالرجل الذي يسي وقد
إلى أراك ولا تزال كمهدنا
ثابر على تلك المزامم ذائداً
أصدر صحائفك التي تحيي بها
تجري بها الأنهار وهي دوافق
وتكاد أسطرها تهب نواطفاً
فلذا حنوت على الحمي متحيباً
وكأنما الألفاظ ما خففت
تستام من أثوابها أرواحها
ثم للخطابة في المجامع وامتلك
أعد القديم من الممالك والقرى

شَدُّ عِزَانَعْنَا وَقَاتِلْ ضَعْفَنَا
 مَا هَذِهِ الْآيَاتُ يَرْمِي لَفْظُهَا
 مَا ذَلِكَ التَّرْصِيعُ لَيْسَ مَرْمُوعًا
 وَحَيَّ بِمَا هَجِيَّةٍ إِذْ مَا أَطْلَقْتَ
 تُحْيِي حِرَارَتَهَا وَتَهْدِي نَوْرَهَا
 تَاللهِ مَا أَنْتَ الْخَطِيبُ وَإِنَّمَا
 عَنْ نَظْمِهِ تَقَعُ الصُّرُوفُ مَوَاعِظًا



يَا حَيْدَا لَوْ كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَزَلْ
 وَالْآنَ نَحْنُ لَدَى ثَرَاكِ نَحْجِهْ
 نَتْنِي وَهَلْ يَوْفَى ثَلَاوُكُ حَقِّهِ
 مَاذَا يُعِيْضُكَ مِنْ شِهَابِكَ نَظْمُنَا
 وَيُعِيْضُ مِنْكَ وَكُنْتَ جَوْهَرَةَ الْحَمَى
 لَكِنَّهُ حُلُمٌ مَضَى مُسْتَطَرَفَا
 مَتَلَهِّبِينَ تَشْوِقَا وَتَشَوْفَا
 وَيَأْنِي أَلْفَاظُ الْمَحَامِدِ يُكْتَفَى
 فَيْلِكَ الرَّثَاءُ مُنْشَقَا وَمُصَفَا
 صَوْنُ الْكَلَامِ مَرْمُوعَا وَمَزْخَرَفَا



يَا أَخْلَصَ الْخُلَصَاءِ أَبْكِي بَعْدَهُ
 هَذَا مِثَالُكَ لِأَخٍ يَرْعَانَا وَقَدْ
 جَادَ الْهَلَالَ بِرَسْمِهِ تَاجًا لَهُ
 يَا مَنْ رِيَاءَ عُدَاتِهِ يَتَطَرَفُ
 كَهَوَاكُ لِلْأَوْطَانِ فَلْيَكُنِ الْهَوَى
 يَجْرِي عَلَى قَدْرِ الْمَطَالِبِ تَامِيَا
 أَنْشَأَتْ مِنْ مِصْرَ الشَّتَابِ بِفَضْلِهِ
 أَحْدَثَتْ فِيهَا أُمَّةً أُنْدَى يَدَا
 عَرَفَتْ أَهْلِيهَا حَقِيقَةً قَدِيرِهِمْ
 نَفَعَاتُ رُوحِكَ خَلَرَتْ أَرْوَاحَهُمْ
 جِصْنٌ أَشْمُ تَسَانَدَتْ أَجْزَاؤُهُ
 كَبِكَاءِ مِصْرَ تَحْرَقَا وَتَلَهَّفَا
 كَشَفَ الْجَوَى عَنْهُ الْحِجَابَ فَأَشْرَفَا
 وَكَسَتْهُ نَاسِجَةُ الطَّهَارَةِ مُطَرَفَا
 حَقَّقَتْ آمَالَ الْمُدَى مُتَطَرَفَا
 لَا مِفْتَاحَ فِيهِ وَلَا مِتْكَافَا
 وَيَجِلُّ فِي بَحْرَاهُ عَنْ أَنْ يُصْدِفَا
 مِصْرَ الْفَتَاةِ جَمِيٌّ يُعْزِ وَمَالِفَا
 لِلصَّالِحَاتِ وَبِالْمِظَانِمِ أَكْلِفَا
 وَكِفَاظُهُمْ مِنْ قَدِيرِهِمْ أَنْ يُصْرِفَا
 فَهَمُّ مَرَامِكَ سَاءَ دَهْرٌ أَوْ صَفَا
 عَلِيًّا وَأَمْنَهُ النَّهْيُ أَنْ يُنْسَفَا

فَارْقُدْ رَقَاذِكَ إِنْ رَيْكَ قَدْ مَحَا بِكَ ذَنْبٌ مِصْرَ كَمَا رَجَوْتُ وَقَدْ عَفَا

وله في سنة ١٩٣٣ قصيدة عشاء ألقاها بمناسبة مرور عام على وفاة حافظ إبراهيم، ضمنها وصفاً رائعاً للنهضة القومية التي كونت حافظاً، وجعلته الشاعر المطبوع المترجم عن آمالها وآلامها، وكيف أن هذه النهضة هي غرس مصطفى كامل، وكيف تعهدوا بجهاذه إلى أن مات، وبجوته كانت الآية التي تم بها استقرارها، قال فيها:

طَرَأَتْ حَالَةً تَبْقُظُ فِيهَا	لدعاة الهدى ضمير السواد ^(١)
فَإِذَا (حافظ) وَقَدْ بَثَّ مَا فِي	نفسه من تَجْهِيمٍ وإربداد
وَبَدَا لِلْعَى الْجَلَالِ فِيهَا	أَفَقٌ وَاسِعٌ الْمَدَى لَارْتِيَاد
مَا تَحْمِلُ نَهْوَ كَتَجَلِيهِ	وَقَدْ هَبَّ (مصطفى) لِلجِهَاد
يَوْمَ نَادَى الْفَقَى الْعَظِيمُ فَلَمَّى	مِنْ نَبَاٍ ^(٢) قَبْلَهُ بِصَوْتِ الْمَنَادِ
وَوَرَى ^(٣) ذَلِكَ الشُّعُورَ الَّذِي كَا	نَ كَيْفًا كَالنَّارِ تَحْتَ الرَّمَادِ
فَتَأْتِي بَعْدَ الْقُنُوطِ الدُّجُوبُ	سَيَّ ^(٤) رَجَاءٌ لِلشَّاعِرِ الْمَجُودِ
مِنْ مَتْنِ السَّوَادِ فَانْبَجَسَتْ نَا	رُ وَنُورٌ مِنْ طَيِّ ذَاكَ السَّوَادِ
أَكْبَرَ الدَّهْرِ وَثِيَّةً وَثِيَّتَهَا	مِصْرٌ مِفْتَاحُهَا مِنَ الْأَصْفَادِ
وَتُعَا ^(٥) غَدَا هَزِيمًا ^(٦) فَأَلْقَى	رُوعَهُ فِي مِرَابِضِ الْأَسَادِ
مَا الَّذِي أَخْرَجَ الشُّجَاعَةَ مِنْ حَيْدِ	بَثْ طُوتَهَا قُرُونُ الْإِسْتِدادِ
وَجَلَا غُرَّةَ الصَّلَاحِ فَلَاحَتْ	تَزْدَحِي مِنْ غِيَابِ الْإِسْقَادِ
فَإِذَا أُمَةٌ أَيْمَةٌ ضَمِ	مَالَهَا غَيْرَ حَقِّهَا مِنْ عَتَادِ
نَهَضَتْ فَجَلَّةٌ تَتَأَفَّحُ فِي آ	بِ عُلُوبٍ أَسْرَفَا فِي اللَّدَادِ
أَجْنَبِيًّا أَلْقَى الْمَرَاثِي حَتَّى	تَقْلَعُ الرَّاسِيَّاتُ فِي الْأَطْوَادِ
وَهَوَاتًا كَأَنَّمَا طَبَعَ الشَّمْسُ	بِ عَلَيْهِ تَقَادُمُ الْإِخْلَادِ
حَلْبَةً يُعْزِرُ الْمُقْصِرُ فِيهَا	وَالْحَوَاتِمُ زَهْنُ تِلْكَ الْمَبَادِي
لَيْسَ تَقْيِيرٌ مَا يَقُومُ يَسِيرًا	كَيْفَ مَا عُدُوهُ مِنْ آمَادِ؟
غَيْرَ أَنْ الْإِيمَانَ كَانَ حَلِيقًا	لِقُلُوبِ الطَّلِيعةِ الْأَنْجَادِ

(١) المظلم

(٢) التفتاد: صوت الشاة والمز.

(٣) المزهم: صوت الرعد

(٤) يربد الجمهور

(٥) نبا: نجاني وتباعد

(٦) دورى الزند: خرجت نار.

فاستعانوا به على ما ابتغوه غير باغين من بعيد المراد

إلى أن قال:

بعد وثب في إثر وثبٍ عنيف وارتداد في الشوط غبّ ارتداد
ساور الأمة التردد والتا ت^(١) عليها في السير وجه الرشاد
لا تسل يومذاك عن جلد القا دة في ملتقى الخطوب الشداد
كلها ازدادت الصحاب أبوا ! لا كفاحا وعزمهم في ازدياد
يبدلون القوى وفوق القوى غير مبالين أنها لنفاد
و (الزعيم الأبر) أطيبهم نفس عا عن النفس صراع العوادي
هل ينجي شعباً من اليأس إلا حثت من خوارق المعتاد
مصطفى مصطفى بحسبك إن يد كر فداء أن كنت أول فاد
مصطفى مصطفى ليهنتك أن أح حيت قوماً بذلك الاستشهاد
دب فيهم روحٌ جديد له ما بهته في القلوب والأغلاد^(٢)
تنقضي الحادثات بعدك والرؤ ح مقيم فيهم على الآباد
كاذ يوم شيعت فيه يرحم لحة من جلال يوم المعاد
صدروا عنه بالتعارف فيها بينهم وهو قوة الأعداد
واستشفوا لبأسهم فيه سرا كم تحامى أن يدركوه الأعادي
هذه مصر الفتية هيئت في صفوف فتية للذباد
رجل مات مخلّفاً منه جيلاً رابط الجأش غير سهل المقاد
عهد نور من الحفاظ ونار بعد طول الخمود والإخاد
تخذت عبقرية الشعر فيه سلماً للمروج والإصعاد
أبلغت (حافظاً) من الحظ أوجاً زاد منه العلياء كل مراد

إزاحة الستار عن تمثال مصطفى كامل

وله في سنة ١٩٤٠ قصيدة عن مصطفى كامل نظمها لمناسبة إزاحة الستار عن تمثاله بد
ظل حبيسا في «مدرسة مصطفى كامل» من سنة ١٩١٤. قال:

(١) التأت عليه الأمر: لخطط والتيس.

(٢) الأغلاد: المتول.

ماذا خشوا من فتنة التمثال؟
فاضت أسي وجموعهن غوال
وجلاء من أوقى بينها جال
وتذاد عنهم يوم الاستقلال؟
في بدئها ولكل بدء تال
فيا ادعى صلفا وجدك عال
تلقاك بالإكرام والإجلال
من غُرّ قتيانٍ وصيد رجال
في هذه الأساد والأشبال
وسواك يحسبه رجاء محال
سرف لمطلوب بعيد نوال

أمنوا بموتك صولة الرئبال
حبسوه عن مقل إليه مشوقة
حتى أرادت مصر غير مرادهم
أُتِمْيَ استقلال قومك جاهدا
أنصفت بعض الشيء بل هي توبة
فلقد تتوب وجد غيرك عائر
يا حسن عودك والكنانة حرة
أبرودك الحشد الذي بك يحفى
ماذا بشتت من الحياة جديدة
بعث لموطنك العزيز رجوته
خاطرت فيه بالشباب وبذله



شوقى إليك فهن جد طوال
زالوا ولم يشأ القضاء زوال
فأحق حيي بالأسى أمثال
وجب الرثاء فلنما يُرثى لى
وشخصهم ملء الزمان حيالى
والى يمينى نارة وشمالى
في كل حادثة ولست بآل
ينقضى الحمى من حقهم ويوالى
متجددا بتعاقب الأحوال
يفلو الفراق بها شبيه وصال
لا ينقضى بتحول الأحوال

أى مصطفى! ولت سنون وما اشتقى
عجب يقاتى بعد أكرم رفقة
هم صفوة الدنيا وكانوا صفوها
حزن بعيد الغور فى قلبى فلن
ماذا أقول وهذه أسماؤهم
تعتادنى فى مسمعى أو ناظرى
إنى لأحفظ عهدهم وأصونه
وكان حسى حسهم فرحا بما
كم فى مفارستهم جنى ألفيته
سلوى أتاحتها مآثرهم وقد
وكذاك يجد البقريّة والفندى



لو كان يتصف امرؤ بكمال
غير المكابر فيه والأهوال
عانيت فى القلوات والأصال
من جهد أيام وسهد ليالى

أى مصطفى ما كنت إلّا كاملا
ماذا لقيت من الصبى ونيمه
إنى شهدت شهادة العيتين ما
متطوعا تسخر بما يقوى القوى

إذ قمت بالأمر الجسام ولم يكن
 حال التورع دون إغراء المني
 والقوم في ظمأ ووعدك مطمع
 تسعى ويعترض السبيل قنوطهم
 فتظل تضرب في جوانبه وما
 لك دون ما تنهى مضاء مصمم
 حتى إذا وضع اليقين وصدقت
 فتويت أظهر ما تكون على عدى

فيمعن أهبت بهم مجيب سؤال
 زمنا نما من مسعد وموال
 لكن يروني له رفيف الآل
 في كل جل منك أو ترحال
 تلقى إلى نظر الحبوط بهال
 لا ينتقى وبلاء غير مهال
 دعواك آية ربك المتعال
 مصر بهقبي دائك المغنال



هزت منيتك البلاد ولم تكن
 فالقوم من جزع عليك كأنهم
 كشف الأسى لهم الحجاب فأيقنوا
 وتبينوا أن الخنوع مهانة
 فحس بلائهم لما أبوا
 وتوئبوا بعزيمة مصدوقة
 يردون حوضا والثنايا دونه
 حتى أتيح الفتح يجلو حسنه
 فتع بد اسمك وهو في عنوانه
 إليها شديد الحب للبلد الذي
 أبهج بأوبتك السنية طالما
 للذكر آفاق سحيقات المدى
 فإذا دنت منا فتلك عوالم
 تطوى من الأدهار مالا ينقضى
 أنوار وجهك طالعتنا اليوم من
 قد أثبتتها مصر بين عيونها
 نعم الثواب لنى مآثر في القدى

بأشد منها هزة الزلزال
 آل وقد رزئوا عزيز الآل
 أن الحياة مطالب ومعال
 لا يستطال بها مدى الأجل
 متضافرين دوام تلك الحال
 برئت من الأحقاد والأوجال
 مستسلمين ضروب الاستبسال
 في يومه إحسان يوم خال
 متخضيا بدم الشباب الفال
 لا أنت ساليه ولا هو سال
 في أفقه كالكوكب المتلال
 ولزهرها المتألفات مجال
 وإذا نأت عنا فتلك لآل
 وتجول في الأفكار كل مجال
 برج حلت به لغير زبال
 فالحال متصل بالاستقبال
 فرضت محبته على الأجيال



فتيان مصر وعهدا غير الذي عانته في الأصفاد والأغلال

حيوا مدبل حياتها من يأسها
حيوا زعيم اليقظة الأولى بها
هذى مواكبها وتلك وقودها
حفلت برمز نهوضها ومثاله
لكنها مهج بتنه ولم تكن
وكفاه فخرا أن ذاك المال لم
رسم يلوح وفيه معنى أصله
لان الحديد له فصاغ لعينه
كم في بليغ سكوته من عبرة
هو خالد ويظل مدره قومه

ومذلل الآلام لآمال
وخطيب تورتها في الاستهلال
في ملتقى ندى روعة وجمال
مالا تداني صنعة المثال
إلا ذرائعها فضول المال
يك مكس جاب أو تطول وال
فيروع بين حقيقة وخيال
أنرا على الأيام ليس ييال
أوفى وأكفى من فصيح مقال
في كل نازلة وكل نضال

تحيته للمجاهدين في المؤتمر الوطني ببروكسل سنة ١٩١٠

ونظم في سنة ١٩١٠ قصيدة ناجى فيها الوطنيين الأحرار الذين اغتربوا عن مصر لحضور المؤتمر الوطني الذى عقد برأسه المرحوم محمد فريد بمدينة بروكسل في سبتمبر سنة ١٩١٠. قال:

أتراه فوق مناكب الأدهار
حقب دجت منها السُفوح ولم يزل
يا مغرب الماضى أما من آية
هذا صبايح مقبل من غيبه
تجد الثيرون على نواصى أفقه
سحر الرجاء بدا لكم وإزائه
شفان من حلى أغر تصوغه
شفق تحلف عن بديع نهار^(١)
فوق الندى منها يريق نضار^(٢)
فتعود في سحر من الأسحار؟
فتبينوه يا أولى الأبصار
ضوءًا تألق من وراء ستار
شفق البقية من غلا وفخار^(٣)
تاجا لمصر أنامل المقدار^(٤)

(١) يشير إلى ذكرى الجند القديم وأنها ماثمة على الدهر ويحمر عنها بالشفق، أى النور المنطفئ عن الشمس بعد غروبها.
(٢) الحقب السنون. ودجا أظلم الندى؛ جمع ذروة، أعلى الشيء. والنضار التنبه، أى أن جهود التأخر قد تركت ظلالاً عليها على البلاد. ومع ذلك لا يزال فوق الندى نور الشمس التى غربت.
(٣) أى يتجلى فجر الأمل وأمامه الذكرى الساطعة للمجد القديم.
(٤) الحلل وجهه حل ما يصنع من مصرغ للمدنيات أو المجبرة الكريهة والمقتدر هو القدر، يريد أن يجد للماضى والمجد المأمول للمستقبل يتقابلان كشقى تاج مصر.

تساج ستلبسه الفتاة مخلفا عن أمها في سالف الأعصار
ويكون من آياته وشعاعه آيات مجد رجالها الأخيار

* * *

نجباء مصر الواترين ليمزها وجلالها من ذلة وصفار^(١)
خوضوا غمار الضيم دون رجائكم لا فوز إلا بعد خوض غمار
ما شاء سعد الدار أن تشقوا له فاشقوا له ما شاء سعد الدار
إن شق ترحال فهذه هجرة لا شقة^(٢) في مثلها فساد
سيروا تنموا في الحياة فطالما كان التقاعس مؤذنا بيوار
ما اللج واذع أو تشاكس حارثا إلا ذلول الراكب الكرار^(٣)
ما البر أنجد أو أغار بجائب إلا سليب خطي ونهب قطار^(٤)

* * *

ركب النجاة استطلعوا لبلادكم في الغرب كل مطالع الأنوار
هزوا منابرهم بهالي صوتكم حتى يرن صداه في الأقطار
أنتم جنود السلم رسل جهاده أنتم أشعة مصر في الأمصار
أنتم أشعة حزمها شفاقة عن حزنها والنور بث النار
ترجون أن تحيوا وتحيا مصركم حق الحياة وما بها من عار
لا تسلمون تقربا في مبتى أسمى المنات وأشرف الأوطار

* * *

الحكم شورى لا تفرد صالح في غير حكم الواحد القهار
لا تسترق عشيرة وديارها لعشيرة غلاية وديار

(١) غطاب وركب للزفر وأعضله. ويصفهم بأنهم ذاهبون ليتأروا لمصر بما أمانيا من ذلة وضم.

(٢) الشقة: السفر البعيد.

(٣) لجج البحر أمواجه. لى ليس البحر إن سهل أو صعب إلا كالركوبة القلول للفراس الذى يروضها.

(٤) الجلبب للمسافر.

العدل إن يُقصد فليس بكانن في نُكر معرفة وغصب جوار
الرأى تكند شمسُه في موطن متناقض الإعلان والإسرار
الخير تُفقد سبله في مجمع متعارض الإقبال والإدبار



ماذا عليكم أن تكون شعاركم هذى المطالبُ وهى غير شعار
لستم بسفاكى دم، لستم إلى غير الحقيقة طامعى الأنتظار
لستم غلاة، والأقل مرامكم بين الشعوب السبق الأحرار
لستم غلاة، خال ذلك منكم من لم يهلككم من ذوى الأخطار^(١)
ليس الذى تبغونه من مطلب إلا أحق مطالب الأحرار
من لم يخل في مصر عبداً شاكياً في فترة التفكير والإضرار
أجزع بسارٍ آمنٍ في معهد وثبت عليه فجأة التزار^(٢)



إنى ليعجبني كبير مرامكم وهو الحقيق بفاية الإكبار
وأقول للمزرى بسن صفاركم ليس العظيم نفوسهم بصغار
أماجرى أرض الكنانة إنكم وجميع من فيها من الأنصار^(٣)
إمضوا دعاءً للهدى واستصفوا بالحق للبلد العزيز الجار
كونوا الشهود له على أعدائه برجوع شمس نهاره المتوارى

الثبات في الكفاح

وقال لما زاد اضطهاد الحكومة للأحرار وسلطت قانون المطبوعات على الصحف:

شردوا أخيارها بحرًا وبرًا واقتلوا أحرارها حرًا وفحرًا

(١) أى لستم غلاة كما توهم ذلك من ظن أنكم لستم من ذوى الكفاليات والأقدار.

(٢) أجزع: أى ما أشد جزع. والقبحه مصدر فجأة. والتزار زثير الأسد. يريد أن الإنجليز هوجنوا بالحركة الوطنية في ذلك

المهد كما يفاجأ السارى بزثير الأسد.

(٣) يعنى أعضاء المؤتمر المهاجرين. وسكان مصر الأنصار. تشبها لهم بالمهاجرين والأنصار في صدر الإسلام.

إِنَّمَا الصَّالِحُ يَتَّقِي صَالِحًا أَخْرَجَ النَّهْرُ وَيَبْقَى الشَّرُّ شَرًّا
كُسِرُوا الْأَقْلَامَ هَلْ تَكْسِرُهَا يَمْنَعُ الْأَيْدِي أَنْ تَتَقَشَّ صَخْرًا
قَطَعُوا الْأَيْدِي هَلْ تَقْطِئُهَا يَمْنَعُ الْأَقْدَامُ أَنْ تَرْكَبَ بِحَرًا
حَطَمُوا الْأَقْدَامَ هَلْ تَحْطِئُهَا يَمْنَعُ الْأَعْيُنُ أَنْ تَنْظُرَ شَرًّا
أَطْفَأُوا الْأَعْيُنَ هَلْ إِطْفَأُوهَا يَمْنَعُ الْأَنْفَاسُ أَنْ تَصْعَدَ زَفْرًا؟
أَخْدُوا الْأَنْفَاسَ، هَذَا جُهْدُكُمْ وَبِهِ مَنَاجَاتُنَا مِنْكُمْ... فَشُكْرًا!

وقال في هذا المعنى حين توعدته الحكومة بالنفى من مصر على أثره نشره الأبيات السابقة:

أَنَا لَا أَخَافُ وَلَا أَرْجِي قَرَسَى مُؤَهَّبَةً وَسَرَجِي
فَإِذَا نَبَأَ بِي مَتْنٌ بَرٌّ فَاَلْمِطِيطَةُ بِطُنٍّ لُجْجُ
لَا قَوْلَ غَيْرِ الْحَقِّ لِي قَوْلٌ وَهَذَا التَّهَجُّجُ تَهْجِي
أَلْوَعْدُ وَالْإِبْعَادُ مَا كَانَا لَدَيْ طَرِيقِ فُلُجٍ^(١)

يحيى رأس السنة الهجرية

وتنظم سنة ١٩١١ قصيدة عصاء حياً بها العام الهجرى (١٣٢٩)، خاطب فيها شباب مصر ودعاهم إلى الاعتبار بما في هجرة الرسول الكريم من المعاني الجليلة، والأغراض السامية. وأهاب بهم أن يضاعفوا جهودهم لبث الحياة في مصر والشرق. قال:

هَلْ لِّلْأَهْلَالِ فَحْيُوهَا طَالَعَ الْمَيْدُ حَيُّوا الْبَشِيرَ بِتَحْقِيقِ الْمَوَاعِيدِ
يَا أَيُّهَا الرَّمْزُ تَسْتَجِلي الْعُقُولَ بِهِ لِحِكْمَةِ اللَّهِ مَعْنَى غَيْرِ مَحْدُودِ
كَأَنَّ حُسْنَكَ هَذَا وَهُوَ رَائِعُنَا حَسَنٌ لِيَكْرَهَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَوْلُودِ
لَهُ فِي الْخَلْقِ آيَاتٌ وَأَعْجَبُهَا تَجْدِيدُ رَوْعَتِهَا فِي كُلِّ تَجْدِيدِ



فَتَيَانُ مِصْرَ وَمَا أَدْعُو بِدَعْوَتِكُمْ سَوَى الْمُجِيبِينَ أَحْرَارًا مَنَاجِيدِ^(٢)
سَوَى الْأَهْلَةِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ أَدَبٍ مُؤْمِلِينَ لِفَضْلِ غَيْرِ مَجْهُودِ

(١) الفلج: الظفر.

(٢) المناجيد: المشجنان السابقون إلى التجدد.

المستعير شعار المقتدين به
ما زال من مبدل الدنيا يُبْتَنَّا
فإن تسيروا إلى الغايات سيرته
إلى الكمال فقد فُزْتُمْ بِمَشُود

يا عِدُّ جئت على وعدٍ تُعيدُ لنا
بل كُتَّ «عِيدين» في التقريب بينها
رُجِدَتْ يوماً يَسُرُّ المؤمنون به
ولم تكن بادئاً يوماً لتعيد

رسالة الله لا تَهَيَّ بلا نصيب
رسالة الله لو حَلَّتْ على جبلٍ
ولو جعلها بحرٌ لَشَبَّ لَطْفِي
فليس يدعاً إذا ناء الصيبي بها
ينوي الترحُّل عن أهلٍ وعن وطنٍ
يكاد يمكث لولاً أن تداركه

فإذا غلا القوم في إيذائه غَطْلًا
دعا الموالين إزماعاً لمجرتيه
مضى هو الله، والصديق يصحبه
مؤكياً وجهه شَطْرَ (المدينة) في
حتى إذا اتخذ الفار الأمين حِمِيَّ
حماؤً وشئى بباب الفار منسلل
يا للعقيدة والصديق في سَهَرٍ

وشرِّدوا تابعيه كلَّ تشريد
فلم يجبه سوى الرهط الصناديد
يُغَامِرُ الحِزْنَ في تِهَاءِ صَيْغُود^(١)
لِيلٍ أَعْرُ على الأدهار مشهود
ونام بين صفاء نوم مجهود
من الآلى قُدُودهِ شرٌّ تهديد^(٢)
تؤذيه أُنْهى ويكي غير منجود

(١) المستر: المستر: أى القمر الذى لم يَدَّ في مظهره إلا أظلم.

(٢) التيهاء: أرض يتيه فيها السائلون وصيغود صديقة الحمر.

(٣) إشارة إلى ما نسج المتكبرين بهاه قضايل المستعيرين للرسول.

إِنَّ الْعَقِيدَةَ إِنْ صَحَّتْ وَزَلَزَلَتْ
أَمَّا الصَّحَابُ الَّذِينَ اسْتَخَرُوا تَلَوَّا
مَا جُنْدٌ قَيَّصَرُ أَوْ كَسَرَى إِذَا افْتَخَرُوا
كَأَنَّهُمْ فِي الدُّجَى، وَالنَّجْمُ شَاهِدُهُمْ
كَأَنَّهُمْ وَضِيَاءُ الصُّبْحِ كَأَشْفَهُمْ
فِي حَيْطَةِ اللَّهِ مَا شَعَتْ أَسْتَهْمُ



لَمَّا رُبِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ
حَقٌّ يَمُودُ بِتَمَكُّينَ وَتَأْيِيدِ
قُنَرِ الْحَيَاةِ، وَمَنْ قَادَى بِهَا فُؤَادِي
لِلْإِحْتِفَاطِ بِعَمَرٍ رَهْنٍ تَحْدِيدِ
وَلِيَبَّغِ فِي الْأَرْضِ شَقًّا كُلِّ رَعِيدِ
عَدَا الْقَنَاءَ بِذِكْرِ غَيْرِ مَلْهُودِ

عَانِي «مُحَمَّد» مَا عَانِي بِهَجْرَتِهِ
وَكَمْ غَزَاةٍ وَكَمْ حَرْبٍ تَجَشَّمَهَا
كَذَا الْحَيَاةَ جِهَادًا وَالْجِهَادَ عَلَى
أَذَى الْكَفَّاحِ كِفَاحُ الْمَرْءِ عَنْ سَفِهِ
لِيَقْنَمَ الْعَيْشَ طَلَقًا كُلِّ مَقْتَحِمِ
وَمَنْ عَدَا الْأَجَلَ الْمَحْتَوَمَ مَطْلَبُهُ



لَكِنَّ صَوْقَ فَيْكَمْ صَوْتُ تَرْدِيدِ
مِنْ صَالِحَاتٍ أَعْدَتْهَا لِتَخْلِيدِ
طُيُولٍ مَا خَلَقَتْ^(٢) فِيهَا بِتَسْوِيدِ
فِي كُلِّ مَسْرَحٍ بِإِدِّ كُلِّ تَوَطِيدِ
إِلَّا كَعْبِدَ لَهُمْ فِي شَكْلِ مَعْبُودِ
بَعْضُ الْمَعَادِنِ أَوْ بَعْضُ الْجَلَامِيدِ^(٣)
تَقَالِ بِطَشْرِ لِدَانٍ كَالْأَمَالِيدِ^(٤)
إِلَّا مَنَازِلَ تَشْتَبِهَتْ وَتَبْدِيدِ
إِلَّا كَمَا صِيحَّ فِي عُفْرِ عِبَادِيدِ

لَقَدْ عَلِمْتُمْ، وَمَا مِثْلُ يُتَبَكَّمِ
مَا أَتَمَرَتْ هَجْرَةُ الْهَادِي لِأَمْتِهِ
وَسَوْدَتْهَا عَلَى الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
بَدَا وَلِلشُّرْكِ أَشْيَاعُ تَوَطَّدِهِ
وَالْبَاهِلِيُّونَ لَا يَرْضَوْنَ خَالِقَهُمْ
مُؤْمِنُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ صِنَاعَتِهِمْ
مُسْتَكْبِرُونَ أَبَاةَ الضَّمِيمِ غُرُجِي
لَا يَنْزِلُ الرَّأْيُ مِنْهُمْ فِي تَفَرُّقِهِمْ
وَلَا يَضُمُّ دُعَاءَ مَنْ أَوَابِدِهِمْ

(١) المطاريد. فرسان الطراد في الحرب

(٢) خلقت؛ استحدثت.

(٣) الجلاميد: الصغور.

(٤) لدان، جمع لدن، وهو اللبن.

ولا يطيعون حكمًا غير ما عقدوا لذي لواءٍ على الأهلواء مقفود

بأئى حلمٍ مبيد الجهل عن قبة
أعداد ذاك الفقى الأئى أسفه
لئلك تالية الفرقان في عجب
صعبان راضها: توحيد مشرهم
وزاد في الأرض تمهيدًا لدعوته
ويئنه الحكم بالشورى يتم به
هذا هو الحق والإجماع أيده
فمن يُقننه أولى بتقنيده

أئى مسلمي (مصر) إن الجيد دينكم
طال التقاعس والأعولم عاجلة
ههنا إلى عمل يُجيدى البلاد فها
سعيًا وحزمًا، فودّ العدل وذكّم
تعلّموا كل علم وانثفوا وغنّوا
فكروا المقول من التصفيد^(١) تتطلقوا

(مصر) الفؤاد فان تُذرك سلامتها
الشرق نصف من الدنيا بلا عمل
والغرب يرقى وما بالشرق من هم
تشكو الحضارة من جسر أشل به
فالشرق ليس وقد صحت بمقفود^(٢)
سوى المتاع بما يُضفى وما يودى
سوى التفاتٍ إلى الماضى وتعيد
شطر يصد وشطر غير مصلود

أبناء (مصر) عليكم واجب جليل
ليث مجدٍ قديم المهدي مقفود

(٢) للفؤاد: المصاب فؤاده.

(١) التصفيد: التضييد.

وَلْتَرْزُقْ (مصر) بكم مرفوعة الميبد
حقيقة الفعل والذكرى بتمجيد
من حاسد كائد كئيدا لحسود
حُسران من كل تقييد وتقييد
إلا تداركه الثاني بتسديد
لما يعم ينفع كل موجود
من رَوْضكم كل نام ناضر الصود
دَع زعم كل عدو الحق مريد^(١)

فَلْيَرْجِع الشرق مرفوع المقام بكم
ما أجل الدهر إذ يأتى وأربعنا
والشرق والغرب معوانان قد خلاصا
صنوان بران في علم وفي عمل
لا نعمل يخطئ فيه الخير بعضها
ولا خصومة إلا في اشتباهاها
هذى الثمار التي يرجو الأنام لها
لمصر والشرق يمل للخافقين معا



فقد تبذل منحوس بمسعود
ينفى بحسنى ولا يوهى بتهديد
بُشرى التمام لوقت غير ممدود
بخاتم الثور لآلات الدجى السود

جُوزوا على بركات الله عائمكم
رجاؤكم أبدا ملء النفوس، فما
بدا القلاخ، وفي هذا الملل لكم
غدا نرى الهدى طرس السباء نحا

يحيى بعثة الأطباء إلى حرب طرابلس

وقال سنة ١٩١١ يحيى بعثة الأطباء المصريين الذين ارتحلوا إلى ليبيا لمعاونة المجاهدين العرب
الذين قاوموا العدوان الإيطالي:

أجر الجهاد وأجر البر بالناس
صدع الرصاص وجرح الصارم القاسى
غول الردى بين أنياب وأضرار
ترى العيون غياضا فوق أفراس
نذى الجفاف وتقبو شلة الباس
وإن هم استوحشوا إخوان إنسان
ودافعوا الموت عنهم دفع أكياس^(٢)

سيروا على بركات الله واغتمموا
ليشف مبضعكم والرفق بعمله
لحقى على شوس^(٣) أبطال تلوكمهم
كانوا وقدر كمو للحرب أبهج ما
واليوم قد عثروا تندى نضارتهم
كونوا لهم إن شكوا إخوان تأسية
ردوا على الوطن الباكي أعزته

(٢) أكياس جمع كيس وهو القطن الذى يمسن التهم.

(١) مريد: الميبد.

(٢) شوس جمع شوس وهو الشجاع الجرى.

مَنْبَأُ وَالْأَمَهُمْ فِي كُلِّ إِحْسَاسٍ
وَالْحَلِّقُ يَذْكُرُهَا تَرْدِيدُ أَنْفَاسٍ
بِهَا مَرَاتِبُ فَوْقِ الضَّمِيمِ وَالْجَاسِ
مَا قَدْ تَلَقَّوْنَ مِنْ مَنْ ضَرُّ مِنْ يَاسٍ
وَفِي اعْتِكَارِ الدِّيَابِجِي خَيْرُ تَبَاسٍ
لَبَسْنَا بِجِرَاحِ الْقَلْبِ وَالرَّاسِ
صَرَغِي مَطَامِعُ قُوَادٍ وَسُوَاسِ
لَصُورُ الْمَلِكِ الْإِنْسِي فِي آسٍ^(١)

فَلِنْ أَسْقَامَهُمْ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
لِلَّهِ مَسَاعِدُكُمْ وَالْحَقُّ يَشْكُرُهَا
مَبْرَةٌ ظَهَرَتْ أَرْوَاحُكُمْ وَسَمَتْ
خَوْضُوا الْمَصَاعِبِ لَا يَلِيمُ بِأَنْفُسِكُمْ
هَذَا الْهَلَالُ لَكُمْ رَأَى النَّهَارُ هُنَى
وَأَنْ فِي ظِلِّهِ السَّادِي بِرَحْمَتِهِ
أَيُّ عَصْبَةِ الْخَيْرِ دَاوُوا أَبْرِيَاءَ هَوُوا
لَوْ صَوَّرَ اللَّهُ فِي جِسْمِ امْرِئٍ مَلَكًا

عتب وطني

وقال سنة ١٩٢٠ يعتب على أحرار مصر في موقف تردد:

إِنْ تَكُونُوا حُمَاتِهَا وَبَنِيهَا	مَا لَتَلِكِ الذَّنَابِ تَعَسَّ فِيهَا؟ ^(٢)
أَتَتَرَضُّونَ أَنْ تَهَوْنَ عَتِيدًا	بَعْدَ ذَلِكَ الْإِبَاءِ فِي مَاضِيهَا؟
تِلْكَ أَوْطَانُكُمْ تُبَاعُ عَلَيْكُمْ	صَفَقَةً بِخُسَّةٍ فَمَنْ مَشْتَرِعَا؟

رثاؤه لمحمد فريد

ونظم قصيدة رائعة في رثاء الزعيم الشهيد محمد فريد سنة ١٩١٩؛ قال:

أَفْرِيدُ لَا تَبْعُدُ عَلَى الْأَنْهَارِ	أَنْتَ الشَّهِيدُ الْخَالِدُ التَّذْكَارِ
بِالْأَهْلِ بِالنِّدَمِ بِالرَّفَاةِ بِالنِّقَى	فَلَيْتَ مِصْرَ وَقُلَيْتَ مِنْ دَارِ
حَرَرْتَ نَفْسَكَ دَائِبَ الْمَسَى إِلَى	تَحْرِيرِهَا لَتَعَزَّ بَعْدَ صَغَارِ
مُسْتَرَسِلًا وَالدَّهْرُ فِي إِقْبَالِهِ	مُسْتَسْلًا وَالدَّهْرُ فِي الْإِدْبَارِ
ثَبَّتَ إِذَا مَا الرَّاكِسُونَ تَقَلَّقُوا	مُتَوَاقٍ الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ
فَبَرَرْتَ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدْتَهُ	وَوَفَيْتَ فِي الْإِسَارِ وَالْإِعْصَارِ
مَا كَانَ ذَاكَ الْعَمْرُ إِلَّا قُرْبَةً	مَوْصُولَةَ الْأَصَالِ بِالْأَسْحَارِ
وَمَنْ لَمْ يَبْقَ مَا لَيْسَ يَبْقَى حَقُّهُ	حَقُّهُ يَكُونُ الْجُودُ بِالْأَعْمَارِ

(٢) تعسَّ تطرق ليلًا

(١) آس أي ملأ للجرح

فريد ومصطفى :

إني لأذكر مصطفى ورقيقه
متوخياً إعتاق مصر كلاهما
وكلاهما يسعى القداة مذلاً
وكان مصر حيال كل مخاطر
في قلبها حب الحياة طليقة
وضميرها أنا فأنا يُحلى
عرفا حقيقتها وبنا بثها
لم يلبثا متآزرين بنية
حتى إذا ما أيقظا إيساتها
أبنت أساها يوم فارق مصطفى

في مستهلها وفي الإبدار
وكلاهما لأخيه غير مبار
سبل النجاح لمقتضى الآثار
إذ ذاك في شغل عن الأخطار
لكنها تخشى أذى الإظهار
فُرى كما اقتدح الزناد الوارى
ثقة وما كانا من الأيسار
مصدوقة في خفية وجهار
فذكاء ذكاء التور قبل النار
هذا الجوار ورام خير جوار

فريد رئيساً للحزب الوطنى :

ذهب الرئيس فنيط عبه مقامه
أفريد هذا الشاوق قد أدركته
فتقاضى أضعاف الذى قدمته
إن تلتبس جاهها أصب ما تشتهى
والشرق يقبل قد عملت من الأولى
الشعب شبه البحر لا تأمن له
ففسداً وبها حذرا لملك من غد
يسلو الأولى عبدوك أس ورجا
فتبيت صفر يد وكنت مليتها
لكن أبيت العرض إلا سالما
لم تعتقد إلا الولاء وقد أبى
وسموت عن أن يستملك خادع
فظللت ميدوك القويم كعهده

بالأنزله الأوفى من الأنصار
وسبقت من جوارك في المضمار
واستبق صوب العارض المدوار
أورفعه فاظفر بالاستيزار
يتحملون غرائب الأعذار
ما أمن مقتعد متون بحار
قد تستفيق ولات حين حذار
كوفئت من عرف بالاستتكار
وتلوق كل مرارة الإقتار
وإن ابتليت بشقوة وضرار
لك أن تلمى داعى الإخفار
بالمصب المزجى أو الدينار
عند الوفاء وفوق الاستئثار

ورسوخ إيمان بالاستمرار
يرنو إليك بمقلة الغدار
والخبي جنة على الأطهار
عدت فضائله من الأوزار

فريد في السجن:

إن السجنون معاهد الأحرار
أن اعتصالك مطلق الأفكار
نورًا تضاء به سبيل السارى
فيلوح فوق ذراه ضوء منار
ونرى هدى في وجهك المتوارى
غُثِيَتْ عن الأسماع والأبصار
علم بأن النسم بعد سرار
لزموا التفرد عن رضا وخيار
شظفى المعاش لا بسى الأطمار
لقيام دعوتهم على الأخطار
بعثوا الهدى كالشمس في الإزهار
كلم المهيمن في اصططاق النار
يسمو به راقٍ من الأنوار
في الغار عن صرعاته في الغار
للنفس حررها بالاستتسار
من أن تمحصهم يد المقدار

تزداد صدق عزيمته بمراسه
ما إن تبالى ساهراً مترصدًا
يجنى عليك لغير ذنب باغيا
من كان جار السوء يوما جاره

قل للرئيس إذا مررت بسجنه
واقبته طوعا ورأيتك ثابت
إن يجيبوك فلن فكرك رافع
كم تحجب الظلمات طودًا شائعًا
إننا لنسمع من سكوتك حكمة
وإذا النفوس تجردت لمرامها
حاشاك أن تأسى وهل تأسى على
الأنبياء انتباههم زمن به
لجأوا إلى الخلوات واحتسوا بها
مستجمعين مروضين قلوبهم
ومن الغيايات التي أمسوا بها
سل موحشًا في طور سينا سامعًا
سل طيف جلجلة يكاد من الطوى
سل خاليا بحرًا يلهى ربه
بالعزلة اكتملوا ورب مروض
لا شيء أبلغ بالدعاة إلى المني

فريد في طريق المنفى:

ما فوق غلّ الجبيل والإحصار
أعلى وأغلّ حقيقة للشارى
شرقًا إلى سجن بشير جدار
إلا ليدركه القضاء الجارى

لم يكفه ما كان حتى جاءه
المنفى بعد السجن: تلك عقوبة
يسموا بها السجن القريب جداره
لا يترك الجارى عليه حكمه

إحدى الدائن سيرت يبخار
دامى الفؤاد وشيك الاستعمار
والزاحفات أمنيّة الأحجار
ما فيه من غصص ومن أكدار
لشفاء مسغبة به وأوار
أعطافها بالأزرق الزخار
أنس الحمى وجماله السحار
من طيب تلك الجنة المطار
لغة الأنيس إلى لقي الأطيّار
سيهم في الدنيا بغير قرار
في قومه ويزود كل مزار
بسكنة للكوكب السيار؟
أنضته في الرحلات والأسفار
إلا شكاة المحرب الكرار
في الصالحين الفوز للصبار
عزا ويسترها بستر وقار
أن يمنحوا وجلاً إلى الإقصار

أى السفائن تستقل كأنها
ينأى بها عن أهله ورفاقه
ينبو ذرا البلد الأمين بثله
متلفاً حين الوداع وفي الحشى
متشعباً متروياً مما يرى
يرنو إلى صُفر الشواطئ منطقت
وينوب قبل البين من شوق إلى
يستاف ما تأقى الصبا بفضوله
وبسمعه لحن المواطن جامعا
لحقى عليه مشرداً قبل الردى
من أجل مصر يؤم كل ميم
لا يوم يسكن فيه من وثب ومن
في غربة موصولة آلامها
تتناه الصدمات لا يشكو لها
ثقة بأن الفوز ليس لجازع
وتعضه الفاقات لا يلوح بها
حرصاً على المتطولين بفضله

فريد في مرضه:

تردى الأسود ضرورة الأعداء
بين الجوانح أنذرت بيوار
واليوم عدن عليه غير قصار
خلع النضارة واكتسى بهار؟
كالرسم في جرف به منهار؟
عثرت به العلات كل عثار؟
تتناه هددات الاستقرار؟
من لم ينق في العمر طقم عقار

ما كان هذا الحد حد عذابه
صال الشقاء على فريد صولة
قصرت لياليه على مجهوده
ما بال ذاك الوجه بعد تورّد
ما بال ذاك الوجه بات من الضى
ما بال ذاك العزم بعد مضائه
ما بال ذاك القلب بعد خفوقه
أسمى يعالج سكرة في نزعه

ولو استطاع لما أضاع دقيقة
وقى بما أعطاه حق بلاده
أمكانه هذا أنك حليه
أكذاك يختم في الشقاء حياته
ماذا تفى من حقه بعد الذى
إن الذى يملوه شارى قومه

عظة وفاته:

مات الرئيس فراع مصر وأهلها
مات العصامى العظامى الذى
ما كان بالنقى ولا الجبار

تحية المحتام:

أفريد هذا ما يهته الفدى
نم إن مصرا عنك راضية وفز
أوشكت أجزع فانتهت بانى

تحية الشهداء

قال في حفلة أقيمت سنة ١٩٢٤ لتحية أرواح شهداء الحركة الوطنية:

إلى أرواح الشهداء

تحية أيا القتل وتسليبا
لا يعبد المرء رباً لا ولا وطناً
قلتم وصلنى ما قلتم تحملكم
ما الموت إن كان إنقاذ البلاد به
يُحطّم العظم منكم دون بُغيثكم
بِراً (بصر) وخوقاً أن يُسلّمها
ليس الشهادة إلا من يموت على

بلنتم الشأ وتخليداً وتعظيماً
بثّل إغلاسه القربان تقدماً
أذى يَرُدُّ فِرْنَدَ الصبر مثلوماً^(١)
من غاصب وانتصاف الشعب مظلوما
فتصبرون ويأتى العزم تحطياً
إلى العنى وإهنا الإيمان تسليبا
حق ومن لا يبالي فيه ما سيبا

إمضوا رفاقاً كراماً، حسبكم عوضاً
للمشتري بصيائه عِزُّ أُمته
وللتي استبدلت بالقير مرتعها
لا تحسبوا مصر تتساكم فكللكمو
وفي المرباع من أرواحكم نَسَمٌ
مجدٌ عزيز على الخطأب إن رما
ذكرٌ يُدِيمُ اسمه بالتبر مرقوما
تُشَطُّ من الفخر فوق العمر تقويماً
يَبْقَى على الدهر مَرُومًا ومرحوما
تَظَلُّ تَأْتِي بها لأرواح تنسبها

نحية للذين أطلقوا من الاعتقال

وقال في هذه القصيدة مخاطباً من أفرج عنهم من الاعتقال :

يا خارجين كراماً من محابسهم
كم كُيِّلَ الحقُّ بالأصفاً من قديم
يا سوء دهرٍ قَضَتْه قبل نهضتها
تَبَى قَوَى اللَّيْثِ من عَيْثِ الذَّنَابِ بها
فاليوم عاد إلى رأيٍ يُشْرِفُها
دَلَّتْ على قُوَّةٍ فيها صلابتكم
هل يُجْزَى الشكر من ضيمٍ تَحْمَلُهُ
قد أئتموكم وكم من مُثَلَّةٍ نَزَلَتْ
وبعض ما عاقبوكم فيه جَعَلُكمو
لاحاكاً دون ما أوحَتْ ضمائركم
ومبهي كل قلبٍ كان مغموما
ثم انطوين ويا البطل مهزوما
(بضر) يحيم فيها الذلُّ نحيبها
ولتوى الأمرُ تحليلاً وتحريراً
من ظنٍ إقْلَبَها للخفض إقليها
تفود عنها الأشداء المقاحبا
بالأس من كان منكوفي رأيه ضيماً
بالأبرياء وبالأبرار تأنيها
جُنِقَ الهوى للجمي ديناً وتعليها
تُرَاقبون ولا ترعون محكوما



لقد ظفرت بما أدنى القوي لكم
هل استقام زمانٌ لا يُقْومُه
أونال حُرِيَّةُ قومٍ بها جئروا
من المرام فليس الفوزُ مزعوما
بنوه بالصبر والإقدام تقويها؟
وهم يبالون تفتيلاً وتكليباً^(١)



يا سادة كالنجوم الغر منزلةً
وسيداتٍ كعقد الدر منظوما

حمداً لإقبالكم هذا وحفاً لثقتكم
من الأولى ما وئنا عن واجب فينسوا
أولئككم إن بدا من فضلهم أنثر
فلتحى «بصر» وأبرار نُجِّلهمو

تُتسبون الصناديد المقادير
لعز «بصر» طرافاً^(١) كان مهدوما
فكم لهم من جميل ظل مكتوما
ونحتقى بهم حبا وتكريرا

رثاؤه لأمين الرافعي

ومن قصيدة له في رثاء المرحوم أمين الرافعي الذي انتقل إلى جوارحه في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧. وقد ألقت هذه القصيدة في حفلة تأبينه:

باعوا المخلد بالمخاطم الفاني
تلك الحياة أمانة أدبتها
بالصبر والإيمان أخلص يئونها
أعرضت عن لذاتها منذ الصبي
متوخياً من دونها أمنيّة
تهوى البلاد ولا تهوى لك غيرها
ظلت تنازعك الصرُوف بما بها
مستنزفاً دمك الزكّي ولم يُرق
في صولة للدهر تقب صولة
حتى قضيت شهيداً رأيك وانقضى
ويح الأبيّ تسوّه أيامه
من يقتل في الرجال وما به
ماذا دعى «الفسطاط» حين تجاوزت
وجلا عن القدر المخبأ ليها

وشرّيت بالأغلى من الأمان
بتمامها لله والأوطان
وختمها بالصبر والإيمان
والروض تُقري والقطوف دواني
لم يسو وحديثا شئت أمان
أو تُفتدي من ذلك وهوان
من مُنيّة، وظلت تثبت جنان
بشباة قرضاب ولا بسنان
منشابة في الآن بمد الآن
ما كنت تلقى دونه وتعاني
وتسر كل مماثلي^(٢) مدعان
إلا الظلاء بكاذب الألوان
أصداؤها لنواك بالإنسان^(٣)
وبدا الصباح مقرح الأجفان



(١) الطراف: البيت.
(٢) مماثل: أي غير مخلص.
(٣) الإنسان: رفع الصوت.

خطبُ أَرَانَا في مجالَاتِ القِدى
فالشَرْقُ في تَسْرِقٍ من النِّمِص الذي
والصديق كيف مِصَارُغُ الشَّجَعَانِ
أَجْرَى العِيونَ وفَاضَ بِالقُدْرَانِ

أَيُّ «مِصْطَفَى» يَكِيكَ قَوْمَكَ كَلِمَا
يَوْمَ الوَفَاءِ دَعَا فَكُنْتَ لِسَوَاءِ
هَذَا شَهِيدٌ مِنْ وَلَاتِكَ خَامِسُ
لِكَاثَتِهِمُ، وَالْمَسُوْتُ أَسْوَأُ مَقْنَمِ،
بِذَلُّوا النِّفْسَ قَدْ ذُلَّتْ وَلَرَّخَصُوا
فَإِذَا ذُكِرَتْ وَأَنْتَ عَنَوَانُ القِدى
عَادَتِهِمْ ذَكَرَى فَقَى الْفَتِيَانِ
وَطَلِيْعَةً لَطَالِيْعَةُ الْفَرَسَانِ
يَهْوَى بِحَيْثُ هَوَيْتَ فِي الْمِيدَانِ
يَتِرَاكُضُونَ إِلَيْهِ خَيْلَ رَهَانِ
مَا عَزَّ مِنْ جَاءٍ وَمِنْ قُنْيَانِ
فَأَسْمِ الرِّفَاقِ تَتِمَّةُ الْعَنَوَانِ

وظلَّ خليل مطران يفرِدُ بِشِعْرِهِ أَلْحَانِ الحَرِيَّةِ، وَلَا يَنْقُطِعُ عَنِ التَّفْرِيدِ حَتَّى فَاضَتْ رُوحُهُ
الْكَرِيْمَةُ مَسَاءَ ٣٠ يُونِيَّةِ سَنَةِ ١٩٤٩.

أحمد محرم

١٨٧١ - ١٩٤٥



شاعر ملهم، من شعراء الوطنية والأخلاق، كان أديباً
الجميل يضعونه في صف سوقى وحافظ ومطران، وكان شيخ
التشعر إسماعيل صبرى يتغنى بسعر هؤلاء الأربعة
وطبيب له التحدث عنهم، وامتاز محرم إلى جانب مكانته
التحرية بحرارة العاطفة، وتنوقه للفن والجمال، وقوة
إيمانه، وتأملاته العميقة الفلسفية، واستمساكه طول حياته
بمبادئه الوطنية، فكان شعره كله وقفاً على المبادئ، لم
ينحرف عنها يوماً في قصيدة أو في أى بيت من الشعر، ظل
مقياً عليها وفيها لها في السراء والضراء، فكان حقاً مثلاً
أعلى في الشعر والوطنية، وكان مصطفى كامل يعجب به

وبشعره، ويشيد به على صفحات (الواواء)، ويسميه (ناطقة البحيرة)، وبقي أحمد محرم على صلته
به ووفائه له ولذكراه، كما ظل وفيّاً لمبادئه الوطنية إلى أن توفاه الله في ١٣ يونيه سنة ١٩٤٥.
كان شاعراً بفطرته وسليقته، قال الشعر وهو في سن مبكرة. ومعلّته التي يقول في مطلعها:

منازل سلمى لا عدتلك الغنائم وإن درست بالجزع منك المعالم
قد نظمها وهو في السادسة عشرة من عمره.

وطنيته في شعره

تتجلى روحه الوطنية التي ألهمته الشعر أكثر ما تتجلى حين أصدر الجزء الأول من ديوانه
سنة ١٩٠٨، فقد أهداه إلى (النيل)، وكتب كلمة الإهداء في عنوان الكتاب (هدية النيل)،
وأعقبها بهذا البيت الذي يترجم عن وطنيته الأصيلة عظاماً النيل قال:

وَهَبْتُكَ مُلْكَ القَرْيَضِ العَتِيدِ وذلك أفضل ما يوهبُ

وقال في مقدمة ديوانه يشرح المعنى الذي استوحاه في إهداء ديوانه إلى النيل:

«لقد جرى أكثر الكتاب والشعراء على أن يهدوا مؤلفاتهم إلى من شاؤوا من ذوى الثروة

والجاء تعرضاً لموازنتهم والانتفاع بهم وسط هذا الكساد الآخذ بأكظام الأدب في بلادنا، ولكنني انصرفت بشعري عن تلك المواقف، وبرتت إلى نفسي أن آخذ بهذه الأسباب، على ما أعلم من وعورة مسلكي، وضيق مضطربي، وما كنت في ذلك إلا جاريًا على سنتي في سياسة نفسي، وتصريف ما أتى وأدع من أمور الحياة، فما استظهرت بغير أخ حفي، أو صديق صفي، ولا أثرت أن أهدى ديواني إلى غير (النيل)، ذلك الأب الذي وهبني نعمة الحياة، وأغاض علي هذه المنح والصلات.

فيا نيل أنت الهوى والحياة	وأنت الأمير وأنت الأب
ويا نيل أنت الصديق الوفي	وأنت الأخ الأصديق الأطيب
وأنت القريض الذي أقتضى	فهيضي به الشرق والغرب
فلن أهب الخصب هذه العقول	فما سنت لها تحمص
وإن أنا أطربت هذه النفوس	فصوتك لا صوت المطرب
تسيل فتدفق الرائعات	وتجري فتستبق الجوب

إلى أن قال:

لئن فاتني الذهب المستفاض	فما فاتني الأدب المذهب
وهبتك ملك القريض العتيد	وذلك أفضل ما يوهب

وقد ظهر الجزء الثاني من ديوانه سنة ١٩٢٠.

دعوة الوطنية

قال يدعو مواطنيه إلى الإخلاص لبلادهم والعمل على استعادة مجدها:

دعا فائز الساكنين دعاؤه	ونادي فراع الأمنين ندائه
أخو وصَب ما أن يحم انقضاؤه	وذو أرب ما أن يحين قضاؤه
به من بني مصر عناة مبرح	فيا ليت شعري هل يزول عناؤه؟
أما إنه لو كان يُشفى غليله	بكاء على مصر لطلال بكائه
تقسمها الأقوام لا ذو حمية	فيحمي ولا وافي فيرجى وقاؤه
وما مصر إلا موطن نحن أهله	عزيز علينا أرضه وسماؤه

إلى أن قال يستنكر الاحتلال البغيض وهيب بالأمة أن تحاربه:

نوى فيه أقوامٌ مللنا ثوامهم .
لقد كان يأبى أن ينزل لفاصب
لقد كان يرعاه رجال أعزة
هم من صروف الدهر كان احتماؤه
هم تاضلوا عنه فصانوا ذماره
بصارم عزم ما يُردّ مضاهه



بنى وطنى لا تسخطوه عليكم
فليس سواة سخطه ورضاه
بنى وطنى خلوا التخاذل إنه
بلاؤكم يحتاجكم ويلاؤه
سلام عليكم من أخ ذى حمية
دعى فائثار الساكنين دعاهه

لواء الوطنية

وقال يمجّد لواء الوطنية ويدعو إلى الالتفاف حوله والتضحية فى سبيله:

فذاؤك نفسى من لواء محب
جعا جعة^(١) من ذائد ومذيب
فمنهم قؤول للصواب مستد
يصرف صرارا له وقع أشطب
يدين له الجبار غير معذل
ويهنو له المفوار غير مؤنب
ومنهم فصول للمكارم ماجد
يلبى نداه كل داع مشوب
هم الصحب صانوا للديار لواءها
وصالوا على أعدائها غير هيب
يكرّون كرّ الدارعين إلى الردى
إذا طلبوا حقا تداعوا فأجلبوا
إذا طلبوا حقا تداعوا فأجلبوا

إلى أن قال:

وما منع الأوطان إلا حمائها
وذاؤها من ذى شباب وأشب
هم نخرها المرجو فى كل حادث
وعلتها فى كل يوم عصيب
سلام عليهم من كهول وقتية
ويورك فيهم من شهود وغيب

(١) جماعية جمع جماع السيد السارح فى الكارم

كبوة الشرق

وقال تحت عنوان (كبوة الشرق) يستصرخ أهله ليعيدوا إليه سالف مجده:

متى ينهض الشرق من كبوته	وحق متى هو في غفوته؟
كَبَا وكذلك يكبو الجواد	براكبه وهو في حلبته
ونام كما نام ذو كربته	تلكه اليأس في كربته
وَهَى عَزْمُهُ ما يطيق المراك	وقد كان كالليث في وثبته
تجبرَّ عليه عرادي الخطوب	كلا كُلَّهَا وهو في غفلته
نواهبُ ما كان من مجده	سوالبُ ما كان من عزته

إلى أن قال:

فيالهِف قلبي لمجدٍ مضى	ويا شوق نفسي إلى عودته!
وياالهِف آباءنا الأولين	على الشرق إن ظل في نكبته
همُ غادروه كروض أريض	تسوق النفوس إلى نضرته
ونحن تركناه للعاديات	ولم نرع ما ضاع من حرمة
فأذهبن ما كان من حسنه	وأفنين ما كان من بهجته



فهل يسمع القول أهل القبور	خطيبُ فيسهب في خطبته
يناديه فيم هذا الرقاد؟	كفى ما دهي الشرق من رقدته
لقد ضاع بعدكمو مجده	وكل المثالب في ضيعته
وأنتم رجال ذوو نجدة	فلا تقعدوا اليوم عن نجدته

يدعو إلى بعث مصر

وقال يذكر مجد مصر الغابر ويدعو مواطنيه إلى النهوض لاستعادة هذا المجد:

أهذى ديار القوم غيَّرها الدهرُ	فموجوا عليها نيكها أيها السفر
محي آيها مرَّ العصور وكُرِّها	إذا مرَّ العصرُ كر من بعده عصر

وهل تنطق الدار المعطلة القفر؟
 لطول البكا من شبيه الأثع الحمر
 حوادث دهر من خلائقه القدر
 فما برحت حتى أتيج لها النصر

نسائلها أين استقلّ قطينها
 وكائن ترى من ذى ثمانين خضيت
 بكى وطننا أودت بسالف مجده
 أغارت عليه من جنوب وشمال



فيا ويح مصر ما الذى لقيت مصر؟
 بنوها فلا عزٌ لديهم ولا فخر
 فديتكمو هُـبوا فقد طلع الفجر!

ألا إنها مصر التي شقيت بنا
 مضى عزّها القُدموس^(١) ما يستعيد
 هم رقدوا عنها فطال رقادهم

ذكرى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢

وقال عن ذكرى احتلال الإنجليز القاهرة يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ :

وأنت على ما أنت تمضى وتقبل
 ولا أنت ماكر الجديدان تحفل

تلومك يا يوم النحوس ونعذل
 فلا نحن ما عشنا عن اللوم نرعوى

إلى أن قال :

نفوس رجال أوشكت تملل
 بما ضيعوا الأوطان ما ليس يحمل
 وما برحت تبغى انتصاراً فتخلل

لعلك أن تأق بما تعد المنى
 لى الله قوماً حملونا من الأذى
 هم خذلوها فاستبيح حرىها

بهاجم الاحتلال

وقال سنة ١٩٠٢ ينعى على الاحتلال بغيه وعدوانه، وعلى الإنجليز نقضهم للعهود والمواثيق :

ما هكذا الأحكام والمكّام
 تنابها الأدواء والأسقام
 فتنوعت في دائها الأوهام

في كل يوم شرعة ونظام
 عشرون عاماً والديار مريضة
 لم يعرف المتطّيبون دواءها

(١) القُدموس : القديم.

ترك العليل تذييبه الكلام
حق يعود الداء وهو عقام
أم كيف يزجي عزها ويرام؟
عنها على زجر المهيب نيام

إن الأساة لتعلم الداء الذي
ولربما غش الطبيب عليه
كيف الشفاء لمصر من أدوائها
والصلحون كما علمت وأهلها

إلى أن قال مخاطباً بريطانيا:

علما تُنكس تحتها الأعلام
إن كان منك لمؤيق إبرام؟
يا هذه، نقض اليهود حرام
تأق وتذهب بمدى الأعوام
ليطول لولا الجهل منك مقام

يا دولة رفعت على أوطاتنا
أين الموائيق التي أبرمتها
لم تحفل بمهودنا فنقضتها
عشرون عاما ما كفتك وهكذا
طال المقام وأنت أنت ولم يكن

وقال يهيب بالأمة أن تهب للجهاد:

ستيلها أيديهم الأيام

غنموا نفائسه وثم بقية



ويدوم منه البر والإكرام
أودى بهاتيك النفوس أوام
تُرعى لدى أمثاله الأرحام

عجبا لهذا النيل كيف نَعَقَه
لو كان يميزنا بسوء صنيعنا
لكنها رَجِمُ المجدود ولم تنزل



أبدأ يكلف نصحك ويسام
عنكم عنها ذلك الضرعام
هُيُّ فقد أودت بك الأحلام
والمرء يُظلم غافلا ومُضام
حول الحمى مستيقظون قيام
نومٌ عن الأوطان واستسلام
فعلهم وعلى الديار سلام

يا آل مصر خذوا نصيحة شاعر
لا تغفلوا عنها فليس يفاقل
يا أمة خاط الكرى أجفأتها
هبي فما يحمي المحارم راقد
هبي فما يغني رقادك والعدى
شيئان يذهب بالشعوب كلاهما
إلا يحسن للراقدين قيام

يدعو إلى البذل والتضحية في سبيل مصر

من قصيدة له نظمها سنة ١٩٠٤ بمناسبة إنشاء مدرسة محمد علي الصناعية بالإسكندرية:

من يُسعد الأوطانَ غيرُ بنيتها	وينيلها الآمالَ غيرُ ذوقها
ليس الكريمُ بمن يرى أوطانه	تَهَبُ الصلواتُ ثم لا يحميها
ترجو بنجدته انقضاء شقائها	وهو الذي بقموده يشقيها
وتودُّ جاهدةً به دفعَ الأذى	عن نفسها وهو الذي يؤذيها
سُئِلَ المكارمُ للكرامِ قسوة	فعلامٌ يحطنها الذي يبغيها؟
ما أكثرُ المتفاسخينَ وإنما	فخر الكرامِ بماحت أيديها
يحوى الكريمُ المالَ لا يبيى به	شيئاً سوى أكرومة يحويها
والجودُ يُحمد حيث كان وخيره	ما تال أوطان الفقى وبنيتها
ولقلنا أرضى امرؤُ أوطانه	حق تراه بنفسه يقدحها



يا آل مصر وما يؤدى حقها	إلا فقى يكفى الذى يعينها
هى أمكم لا كان من أبنائها	من لا يواسيها ولا يُرضيها
وقهنتكم الخيرَ الجزيل فهل فقى	منكم بحسن صنيها يميزها؟
سعدت لعمري بالصنائع حقبة	دلت على (عجل) فمن يتيها؟
دار الصنائع خير دار تُبتى	فأفقه يميزى الخير من يبينها

يطعن في الملوك، ويستهن الرتب والألقاب

من قصيدة بعنوان (الشرف والملوك)، وإذا عرفت أنه نظم هذه القصيدة ونشرها سنة ١٩٠٨ في الجزء الأول من ديوانه، لرأيت أنه أول شاعر وطني حل على الرتب والألقاب، وأول من هاجم الملكية والملوك بهذه القوة والشجاعة، فسبق هذه القصيدة الخالدة عجلة الحوادث بنصف قرن من الزمان، قال:

كُتِبَ الملوك ومن يحاول عندهم	سُرْقاً ويزعم أنهم سُرقاء؟
رُتِبَ والألقاب تُفَرُّ وما بها	فخرٌ لمحرزها ولا استعلاء

أَنَا تَبَاعٌ وَتَارَةٌ هِيَ خُدْعَةٌ تَمْنَى بِشَرِّ سُمْعَاتِهَا الْأُمَرَاءُ
 كَمْ رَتْبَةٌ نَعِيمُ الْغَيْثِ بَنِيْلَهَا مِنْ حَيْثُ جَلَّلَهَا أَسَى وَشَقَاءُ
 لَوْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَهَوَانُهَا مَا طَالَ مِنْهُ الزَّهْوُ وَالْخِيَلَاءُ
 يَلْقَى الْكَرَامَةَ حَيْثُ كَانَ وَقَعْلُهُ جَمُّ الْمَسَاوِي وَالْمَقَالِ هَرَاءُ
 تِلْكَ الْجَهَالَةُ وَالْفُرُورُ وَبَاطِلُ مَا يَصْنَعُ الْأَغْرَارُ وَالْجَهْلَاءُ



ذَنْبُ الْمُلُوكِ رَمَى الشُّعُوبَ بِنَكْبَةٍ جُلِّيْ تَنْوَهُ بِحَمْلِهَا الْغِيَرَاءُ
 لَا الْمَجْدُ مَجْدٌ مَا عَيْشَتْ بِهِ أَيْدِي الْمُلُوكِ وَلَا السِّنَاءُ سَنَاءُ
 مَا لَوْ عَنْ الشَّرَفِ الصِّمِيمِ وَأَحْدَثُوا مَا شَاءَتْ الْأَوْهَامُ وَالْأَهْوَاءُ
 رَفَعُوا لَطْفًا عَلَى الْكِرَامِ فَأَشْكَلَتْ قِيَمُ الرِّجَالِ وَرَابَتْ الْأَشْيَاءُ
 وَإِذَا الرِّعَاةُ تَكَبَّتْ سَبَلَ الْهُدَى غَوَتْ الْهُدَاةُ وَطَاشَتْ الْحِكْمَاءُ
 وَإِذَا الطَّبِيبُ رَمَى الْعَلِيلَ بِدَائِهِ فَيَمْنُ يَوْمَلُ أَنْ يَبْسَلَ الدَّاءُ ؟



لَوْ جَاوَرَ الشَّرْفُ الْمُلُوكَ لَأَوْرَقَتْ صُمُّ الصَّخُورِ وَضَامَتِ الظُّلُمَاءُ
 ظِلْمٌ يُمَرِّحُ بِالْبَرِيءِ وَغُلَظَةٌ يَشْقَى بِهَا الضَّعْفَاءُ وَالْفُقَرَاءُ
 الْحَقُّ مَنَهِكُ الْمَحَارِمِ بَيْنَهُمْ وَالْعَدْلُ وَهْمٌ وَالْوَفَاءُ هَبَاءُ
 رَفَعُوا الْعُرُوشَ عَلَى الدِّمَاءِ وَإِنَّمَا تَبْقَى السَّفِينَةُ مَا أَقَامَ الْمَاءُ !

يرثي مصطفى كامل

قال سنة ١٩٠٨ من قصيدة له في رثاء مصطفى كامل:

مازلت تقتحم المصاعب بمجهود نفساً موطنَةً على الأهوال
 حتى طواك الموت غير مجامل شعباً يملك أيماناً إجلال
 أحيتته وقتلت نفسك بالذي حملتها من فادح الأثقال
 هلا رحمت نفوسنا فرحتها وبقيت تكفيننا أذى القتال

وختمها بقوله:

إن كان قد حُمَّ القراق فوقفة تشفى نفوسا آذنت بزوال
هيهات ما جزع النفوس لراحل سارت به الهدباء غير خيال
سرّ فالحيّاة كما علمت رواية محسومة الأدواء بالآجال

يدافع عن حرية الصحافة، ويلوم الخديو عباس

قال من قصيدة له سنة ١٩٠٩ ينمى على الحكومة تقييدها حرية الصحافة، وفيها يوجه اللوم إلى الخديو عباس الثاني في خذلانه للأمة:

صُبروا المداد وحطّموا الأقسام واطروا الصحائف وانزعوا الأفهام!
وخذّوا على الوجدان كل تنية واقضوا الحياة مزملين نياما
ودعوا البلاد تنفوق من عنت العدا ما شاء خادمها الخزون وناما



اليومُ نمنع أن تنن لمؤلم أو نشتكى الإعنات والإرغاما
واقه لا ندع الشكاية منهم أو يمنعوا الأوصاب والآلما
كيف القرار على الإساءة والأذى أم كيف نكتم في القلوب ضراما؟
ومنى رضىنا أن نعيش أذلة فنطيق مسكة أو استسلاما؟

إلى أن قال يخاطب الخديو عباس الثاني ويلومه:

ماذا بدا لك فاعتزلت صفوفنا أنأصبحت حرب الغزاة سلاما؟
الحرب دائرة وجيشك قائم ينضى السيوف ويرفع الأعلاما
والملك مضطرب ومصر كهدهدا تدعو الحماة وتشتكى الأقواما
إن كنت خاذلها ولست بفاعل فحماتها لا يخفرون ذماما^(١)
أتخون مصر وما تحوّل نيلها سبّا وما انقلب الضياء ظلاما
نبغى لها الشرف الأنثم مؤبداً بالبأس يؤيس صرحه الهداما

(١) يقصد بحماتها أنبائها للجامعين.

ونعز رايتهما ونمنع حوضها
عباسُ رأيك في البلاد وأهلها
إن كان عسف فالزمان مؤرخ
ونزيد صادق حينها استحكما
أن الأذى يستضرم الأوغاما
يحصي لنا الحسنات والآثاما

قلبي. كتابي. أمي. وطني. مقى
نشقى نفوسا تستطير أوامها؟

يندد بملوك الشرق

من قصيدة له سنة ١٩١٢ بعنوان (الملك الزائل) يندد فيها بملوك الشرق لمناسبة ضياع
مراكش بعد توقيع السلطان عبد الحفيظ المعاهدة التي قبل فيها وضع بلاده تحت حماية فرنسا:

هَوَتْ العروش وُزِلَتْ زلالا
رِيعَتْ لمصرعه المشارق إذ مشى
سَلَبَ المغيرُ حياته واستأصلت
تَنْجُو الممالك مانجا استقلأها
عرشُ هَوَى وقديم مُلك زالا
فيها التَّمَيُّ وأجفلت إجفالا
أبدى الجوانح عِزَّهُ استئصلا
فلذا اضمحل أعارها اضء-لالا
أرضى المغيرَ وطاوع الفئالا
أين (الخليفة) ما دهاه وما له؟

ماقام شغبٍ نام عنه حماؤه
تأبى العناية أن تصانح أمة
واستشعر التفريط والإهمالا
ترضى الموان وتألف الإذلالا

قد كان يأنف أن يكون قرينهم
لمب القُرُود به فضييع ملكه
وإذا أراد الله شرا بامرئ
وبمعنهم لجلاله أمثالا
واعتاض منه مذلة وخيالا
تبع الفؤاة وطاوع الجهالا

أخليفة يعطى البلاد وآخر
أغرور مفتون وصبوة جاهل
يهوى القيان ويمشق الجريالا؟
بش (الخلائف) سيرة وفعالا

فظائع الإنجليز في مصر إبان الحرب العالمية الأولى

من قصيدة له سنة ١٩١٨ يتدد بفظائع الإنجليز في مصر إبان الحرب العالمية الأولى:

أبها الجنند ظافراً يتمشى	في الجماهير معجياً مختالا
يوم غاب الحماة واستصرخت مصر	ر تنادى الرجال والأبطال
أقتلت الكماة في الحرب غلباً ^(١)	أم قتلت النساء والأطفال؟
أنصفى (الظالمين) يا (دولة الف	روقي) منا وعلمي (الجهالا)
علمينا كيف الحياة نُعا	نباها وصوفى النفوس والآجال
خفى القتل إنتا قد عيينا	ولقمينا في ظلك الأهوال
إقبضى ظلك (المحبب) عثا	واجعلها عقوبة ونكالا

إلى أن قال يتدد بغر الاحتلال:

ماذكرنا لكم من الخير شيئاً	مارضينا لكم على الدهر حالا
نذكر الحكم ظالماً مارأينا	فيه عدلا ولا وجدنا اعتدالا
نذكر العهد شيئاً ماعرفنا	فيه حرية ولا استقلالاً
نذكر الشر والبلاء جميعاً	فاذكروا عهدكم وشدوا الرحالا
رصوا (التاج) بالوفاء وحلوا	بجلى الصلح (عزّه والجلالا)
لاتريقوا دم الضميف عليه	وانظروه من فوقه كيف سالا
أكرموا التاج إنكم إن أبيتم	زاد فينا مهانة وايتذالا
طال عهد احتلالكم فحسينا	أن يوم الحساب يدعى احتلالا

إلى أن قال منذرا الإنجليز بسوء العاقبة:

هل من الله مهرب أونجاة	حين يزجي جنوده والرعالا ^(١)
ياخذ البر والبحار عليكم	ويريكم نزاله والدمعالا ^(٢)
تلك عقى الأذى فلا تتكروها	جاءكم يومكم فذوقوا الوبالا

(١) غلبا، جمع غلب.

(٢) الرجال، جماع الخيل.

(٣) السال، الانتاع.

فطائع الإنجليز في ثورة سنة ١٩١٩

ومن قصيدة له سنة ١٩١٩ ينشد بفطائع الإنجليز في إخماد الثورة وما ارتكبه من القتل والتكيل بالأبرياء:

من نكية تدح النفوس شعاعاً	ياسوء ما حمل اليريد ويا لها
يسترسلون إلى المتون سراعاً	يارب ما ذنبُ الذين تنابصوا
صرعى وما سألوا العدو صراعاً	جرحى وما حملوا السيوف لغارة
عند النداء بتاتها الأسماعاً	قالوا (الحياة) فهوجلوا أن يقرعوا
فارتاب ثم رآهمو فارتاعاً	(عزيريل) نبي ما أصاب جموعهم
يلقى القلوب ويقصم الأضلاعاً	مرأى يشق على الميون ومشهد
ألقى عليه من الحياة قناعاً	لما أطل الظلم فيه بسوجه
حق تراجع طرفة استفظاعاً	ودعا (بنسرون الرحيم) فبا رنا
(للمصلحين) مقابراً ورباعاً	وصفو المصاب (لندنشواي) فكبرت
كانوا أهر خلائقاً وطباعاً	واستيقنت أن الأولى نكيت بهم



ومصاب أهلك جاوز المُسطاعاً	يامصر خطبك في الممالك فادح
وتصبيهم نُوب الزمان تباعاً	قوم يروعهم البلاء مضاعفاً
هوج الحوادث ركنه فتداعى	لأنوا بحسن الصبر حتى زلزلت
وتقوم مما تحمل الأوجاعاً	حملوا القلوب تقور مما تصطل
خطب يروع منهم الأطماعاً	إن هاجهم طمع الحياة رمى بهم
حمر خلا الوادى فكن سباعاً	وإذا أرادوا نهضة نفرت لهم



يرمون شعباً لا يطيق دفاعاً	سفكوا الدماء بريئة وتتمروا
ونظل صرعى في البيوت جيعاً	لم يذكروا إذ نحن نبذل قوتنا
عدلا لمن يألو العدو قراعاً	بش الجزاء وربما كان الأذى

جاءوا فقوم يضمرون مودة
فتكافأ الحزبان في حاليتها
ورضى. وقوم يظهرون خداعا
ومضت حقوق العالمين ضياعا
إلى أن قال يجب بالشعب أن ينود عن حقوقه بالمهج والأرواح والإقدام والشجاعة:

لايستقلّ الشعبُ يترك حقه	ويرى البلاد تجارة ومتاعا
يخشى العدو فلا يطبق تشدداً	وهال منه فلا يريد نزاعا
إن الحياة لأمة مقدامية	تعى العدو شجاعة ومصاعا
تزجى إليه من الحفاظ جحافلا	وتقيم منه معاقلا وقلاعا
إن شامها في الحادثات تفرقا	عقدت على خذلانه الإجماعا
وإذا أراد بها المضيمة أرهفت	هيا يضيق بها الدهاة ذراعاً



يارب مصر تول مصر وهب لها	شعباً يريد لها الحياة شجاعا
لو سيم يوما أن يبيع بلاده	بمالك الدنيا ممّا ما ياعا

يرثى فريدا

من قصيدة له سنة ١٩١٩ يرثى محمد فريد:

أترى الكنانة كيف تميت بالدم	الله للشهداء إن لم ترحم
أدنى المراتب في الصباية عندهم	تلف المحب وطول وجد المفرم
تزجى تحيتها فيكذب دونها	أمل الملل ومطمع التبرم
ضل امرؤ قتلته (مصر) فلم يصن	عهد الولاء لها وحق النعم
معشوقة يجرى مع الدم حبيها	في قلب نصرانيها والمسلم
بعثته (مصر) مجاهداً ورميت به	فرمت بجيش للفتوح عرمرم
خاض القمار يهدّ كل كتيبة	وهز رايات الكمى المعلم
متجرّداً لله يطلب حقه	ويقوم جانب شعبه المتهم
فيإذا القياصر بالأرائك تنقى	وإذا الأرائك بالقياصر تحتمى
كل به فزع وكل جازع	يبقى القرار ولا قرار لجرم

إلى أن قال:

أرضيت ربك في جهادك فاعثم
إلا كباديء حجة لم تختم
ضدان من ماضٍ وآخر محجم
تنفى غرام المطلب المنتهجم
أن المنية مركب المتجتم
وصفوك ظلًا بالفريب المدم
قيمت كنوز العالمين بدرهم
ويقين ذى الوجدان أفضل منجم
وارتج ما بين الحطيم وزمزم

يا سيد الشهداء بعد رفيقه
ليس الذى بدأ الجهاد قلم يت
والناس في شرف الحياة وعزها
وأجل ما رزق الرجال هامة
تتجشم الصعب المخوف وعندها
ماوى الممالك والشعوب ومالها
لك من يقينك ثروة إن قدرت
إيمان ذى الإيمان أعظم ثروة
ضج النعاة فضج كل موحد

ثم قال:

ويرث من ماضيك إن لم تنقى
بين المضاجع والشعوب النوم
فامشى على أنارها وترسمي
خلق المريب وتبيمة المتوهم
إلا مراقبة العدى والولوم

يا مصر حسبك ماضيت من الأذى
إن التى رمت الممالك باعدت
الأر تركض بالشعوب حثيثه
إن كان قبلك لم يحمل فإنه
سيرى قبا بك غير تلك وما بنا



الله جارك فاعثبط وتنعم
تلقي المموم بكل أغلب أضخم
لفداء (مصر) من المهم المؤلم
وقضيت من حق عليك محتم
ودعت مسلمة عليك فسلم
وكفيت سوء الذكر من لم يخدم
إلا إذا نال السبب بسلم
والحر مؤتمن وإن لم يقسم

يا نازحاً لم تقض حق بلائه
وانقض هومك عن فؤادك إتنا
إن المناكب والنفس بأسرها
ماذا حفظت لأهلها من حرمة
حيثك (مصر) على البعاد فحيها
جاوزت حسن الصنع في خدامها
كذب المضال لن ينالك سعيه
أقسمت مالك في جهادك مشبه

مازلت تسرف في المغارم دائياً
أى القواضب بعد ما قطع النظا
رددت صوتى فى الرثاء وإنما
حيثك فى الملأ العلى وأزلقت
أسفى لأوبة راحل لم تقضها
حتى جعلت النفس آخر مغرم
ولوى الأسنة فى الوغى لم ينلم
رددت من صوت الكنانة فى نعى
حور الجنان إليك شعر (مغرم)
عدة المسى ونحمة لم تنظم

ذكرى فريد

وقال سنة ١٩٢٢ فى ذكرى محمد فريد:

ألا فاذكروا من قومنا كل مقدم
وما الناس إلا الخالدون على البلى
هم ثروة الأجيال لولاهم انطوت
إذا المرء لم يعمل لما بعد يومه
ففى هذه الذكرى حياة لأقوام
وصرف الليالى من هداة وأعلام
على فاقة ما تستطاع وإعدام
طوى كل حى ذكره بعد أيام



سلاماً على الحق المقيم وإن طوى
على الكوكب الطاقى على لجة الردى
إلى المنزل الأقصى ثلاثة أعوام
إذا ما طوى الأعمار طوفاته الطامى



ألا فاذكروا الأبطال وابتنروا الوغى
هى الوثبة الأولى وإن وراهما
وكونوا أولى بأس شديد وإقدام
لما يستجيش الوثب من كل ضرغام



وقال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له فى ذكره:

جددوا الذكرى لأهل المشرق
يعشق المجد فبان لجنت به
علّموه كيف يقضى حقه
وأروه السبل نازلاً وعلماً
مزقوا الأوهام عنه إنه
وصفوا المجد لشعب شيق
لوعة الوجد تتحنى يتقى
نابه الموقف حرّ المصنق
من هبّ فيها المنايا يصق
ليظنّ السبل من إستبرق

إلى أن قال:

يا (شهيد النيل) لو ناجيته لشفاء منك عذب المنطق
شاقه الصوت البعيد المرتقى والمقام الكسروى الرونق
وشجاء أن يرى صمصامه غير وضاح السناء فى المأزق
جاشت الأحداث تستقصى المدى وارتقت من كل صوب تلتقى

إلى أن يتدد بانقسام الأحزاب ويمساوى الحكم القائم وقتئذ (نوفمبر سنة ١٩٢٥) حكم الرجعية والسراى:

سائل الأحزاب ماذا عندها غير ترجاف وهم مقلق
وتأمل هل ترى اليوم سوى دولة فوضى وحكم أخرق
فات (نيرون) رجال رزقوا من فنون الظلم ما لم يرزق
لو جرى (فرعون) أو (هامانه) يتعاطى شأوهم لم يلحق
سجنوا الدستور طفلا ناعيا واستبدوا بالسجين الموق
لاجرى (النيل) على الوادى ولا بسورك الشعب إذا لم يُطلق



تلك ذكرى (النيل) للنفس التى عكف (النيل) عليها يستقى
هى عين من حيلة عذبة فى يفاع من سناء مشرق
فزعت مصر إلى أبطالها فالبس النقع ويسر فى القيلق
سائل القوم أما من غضبة لنظام صادق أو موثق
لا أرى النجدة إلا فى الأولى هم أولو العهد الأبر الأصق
ننصره ونحمى أمة نحن منها فى الصميم المرق
همة المقدام من آلائها وبيان العبقرى المفلق

الحالة السياسية سنة ١٩٢٥

فى سنة ١٩٢٥ عين اللود جورج لويد معتمدا (منلوبا ساميا) لبريطانيا فى مصر خلفا للمارشال ألنبي الذى استقال من منصبه، وقد حضر المعتمد الجديد إلى مصر فى أكتوبر

سنة ١٩٢٥، فنظم أحمد محرم قصيدة يخاطبه فيها ويحذره منقبة السياسة الاستعمارية، وفيها يتند بانقسام الزعماء وتتكبرهم سبيل الإخلاص والسداد، ويهيب بالأمة ألا تقع في شرك الاستعمار ومناوراتهم، وأن تصمد في الجهاد. قال:

أتسأل مصر ما حمل (المعيد)	وهل عند الرماة لها جديد؟
هو السهم الذى عرفته قدما	ونجرب وقصه الشعب الوتيد
تمرد مبدئي وطفى معيد	ولم تزل الرمية تستزيد
(مسيح الهند) إن بمصر شعبا	يشق عليك إن خضع المنود
فما نظر المسالم أين تبغى	ولا عرف المساوم ما تريد
<u>دع الزعماء إن لهم ليدينا</u>	<u>يلدين بغيره الشعب الرشيد</u>
إذا ذكروا الزعامة فهي دعوى	يكيد بها (الكثانة) من يكيد
ولا تهتفى البلاد إذا أصيبت	بن يغى الزعامة يستفيد
<u>لن تتألب (الأحزاب) شق</u>	<u>وما هنى الصواعق والرعود؟</u>
<u>تداعوا للوغي فهو صريحا</u>	<u>على أيديهم الوطن الشهيد</u>
مضت أسلاية تزجى إليهم	فما تلة لدى الأقوام عيد
إذا ساد التخاذل في أناس	فأعوز ما ترى شعب يسود

إلى أن قال:

عميد (الغاصين) نزلت أرضا	يبعد القاصبون ولا تبيد
ينود الواحد القهار عنها	إذا قهرت جنودك من ينود
أتذكر إذ لقومك ما أرادوا	وإذ (لكرومر) البطش الشديد
تطوف جنوده فتصيد منا	ومن سرب الحمام ما تصيد
أتذكر (دنشواي) وكيف كادت	جوانتها بأهلها تميد
تضج من العذاب ولا سبيل	إلى غير العذاب ولا يحيد

إلى أن قال مشيرا إلى طغيان كرومر وكيف أكرهته مصر على الاستقالة من منصبه:

سيوف الجنود مظهر كل حق	ورأى (كرومر) الرأي السديد
أتذكر إذ نعاتبه فيطفي	وهدر في مقالاته الوعيد ^(١)

(١) يسير إلى خطبته سنة ١٩٠٧ قبيل رحيله عن مصر وقد توعد فيها للصين ببقاء الاحتلال

أخذناه بقارعة ألحَّتْ
 صدعنا ركنه فانقضَّ هوى
 هوى جبل من العدوان عالٍ
 ونحن القائمون بحق مصر
 ونحن المقبلون على المنايا
 نضن بمصر إن عدت العوادي
 هي النعم المصونة والعود
 عليه فزال واشتفت الكبود
 وذاب الصخر أجمع والحديد
 وزلزل للأذى صرح مسيد
 إذا ما استسلم القوم القعود
 إذا الأبطال كان لهم صدود
 ولكننا بأنفسنا نجود
 فما يبنى (كرومر) أو (لويذ)



أخا (السكسون) هل نبت أنا
 لقد كذبوا عليك فبنا
 إذا سمعت (الوفود) إليك فاحذر
 فما أجد بك أمر مصر
 مضت دنيا القيود وتلك دنيا
 حينما ما حى الآباء قدما
 بلاد ما تباع وماقيات
 جلاوة لقومك أو عبيد
 لمن يبنى المضيمة مستقيد
 عواقب ما تقول لك (الوفود)
 وما بالشعب جبن أو جمود
 تلم بها وتحتقر القيود
 وصان لنا وللتنزيل الجود
 من الآثار معدنها الخلود

يدعو إلى اليقظة السياسية، ويندد بالتراخي في الوطنية

قال سنة ١٩٢٧ من قصيدة في (الشعر السياسي):

تسعى الشعوب ونحن في غفلتنا نأبى القمائل ونكثر الأقوالا
 ركبوا متون العاصفات وشأتنا أن نركب الأوهام والأمالا



يا باعث الموق ليوم معادها أعد الحياة لأمة أودت بها
 وأضىء لها سبل النجاة ليهتدى من زاغ عن وضح الطريق ومالا
 وتولها بالصالحات ولقها منك الأمان ووقها الأوجالا

وأمّن عليها من لدنك بقوة
 واطمئن على صدق الإخاء قضاينا
 أودى بنا بين الشعوب تهاغض
 تستفحل النكبات بين ظهورنا
 توهي القيود وتصدع الأغلالا
 فلقد تفرق يمنة وشمالا
 صدع القلوب ومزق الأوصالا
 ويزيد معضل دانتنا استغلالا
 الله يحكم في الممالك وحده
 ويصرف الأقدار والأجالا

إلى الشعب

وقال سنة ١٩٢٧ في هذا المعنى موجها الخطاب إلى الشعب:

ادفع بنفسك لا تكن متهيبا
 شرف الحياة وعزها لغامر
 ما اعتز في الأقوام من يتهيب
 يمضي فلا يلوى ولا يتنكب
 أشرع لأمتك الحياة ولا يكن
 لك في حياتك غير ذلك مأرب



مصر الحياة وحبها الشرف الذي
 نفسى وما ملكت يدأى لأمتى
 بطرازة الغالى أدل وأعجب
 وسراة آبائي ومن أنا منجب
 لك بعد والدك التراث الطيب
 إن الكريم لثقل ذلك يندب
 فأنظر إلى أى المواطن تسب
 إن الكريم لقومه يتعصب
 ومن الخلال الصالحات مؤدب
 للمرء من شرف العشيرة زاجر
 ما لمرء إلا قومه وبلاده
 ليس التعصب للرجال معرة
 للمرء من شرف العشيرة زاجر

حكم التاريخ

من أنعم التاريخ أن حسابه
 تقف الخلائق تحت راية عدله
 حق وأن قضاياه لا يشجب
 فيقام ميزان الحقوق وينصب
 فيداس فيه متوَّج ومعصّب
 يحميّه منه وما لجيل مهرب
 في موقف جلل تجيش جموعه
 ملك الزمان فما لعصر موئل

يخاطب النيل

يا نبيل والموفون فيك قلائل
قُتل الوفاء فما غصبت وإنما
تهب الحياة له وليس لقاتل
مَن لى يشعب فى الكنانة لا القوى
متألب يعضى الحياة كأنه
أين الرجال العاملون فإنما
ليت الزعاف لمن يحوثك مترب
يحمى الحقيقة من يغار ويغضب
فى غير حكمك من حياة توهب
تنشق منه ولا الهوى يتشعب
جيش على أعدائه يتألب
تبقى الماك بالرجال وتذهب

وطن يعذب فى الجحيم

فلسطين الشهيدة

من قصيدة نظمها سنة ١٩٣٨ عن مأساة فلسطين:

ليبك يا (وطن الجهاد) ومرحبا
ليبك إذ بلغ البلاء وإذ أبى
من ذا يرى تمه أعز مكانة
وطن يمتدب فى الجحيم وأمة
بقلوبنا الحرى وفى أحشائنا
وبنا من الألم المبرح ما بها
تنجرع البلوى وتندرع الأسى
إننا لنعلم أن أكل لحمهم
جعلوا الكفاح عن العروة حرثهم
يسقون ما زرعوا دما فى مخضب
(البيت) يطرب من أئين جراحهم
ليبك من داع أهاب وثوبا
جد الزمان وصرفه أن نلما
من أن يحضب من (فلسطين) الرقى
أعزز علينا أن تصاب وتكبا
ما شب من أشجانها وتلهبا
وأرى الذى تلقى أشد وأصعبا
نرعى لإخوتنا النمام الأقربا
سيمخوض منا فى الدماء ليشربا
وتهدوه فكان حرثا طيبا
لولا الدم الجارى لأصبح مجدبا
أرأيت فى الدنيا أنينا مطربا؟

وقال يحمل ساسة بريطانيا وأمريكا مسئولية مأساة فلسطين:

إن الذى زعم السلام مُرادُه
إن كان قد غمر الزمان وأهله
جعل الدماء سبيله والركبا
كذبا فمن عاداته أن يكذبا

أَرَأَيْتِ إِذْ سَكَبَ الدَّمْعُ غَزِيرَةً
مَتَضَعٌ بِاسْمِ الضَّعِيفِ يُرِيقُهَا
مَا كَانَ أَصْدَقُ نُسْكَهَ لَوْ أَنَّهُ
يَعْنِي بِذِكْرِ الْعَدْلِ فِي صَلَوَاتِهِ
بِأَبِي الْحَيَاءِ لَمَلَّهَا أَنْ يُسْكِبَا
وَهُوَ الَّذِي تَرَكَ الضَّعِيفَ مُعَذِّبًا
رَحِمَ الْبَرِيءَ وَلَمْ يُجَاهِدِ الْمَذْنِبَا
أَرَأَيْتِ عَدَلًا بِالدَّمَاءِ مُحْضِيًا؟

وقال يهب بالأُمم العربية أن تهب لنجدة فلسطين:

رُسِّلَ العروبة هل أسيتم جُرَحُهَا
جُرُحٌ تَقَادِمُ عَهْدِهِ وَتَفْتَحُ
أَنْتُمْ أَسَاءَةُ الْمَجْرُوحِ فَاتَّخِذُوا لَهُ
وَصَفَّ السَّوَاءَ لَكُمْ وَخَلَّفَ عِلْمُهُ
مَا بِأَلِهِ اسْتَعَصَى وَمَاذَا أَعْقَبَا؟
أَفْوَاهُهُ تَدْعُو الْأَسَاءَةَ الْقَبِيحَا
يَنْ طِبُّ شَيْخٍ أَسَاتِكُمْ مَا جَرَّبَا
فِيكُمْ فَأَيْنَ يَرِيدُ مِنْكُمْ مَنْ أَيْ؟

يَا قَوْمُ لَسْتُمْ بِالضَّعَافِ فَخَامَرُوا
أَفْأَ كِفَاكُمُ قُوَّةٌ مِنْ دِينِكُمْ
يَا (أَلْ يَعْرَبُ) مَنْ يَرِيقُ (خَالِدَا)
مِنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيَكُنْهُ وَلَا يَقِلْ
السُّرُّ بَاقِي وَالزَّمَانُ مَجْدُ
وَحَنُوا مَطَالِبَكُمْ سَرَاعًا وَثَبَا
مَامَجَّعَ الْإِيمَانِ فِيهِ وَالْبَا
يُزْجِي الْخَمِيسَ وَيَسْتَحِثُّ الْمُقْنِيَا
ذَهَبَ الْقَدِيمُ، فَإِنَّهُ لَنْ يَنْهَى
وَالسَيْفُ مَا قَدَّ الْمَضَاءَ وَلَا نَهَا

رُدُّوا المَظَالِمَ عَنْ مَحَارِمِ أُمَّةٍ
لَمْ يَطَّ أَوْطَانُ السَّرُوبَةِ حَقَّهَا
رُدَّتْ ظُنُونُ ذَوَى الْمَهَالَةِ خُبِيَا
مَنْ كَانَ يَطْمَعُ أَنْ تُبَايَعَ وَتَوْهَبَا

يشفق على الفلاح

ومن قصيدة له بعنوان (رحلة عابسة) سنة ١٩٤٠، وقد مر ببعض القرى وتحركت شاعريته
إشفاقاً على الفلاح. قال:

وَيْلٌ عَلَى فَلَاحٍ مُصْرٍ أَمَا كَفَى
يُغْنِي أَلُوفَ الْمُتَرَفِّينَ بِمَالِهِ
سَبْحَانَ مَنْ شَرَعَ السَّبِيلَ لِحَلْفِهِ
مَا ذَاقَ مِنْ عَنَتٍ وَمِنْ إِرْهَاقٍ
وَيَعِيشُ فِي قَفَرٍ وَفِي إِهْلَاقٍ
أَكْذَا يَكُونُ تَفَاوُتُ الْأَرْزَاقِ؟

أحمد نسيم

١٨٨٠ - ١٩٣٨



شاعر مبدع، من أعلام الشعر الوطني، يمتاز بجذالة الأسلوب، وتدفق المعاني والأحاسيس الوطنية في قصائده، لا يقل شعره رواء وحسن ديباجة عن شعر شوقي وحافظ وأحمد محرم.

ولد سنة ١٨٨٠، واعتنق منذ صباه مبادئ الوطنية، وتجلت مواهبه الأدبية وهو في سن مبكرة، فامتزجت الوطنية بروحه الشاعرية، وتمثت في قصائده الفخر، وأضفت عليها جمالا ورونقا وهاء، وجعلت لها رنيناً موسيقياً يأخذ بجماع القلوب.

سمى (شاعر الحزب الوطني)، واعتز هو بهذا اللقب، وسجله في ديباجة ديوانه الذي ظهر في جزئين سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١٠، وأهداه إلى المرحوم محمد فريد زعيم الحزب الوطني إذ ذاك، قال في كلمة الإهداء:

رئيسي المحبوب

«أما بعد فإنني أتشرف بإهداء الجزء الثاني من ديواني إلى سعادتك لاحتوائه على القصائد الوطنية التي نظمناها ما بين سنتي ١٩٠٩ و ١٩١٠ ميلادية، وقد اعتمدت في نقلها على الصحف التي تفضلت بنشرها مبقياً ديباجتها كما هي حتى لا يغرب عن ذهن القارئ على مدى الأيام وصف الحادث الذي نظمت القصيدة بسببه».

«وإنني إذا أهديت ديواني إلى سعادتك فكأنني أهديته إلى الأمة المصرية التي يمثلها حزبكم الموقر».

أحمد نسيم

شاعر الحزب الوطني

ويعدّ نسيم ثاني الطبقة الأولى من شعواء الحزب الوطني، وأولهم أحمد محرم، وثالث الثلاثة المعاصرين أحمد الكاشف الذي ستتحدث عنه فيما يلي، وجميعهم تبدأ أسماؤهم (بأحمد).

وتبدو مكانة نسيم الممتازة في عالم الشعر من قول إسماعيل صبرى شيخ الشعراء في تقرير
الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٨:

لَكَ فِي الشَّعْرِ يَا (نَسِيمَ) مَعَانٍ بِأَهْرَافٍ تَحَارُ فِيهَا الْعُقُولُ
كُلُّ بَيْتٍ يُطْلَى مِنْهُ عَلَى أَفْهَامِ أَهْلِ النُّهَى مُجِئًا جَمِيلٌ

ولما ظهر الجزء الثانى سنة ١٩١٠ قرظه صبرى أيضًا ببيتين آخرين رقيقين قال:

أَيُّ غُصْنٍ فِي الرَّوْضِ هَزَزَ (نَسِيمَ) تُنْثِرَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْأَزْهَارُ
حَبِذَا شَعْرُهُ الْجَنَى وَأَهْلًا بِبِمَانٍ تُزْفَى بِهِ الْأَشْعَارُ

يؤيد مصطفى كامل في قطع علاقته بالحداد

قال نسيم مخاطبًا مصطفى كامل بمناسبة كتابه إلى الحداد عباس الثانى بقطع علاقته به سنة
١٩٠٤:

خطيبُ الشرق لا تلوى العنانا	فأنت المرء أوقرهم جنانا
وأضام إذا كتبوا مراءا	وأذلقهم إذا نطقوا لسانا
لقد دافعتَ دهرًا عن بلاد	قد افتخرتَ بدمهها زمانا
وكم رُمّت العلاء لقوم مصر	وكنت أشد من فيها جنانا
بقلب عافٍ أرزاء الليالى	كما عافَ المذلة والهوانا



وجائتَ الأمير وأنت تنوى	فمالا لا يكون بها مُدانا
وكم من فُرقة صعبت فهانت	وكم من طارىء أخفى فهانا
فَرَدْنَا مصطفى وازدد ثباتنا	يَزِدُّكَ القوم شكرًا وامتنانا
مدحتك لا لجائزة ولكن	وجدتك خير من عُدَى اليبانا
هدية شاعر ا ظل يُطرى	وودح فيك أخلاقنا حسانا
فكن للشرق ساعده المرجى	تزدك قصائدنا آنا قانا

يهاجم المعتمد البريطاني

ومن قوله سنة ١٩٠٧ مخاطبا اللورد كرومر لمناسبة رحيله عن مصر بعد خطبته التي هاجم فيها المصريين والإسلام:

يا لورد هل لك في الإسلام من غرضٍ	ترمى إليه يسهم منك مستنونٍ؟
هجوَت قومي وما فارقت أرضهم	حق تجرأت أن تتحي على الدين
رأيت أنك لست المرء تصلحنا	ولست فينا على مصر بمأمون
غادرتها وهي للتقرير صارخة	إلى الإله بقلب منك مخزون
فلا رماك الحيا إلا بداجنة	تهمى عليك بزقوم وغسلين

يمجد الشرق ويحزن لحالته

قال يمجّد الشرق ومصر ويحزن لحالتها:

تداعت رواسي الشرق فانهار جانبه	وما هم حتى أقعدته نوائبه
تصاربه الأعداء من كل جانب	ولم يكفهم أن الزمان يحاربه
تحدّ على هاماته شفراته	وترهف فوق الناصيات قواضيه
وحسبك أن الشرق في كل أمة	مآثره مشهورة ومناقبه
تخرج منه الفاتحون لأرضه	فماجت به بطحاؤه وسباسبه
وكم كان للشمس المضيئة مطلقا	أفق معالٍ لا تغيب كواكبه

إلى أن قال:

وما الشرق إلا موطن عثت به	على غرة أبنائه وأجانبه
أضاعوا حتى يجرى التضار بأرضه	وتهمى عليه باللجين سمائيه

يهاجم أسرة محمد علي

وقال سنة ١٩٠٨ مخاطب مصر ويهاجم أسرة محمد علي وهي في إبان سلطانتها:

رئيتك يا أرض الفراعنة الألى	قضوا في بلوغ المجد ما الحق واجبه
ورئت بفضل العلم عزاً ممتعا	فما بات إلا وابن غيرك غاصبه

ولا خير في عرش من الغرب ربه
أفيقى فبا في الجهل إلا مذلة
أنيرى ظلام الشرق بعد انسداله
ولا تقتطى من رحمة الله مرة
وددت بلادي أن تسود بنفسها
ولا خير في مال من الغرب كاسيه
ولا العلم إلا سؤدد عز صاحبه
ف عند طلوع الشمس تجلو غياهبه
إذا شيم من برق انخدالك خاليه
لاكتب فيها خير ما أنا كاتبه!

يدعو الأمة إلى الجهاد

ومن قوله سنة ١٩٠٨ يدعو الأمة إلى الجهاد والذود عن حقوقها واستقلالها:

هلم ندافع جهدنا عن بلادنا
كذلكم الرئال تمرره سورة
ومن فقد استقلاله عاش هينا
هلم نخض غمر الصعاب إلى العلا
عسى يسعد الجبد الذي مال نجمه
ألم نك كالليونان أهلاً لمجلس
ألم نك كالبغار والصرب في المجا
ألم نك أرقى من ممالك لم تقم
أليست بلاد النيل أول أمة
علوم وأخلاق وفضل وهمة

وقال يفند مطاعن كرومر على المصريين:

فحشام ذياك العميد ينوشنا
قطورا يعادينا بتقرير كاشع
وباليتنه رد الدليل بمثله
إذا عجز المقهور عن قهر خصمه
بناجذ سرحان وظفر عقا
وطورا يناوينا بنشر كتاب
وخفض من طعن له وضراب
لدى البطش لم يلجا لغير سياب

يرثى مصطفى كامل

وقال سنة ١٩٠٨ في رثاء مصطفى كامل من قصيدة تزيد على ستين بيتا:

ما بال دمعك لا هام ولا جارى
هل اكتفيت بما في القلب من نار؟

جُفَّتْ دموعك من عينيك واستترت
ضاع الصواب ونفس المرء ساهمة
فيها لواعج أحزان وأكدار
ما بين أفضية تجرى وأقدار



يا طائرَ الين لا قرِّبت من سكني
نعيتَ خير فتى كنا نؤمله
ولا هدأت بأفنان وأوكار
فلمرح الذنب ما شاءت مهانته
يوم الرجاء لأوطان وأوطار
لا أيسد الله أعداء أذلُّهم
فقد غفَّت عنه عينُ الضيفم الضاري
حق أقاموا بدار الذل والعار



يا بائع الصبر إن الناس في جزع
ما زال يدأب حتى خافه قدر
فيح لهم كل مثقال بدينار
ألقي عليه عصا دأب وتسيار

وقال يصف الجنابة واحتشاد الجموع فيها:

أعزَّزْ على حامله فوق أعينهم
كأنما النعش عرش زانه ملك
أن يرجعوا بأكف منه أصفار
كأنما الناس حول النعش مائجة
يشي الهوينا بإحلال وإكبار
فلو يعدُّون ما أوفى بهم عدد
أمواج مضطرب الآذَى زغار
كصيب القطر لا يحصى بمقدار
كأنما لجب الباكين من هلع
هزيم رعد أجش الصوت هذار
كأنما الأرض قد سدت طرائقها
بالناس من ثابت فيها وسيار

ومن قصيدة أخرى له سنة ١٩٠٨ في رثائه:

أسل نأى عن أرض مصر وزالا
يسا نائثا عنا وكت محسدا
أضى القلوب وقطع الأوصالا
سدت إليك يد المنون فأنشبت
فينا كما كنت الشريف فعلا
بقلوبنا قضا لها ونصلا

إلى أن قال:

إننا سنبقى ذكر فضلك خالدا
قد كنت أفضل من ينود لسانه
لنكون في صدق الوفاء مثالا
فليسقي شوبوب الحيا لك موحشا
عنا وأصلق من يقول مقالا
قد ضم مجدا بينه وجلا

يؤيد فريداً في جهاده

قال سنة ١٩٠٨ مخاطباً محمد فريد رئيس الحزب الوطني مؤيداً له في جهاده :

إجهر برأيك إن الحق قد غلباً	هذا يراعك يحكي السيف ما كتباً
أرى المضلين قد زأغت بهائهم	ومن يظن الدجى صبحاً فقد كذباً
يسر في طريقك لا تحفل بمنهم	ولا يمزك مغرور إذا غضباً
لأنت ترجو افتقاراً منهم نشياً	ولا تؤمل من إحسانهم رتياً
لازلت بالحق بين القوم تخنم	حتى تراهم وكل في الوغى هرباً
فاهزم كتائبهم واقلل مضارهم	واسلل يراعك واكتب عنهم السجياً

يندد بوزارة مصطفى فهمي

وقال في نوفمبر سنة ١٩٠٨ يندد بوزارة مصطفى فهمي على أثر سقوطها، وكانت موالية للاحتلال :

ما للوزارة ذات الضعف والفشل	باتت على دارس أعفَى من السطل؟
وزارة بلغت بالوهن غايتها	في كل نائبة أو حادث جلت
ترحلت غير مبكى على أحد	وودعت غير مأسوف على رجل
إن زال مجد الفتى أو زال منصبه	فذكره بعد في التاريخ لم يزل
يا هيئة الصم يبي غير راجعة	إلى جمودك في أيامك الأول
وزارة مالها في الخير صالحة	ولا على صولة الأيام من قبيل
كانت تماثيل بين القوم قائمة	<u>بلا لسان ولا قلب ولا عمل</u>

يندد بالخنديو عباس

وقال في ديسمبر سنة ١٩٠٨ حين تكرر الخنديو عباس الثاني للحركة الوطنية، وحيل بين جموع الشعب والأقتراب من موكبهِ لمطالبته بالدستور :

خطوب ما لها أبداً نصير	وأمر حل في مصر خطير
لئن كُهرت حياة الشعب يوماً	فخير لو فتحت القبور

أيساربُ الأريكة قد رضينا
وهيّا نطلب الدستور جهرا
أغيرك في الملوك وأنت أدرى
فهل خدعتك في البهتان ناس
بأنك لا تُزار ولا تزور
ألا يرضيك ذِئكَ الشمور؟
له شعبٌ على البلوى صبور؟
أرادوا أن يسوء بنا المصير؟
ويكسى من عواقبها الخبير)

يمجد الوطنية في رأس السنة الهجرية

وقال سنة ١٩٠٩ في الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية (١٣٢٧) الذى أقامته لجنة الحزب الوطنى الفرعية ببولاق مدرسة الشعب يمجّد الوطنية ويخطب فريداً:

قد مثلوننا في التعصب مثلاً
كذبٌ قد أبتدعوه حتى ما لم
بأن الضلال من الهدى وبدا لنا
يا أمة ثبتت على كيد العدى
سيرى إلى طلب (الجللاء) والاتق
أفريد لا تحفل ببلادك بعدما
هذى الشبيبة قل لها لا تحجمى
لك من يراع الكاتبين صوارم
ترمى العداة إليك سهم سمومها
دعهم كما شاموا ليوم حسابهم
إننا قد اخترناك خير مدافع
قد شامت الآثام والأوزار
في مصر إلا الكيد والإضرار
في منهج الحق القديم منار
لا تجزعى إن الثبات فغار
تمنح من العلياء ما نختار
جمعت لديك أولئك الأنصار
ما في ثبات المقدمين شئار
ولديك منهم جحفل جرار
وينود عنك الواحد القهار
فلهم كما شاء الهوى أطوار
يرضى به الرحمن والمختار

وفي سنة ١٩١١ ألقى قصيدة أخرى في تحية السنة الهجرية (١٣٢٩) بالاحتفال الذى أقامته الطلبة لهذه المناسبة بدار التمثيل العربى يوم أول يناير سنة ١٩١١، وقد حضره المرحوم محمد فريد، وأشار الشاعر في مطلع قصيدته إلى ما أصاب الحركة الوطنية من اضطهاد في العام السابق. قال:

تجلىّ العام فاستجّلوا الهللا
سأطريه متى عزّت بلادى
فإنى شمتُهُ للسعد فالأ
وقد رُزقت كما رُزق الكمالا

وأمدحه متى قمنا بمصر
فأما والبلاد وساكنوها
فلمست بناظم فيه قريضا
ولا أنا قائل فيه مقالا



إلا نطالب الأعوام خيرا
تمر وتنقضى منها ليال
وتلك بمالك الإسلام كانت
فلست أخصها بالذكر عنا
ولم تنعم لنا الأعوام بالآ
بأرزاء الزمان غدت حبال
صروف الدهر تحلها خيال
ونحن من البلاء أشد حالا



أيما عاما تقضى بشئ سهم
فقالوا هل صروف العام كانت
هجوم لو رَشَقَتْ بها فؤادا
لقد حملتنا للضميم عبثا
وقد أجريت مع القوم حتى
ولولا ذكر أحمد^(١) كل عام
رمت به الفوائ والرجالا
نزاعا قلت بل كانت نزالا
لكانت في جوانبه نبالا
ثقيلا لا نطبق له احتمالا
كأننا كلنا قوم ثكالي
لما صَغَفْنَا لك الذكر الحلالا

المضى في الجهاد

أرى فِرْقًا قد افتقرت بمصر
أناس أخلصوا من بعد زنج
وأقوام قد أرتدوا جهارًا
وقال الناكسون كفى غلوا
خلائق في الكارم لم يلدوا
أولئك عصبة بالمخزى يلبوا
ورامت عن أوامليها انفصالا
وثابوا بعد أن ألفوا الضلالا
فساموا في عواقبهم مآلا
والأ ذقتهم منه الوبالا
يميننا للفعال ولا شمالا
قسَمُوا المخزى والمجن اعتدالا

وقال يخاطب الشباب:

أنابهة البلاد وغير نشه	غَنَوَا للنشه بعدهم مثالا
عليكم بالإخاء ولا تَقَلُّوا	عري القُرْبَى فتتخذلوا انخذالا
سيندب حظه الوطن المَفدى	إذا لم تحسنوا عنه النضالا
فجندوا في علومكم صفارا	ولا تشكوا السَّامة والكلالا
فمن رام الكواكب والدرارى	بلا علم فقد رام المحاللا
وإن صرتم رجالَ النيل يوما	فلا تنسوا بربكم القتالا
وفودوا عنه ما اسطعتم برأى	حصىف واجعلوا الحسنى جدالا
وما زال الرئيس ^(١) لكم كفيلا	على رغم الخطوب ولن يزالا
وكونوا للأجانب خير عون	تزيدوا عروة الود اتصالا
إذا عشتم وإياهم بخير	مَحْصُوتَم عنكم قبيلا وقالا
لقد أوجزت خيفة أن يقولوا:	نسيم في قصيدته تغالى

الجهاد في سبيل الدستور

وقال يستحث الأمة على طلب الدستور وعلى الاتحاد والثبات في ميدان الجهاد:

فلاتفكوا عرى القُرْبَى ولورجعت	عنكم شفار الظبا مخضوبةً بدمر
ولاتضيّعوا من الدستور فرصته	فتقرعوا السنَّ من ذلٍّ ومن ندم
إن تياسوا فانتهاه اليأس مسكنة	أوتساموا فاحتمال الذل في السأم
ما نال قط المصائب وهي دانية	قسومٌ نيامٌ وشعبٌ غير ملتئم
خيرٌ لنا الموت من عيش نكابده	مع المهوان إذا كنتم ذوى شمم

ذكرى مصطفى كامل

وقال في فبراير سنة ١٩٠٩ في ذكرى مرور العام الأول على وفاة مصطفى كامل، وقد ألقى

(١) يريد الزعيم محمد فريد وكان حاضرا الاحتفال وكانت النهاية الصلبة قد استعصت لاستتجوابه في تهمة صحفية بالطلق، ثم أحالته إلى محكمة الجنايات، وقد حوكم فعلا وتقتض عليه للمحكمة ظلا في ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالمجلس ستة أشهر.

هذه القصيدة في دار اللواء بين يدي محمد فريد وأعضاء الحزب الوطني قبل أن يتحرك موكب الذكرى بالسير:

ما بال عينك بالمدامع تسجُم
قد عادت الذكرى فجندَّ عودُها
يا يوم كامل كنت يومًا قائمًا
يا يوم لا كانت طلائعك التي
ورقًا بنفسك فالقضاء محتم
بين المتأجرحا يشور فيؤم
كالليل أقيل وهو أسود أقم
بالنحس أنذر وجهها المتجهم
وغتمها بقوله مخاطبا محمد فريد:

أفريدُ يا ابن الأكرمين تحيةً
أفريدُ يقرئك السلام معاتُرُ
حصنت بيضتهم وصنت ذمارهم
ركبوا مطايا الحزم نحو رئيسهم
من شاعر العقود مدحك ينظم
مدوا إليك يد الولاء وسلموا
بمزجة قد أصفرت ما استعظموا
فالرأى في بعض المواقف مخنم
إذ أنت بمنهم الأجل الأخرم
فماضرب برأيك في مواقف جمة

يهاجم الاحتلال في إبان سلطانه

قال سنة ١٩٠٩ من قصيدة يحمل فيها على الاحتلال ويفضح نكته بعهوده ويستنهض الهمم للجهاد، وقد بدأها يستصرخ الإنسانية لتمد إلى مصر المكافحة يد العون والتأييد وهي من عيون الشعر الوطني:

يا نائشرين لواء العدل في الأمم
مُلُّوا إلينا يدا بيضاء نشكرها
إننا مُنينا بأقوال جبابرة
لو استطاعوا لساقونا أمامهم
جاءوا إلينا وفي أيماهم سرف
قالوا لنا: إننا جتتا بلادكم
حتى تحذرت الأعصاب واتسدت
ولم يزلوا على هذا الدعاء وهم
الله في أمة أنت من الأكر
عند التحدث شكر الروض للديبر
ما بين مفتصب منهم ومحتكم^(١)
ما بين متهم منا ومحترم
يموهون به في العهد والقسم
نفي لكم ركن مجد غير منهم
على القول سجوف البطل والوهم
لا يقصدون سوى الإخاء للهمم

حتى إذا انتبهت منا جوارحنا
حَكُوا القلوب فأذكروها ورثنا
فلا عهد لهم ترعى ولا نهم
صَبُوا على مصر سَوَطا من تعنتهم
هم أخرجونا بهذا الضيم من زمن
وأدرك الحال فهمُ الخائفِ الضيم
أتى إلى النار حاكَّ البارد الشيم
كما استباحوا الدين النكت في النهم
وأججوا في حشاها جَمْرَ يَشِيم
فلن همنا بدفع الضيم لم نلَم



يا قاتمين بأمر النيل حَسْبُكم
تاموا هنيئا قريرى العين أن لنا
ما أخرج القوم من ظلم ومن غشم
عَيْنًا من الشعب لم تغفل ولم تتم

وقال فيها يدعو الشعب إلى الاعتماد على نفسه:

أَنْتَ يا شعب وادى النيل كن حَكِيما
كم أمة حكمت في مصر وارتحلت
سَلَّ أمة الروم هل أبقت لنا أثرا
مضوا ولم يتركوا في مصر مأثرة
هذى عجائب هذا القطر من زمن
فليس غيرك من مستصنف حكم
عنها حليفة جد بعد لم يقيم
يبقى على الدهر أو سَلَّ أمة العجم
ينيبك عنها لسان النيل والمهرم
وتلك حالات وادى النيل من قدم

يحيى جريدة العلم

قام في سنة ١٩١٠ خلاف على ملكية (اللواء) بين بعض وروثة المرحوم مصطفى كامل، طرح أمره أمام القضاء، وعين حارس قضائي على اللواء، وكانت صحيفة الحزب الوطني، وأراد المحارس أن يتدخل في تحريره وتوجيه سياسته، فرفض المرحوم محمد فريد هذا التدخل، وأنشأ جريدة (العلم) وجعلها لسان حال الحزب الوطني، وابتدأ ظهورها يوم ٧ مارس سنة ١٩١٠، فحيها نسيم بقصيدة بدعية، قال:

أَلَا فليخفق (العلم) الجديد
أياعلم البلاد عليك منى
أرى الأعلام معلقها بناء
يسربك خير الأقوام عنى
يمينا إن طالعه سعيد
سلام الله ما خفقت بنود
ومحلك الجوانح والكيدود
بماتوى الوزارة والعميد^(١)

(١) وزارة محمد سعيد والعمد إدوين جوردن معتمدا برطانيا.

رَفَعَتْ لَنَا وَيَالْأَبْصَارُ شَكَ
فَجِئْنَا مِنْ لَدُنْكَ بِكُلِّ قَالٍ
وَأِنْ كُنَّا نَرَى الْأَعْلَامَ شَقَى

مِنْ الشَّبَهَاتِ وَالْأَيَّامِ سُودُ
تَحْدَاهُ التَّيْمَنُ وَالسَّعُودُ
فَأَنْتَ وَرَبُّكَ الْعَلَمُ الْفَرِيدُ

* * *

أَيَا(عَلَمَ) الْبِلَادِ أَرَى احْتِلَالًا
أَصْرًا عَلَى الْجَفَاءِ وَنَحْنُ شَعْبٌ
وَكَمْ مِنْ جَنْوَةٍ فِي الْقَلْبِ شَيْتٌ
فَقُلْ لَهُمْ أَتَيْسِرُوا كُلَّ عَسْفٍ
مَنْ يَنْأَى احْتِلَالِ التَّيْلِ عَنَا
قَضَوْا فِينَا بِمَا شَامُوا وَصَدُّوا
لَقَدْ فَرَحُوا بِمَا أَوْتَرُوا فِجَارُوا
ضُرُوبٌ فِي الْمَكَائِدِ يَوْمَ تُحْصَى
وَكَمْ وَدَّ الشَّقَاءُ لِأَهْلِ مِصْرٍ
مَكَائِدَ يَفْزَعُ التَّارِيخُ مِنْهَا

كَأَنَا عِنْدَهُ نَفَرٌ عَبِيدُ
أُخْزِرَ بِهِ التَّعَسُّفُ وَالْوَعِيدُ
فَلَمْ يَدْرِكْ تَأْجِجُهَا الْخُمُودُ
فَرِيحُ الْعَاسِفِينَ لَهَا رُكُودُ
وَتَصَدَّقْ مِنْهُ هَاتِيكَ الْوَعُودُ؟
كَمَا رَامُوا فَهَلْ نَقَعَ الصَّدُودُ؟
وَلِلْبَاغِي إِذَا عَقَلُوا حُدُودَ
عَلَيْهِمْ لَيْسَ بِحَصِيهَا الْعَدِيدُ
كَأَمْ شَقِيتَ بِظُلْمِهِمُ (الْمُنُودُ)
وَيَصْدَفُ عَنْ إِعَادَتِهَا الْمَعِيدُ

* * *

أَقُولُ الْحَقُّ لَا أَخْشَى انتِقَامًا
أَنْ أُنَّ الْمَضِيمُ فَقَالَ رَفِيقًا
إِذَا مَلُّوا حَبَالُ السُّوءِ يَوْمًا

يَهْمُ إِلَيْهِ (طَاغِيَّةً) مَرِيدُ
تُشَدُّ لَهُ السَّلَاسِلُ وَالْقَيْودُ؟
فَلَنْ أَفَّ يَوْمُئِذٍ شَهِيدُ

* * *

أَيَا(عَلَمَ) الْبِلَادِ إِلَيْكَ تَمَرًا
وَدُونِكَ عَقْدُ نَظْمِي مِنْ جَانٍ
يُرِيدُ الشَّامِتُونَ بِنَا نَكَالًا
فَكُنْ فِي الْحَقِّ مِثْلَ الْحَقِّ يَمْضِي
وَلَا تَتَّبِعْ هَوَاهِمَ بَعْدَ عِلْمٍ
فَلَيْسَ بِنَاقِعٍ فِيهِمْ رِشَادُ

تَرَدَّدَ التَّهَائِمُ وَالنَّجُودُ
وَمَنْ دَرَدَ يُقَالُ لَهَا قَصِيدُ
(وَيَأْيُ أَفَّ إِلَّا مَا يَرِيدُ)
يَكُنْ لَكَ يَتِيمٌ بِأَسْ شَدِيدُ
يَضْلُوا فِي الْخَوَالِدَةِ أَوْ يَزِيدُوا
وَلَا مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ رَشِيدُ

إلى الزعيم محمد فريد في سجنه

في سنة ١٩١١ حوكم الزعيم محمد فريد أمام محكمة الجنايات بتهمة أنه حيّد الجرائم وأهان الحكومة إذ كتب مقدمة لكتاب (وطنيتي) الذي تضمن قصائد نظمها الأستاذ على الغاياني، ومع أن هذه المقدمة كتبها الزعيم دون أن يطلع على محتويات الكتاب وقيل أن يتم المؤلف وضعه ثم سافر الزعيم إلى أوروبا في مايو ولم يظهر الكتاب إلا في شهر يولييه، وليس في المقدمة ما يقع تحت أي نص من قانون العقوبات. ومع ذلك فقد أقامت عليه النيابة الدعوى العمومية، وكان الفرض من محاكمة إرهابيه وتهديد أنصاره واضطهاد الحركة الوطنية، وقد حكم عليه في ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالسجن ستة أشهر في هذه التهمة الباطلة، ونفذ فيه الحكم يوم صدوره.

فنظم أحمد نسيم قصيدة من روائع الشعر الوطني بعنوان (إلى الرئيس في سجنه) حيّاه فيها أبلغ تحية، وعبر عن الشعور العام بإزائه أصدق تعبير، قال:

فأصبرُ على المقدور ستة أشهر	يأليتُ سجنك لم يكن بمقيدٍ
بعض الرثاء وأنت لما تقبر	قد جلّ رزةُ التعمر حتى خلّته
لجعلته مثل الشواظ الأحمر	لولا احترام الحاكمين وحكمهم
أمقصرا أم كنتَ غير مقصر ^(١)	أقصرت في ما قلتَ حتى لم تسَلْ
بالمئزّه المشهور أو بالأنهَر	وتركت أقيال الذفاح فلم تمن
من أكبر يظا الثرى أو أصغر	يكفيلك عطفُ العالمين ووجدهم
وتزلزت أرض (الصفاء) و (المشعر)	حتى لقد ماد (البقيع) و (يثرب)
رب المحامد والعلا والمفخر	التأع قلبُ (محمد) لمحمد



فظننتُ أنك واقف في المنبر	إني نظرتك في اتهامك واقفاً
يلوأكبا بين اللّلى المتسّعّر	لتقول شعبي أو بلادى إننى
خلف الشباك جلوس من لم يُذعر	ولقد رأيتك جالساً مستبطلا
فهى العرين وأنت أجراً قسور	فرايتُ في هذا الشباك معائيا

(١) يشير إلى إيجاز التقيد في جواره على أسئلة المحكمة وعدم استماتته بمحاميين للدفاع عنه إيماناً منه بطلان التهمة وتحمدا للوزارة التي اتخذت شكل المحاكمة.

ولقد لحتك ماتميا في ثُلَّة
فَسَأَلْتُ هَلْ هَذَا الْمَسُور «خَالِد»
تَعَثَّرَ بَيْنَهُمْ بِقَدْرِ أَوْفَر
أَمْ «جَوْهَر» يَحْتَالُ بَيْنَ الْعَسْكَر

* * *

أَفْرِئِدْ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ نَحْمَةً
فِي مَصْرٍ قِسْمٍ نَاوَأَوْكَ بَشَرَهُمْ
ذَكَرُوكَ فِي حُبِّ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا
لَوْ كُنْتُ مِنْ تَاجِرُوا بِضَمِيرِهِمْ
أَوْ كُنْتُ مِنْ يَطْلُبُونَ مَرَاتِبَا
وَسَبَقْتُ أَجْرَامَ السَّمَاءِ وَقَتَهَا
مَنْ شَاعِرٍ بِسَوَى الْأَسَى لَمْ يَشْعُرْ
فَارْدَدَ مَكَائِدَهُمْ إِلَيْهِمْ وَأَنْحَر
مَا قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ إِنْ لَمْ يُذَكَّرْ؟
لَلْعَيْتِ لَعِبَا بِالنَّضَارِ الْأَصْفَرِ
لَشَأَوْتُ فِي الْعِلْيَاءِ نَجْمَ الْمُشْتَرَى
مَنْ مَظْلَمٌ فِي ذَاتِهِ أَوْ نَعِيرٌ

* * *

أَ (مُحَمَّدُ) كُنْ فِي التَّوَائِبِ ضَيْقًا
إِنَّ بَتَّ أَنْتَ مِنَ الْقَوَادِحِ جَازِعًا
أَشْرَقَ لَعَلَّكَ بَيْنَ سَجْنِكَ مَشْرِقًا
فَالشَّعْبُ بِعَدِكَ يَاتُ يَنْتَجِعُ الْمُلَا
أَنْعَمَ بِمُؤَدِّكَ الْعَظِيمِ وَمَرْحَبَا
أَعِزَّزْ عَلَيْنَا يَا ابْنَ «أَحْمَد» حَالَةً
مُسْتَجْمَعَا لِلطَّارِئِ الْمُتَنَمِّرِ
مَا فَضْلُ مُقْتُولِ الْفِرَاقِ غَضُنْفَرًا؟
تَهْدِي سَبِيلَ الطَّارِقِ الْمُتَنَوِّرِ
وَعِدَا مُنَاهُ وَرُودَ هَذَا الْكُوْثَرِ
بِكَ مِنْ كَرِيمِ الْأَصْلِ زَاكِي الْعَنْصَرِ
جَاءَتْ بِعَيْشٍ بِالْهَلْمُومِ مَكْنَدَرِ

* * *

فَكَأَنَّهُ بَثْرٌ يَحْجِبُ نُورَهُ
أَوْ حُرَّةٌ مَكْنُونَةٌ فِي زَاوِيَةٍ
أَوْ زَهْرَةٌ فِي حِجَابٍ خَفِيفٍ ذُبُولُهَا
أَوْ نَاطِرٌ غَمَضَتْ عَلَيْهِ جَفُونُهُ
أَوْ أَنْتَ سِرُّ الْكَائِنَاتِ مُحْجَبٌ
ظُلُمَاتُ غَيْمٍ فِي السَّمَاءِ كَنُحُورِ
أَوْ دُمْعَةٌ مَحْبُوءَةٌ فِي مَحْجَرِ
وَضِياعٍ نَفَحَتْهَا إِذَا لَمْ تَسْتَرْ
حُزْنَا عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِي وَالْعَشِيرِ
أَوْ بَعْضُ مَكْتُونِ الْقَضَاءِ الْمُضْمَرِ

* * *

إِلَى أَنْ قَالَ:

أَمَحَمَّدُ مَا أَنْتَ أَوَّلُ مَيِّتَلٍ
يَا فَادِمَاتِ مِنَ الزَّمَانِ الْأَكْدَرِ

إني عهدتك خير من يمدى الورى
فاشهر لدى الأهوال عزما صادقا
ما الناس إلا اثنان ذاك ميسرر
جل الإله فقد أرانا علمه
بانى مراحمه بأكمل رونق
لولا الفؤاد وما أصاب دفينه
لولا مراس الداء صفت قصيدة



عفوًا رئيس المخلصين فإنى
قد جئت أزجى فى القريض خريدة
عطرية فيحاء طوراً عن شذا
فيها معان صاغها لك مبدع
فاخلع عليها من خلالك نفحة
لى فيك ملء الحافقين لآلىء
فعليك منى ما حييت تحية

ما رمت إلا جل عقوك فاغفر
قد بات يحسنى عليها (البحترى)
ورد وطورا عن أريج العنبر
جم البيان خياله لم يحصر
حق تضوع بتفح مسك أذقر
زهر تبيع بها الرواة وتشترى
وسلام كسرى فى الملوك وقيصر

يحىى الوحدة الوطنية

قال سنة ١٩١٩ يحىى الوحدة الوطنية والتأخى بين المسلمين والأقباط:

أقباط مصر ومسلموها ضمهم
الناشطون على الطهارة والتقى
والخالدون إلى السكينة كلما
يسرح الخفاء ويأن أئامه
إننا لنرجو أن نميش بغبطة
دين المسيح وشرعة الإسلام
والقائمون بمصر خير قيام
جاء الزمان بشدة وعرام
لم تسوغ غير محبة ووئام
نوحى السلام وتنتهى بسلام

يرثى فريدا

قال سنة ١٩١٩ من قصيدة فى رثاء محمد فريد:

رمانا الزمان بإحدى الكبير
ومنه العظاات ومنه العبرا

رماء القضاء بها والقدر
كسرب النجوم فقدن القمر
ولم تسترح من عناء السفر
وورد الردى ماله من صدر
ولم يحفظها عند من الكبر
ولم يبق إلا اجتناء الثمر
فقال من العيش أقصى الوطر؟

شهيد تصارع في حومة
وخلف من بعده أمة
أتى جثة سافرت لليل
منى أودقته حياض الردى
تعلقها عند سرخ الصبا
وأيتع في رومها غرسه
وأى امرئ عاش أقصى المدى



إلى أن قال:

وطوي لحى وعى وأذكر
فقد حصدت كفه ما يذر
وأطبقتها بعد طول السهر
فأدى الحقوق وأسدى اليد
لكل ضريك إليه افتقر
فهان على نفسه ما ادخر
يرى المال يفتى وتبقى السير
إذا نزل القير لا ما يذر
بأى فصاح كآى السور
كمن شاع صيب له وانتشر
على صفحات العلى مستطر
وألس من فرق جمع نثر
فكم من جواد كبا أو عثر
فياقى الفجائع حتى ضر
كوارث كاسرة للفقير

هنيئاً لميت نعتة العمل
وحسب فريد منى نالها
فتى أغمض الموت أجفانه
أفاض على قوم ماله
طويل نجاد الجدى عائل
رأى المحرص عارا على نفسه
وكان بصيرا بحقيقى الندى
وأخلد ما لفتى ذكره
وكم صامت ناطق فى الثرى
وليس الذى ذكره خامل
وليس يبيت أغر اسمه
خطيب الثاير منطيقها
فإن يك يوماً بضمارة
وما زال ينهب فى عدوه
وحق دهنه بأعناتها

وختمها بقوله:

وأودى «فريد» حميد الأثر

أرى «كاملا» راح فى شرخه

زعيما بلاد خلت منها، عزاء العلا عنها أمة
 وشعب سعى نحو آماله وما من ضعيف القوى واهن
 «أبو بكر» مات وولى «عمر» تنادت لتجديد مجد دثر
 بعز توقد حتى استعر تشبث بالحق إلا انتصر

يحیی جریة الأخبار

قال سنة ١٩٢٠ يحیی المرحوم أمين الرافعی لمناسبة إصداره جريدة الأخبار:
 ياوحى أسعفى ينظم قلادة هذا (أمين الرافعی) ومن له
 يا (رافعی) لأنت أصدق مخلص جرد يراع المخلصين وند بها
 واحذر على (الأخبار) من آفاتها اليوم هنأت البلاد بكاتب
 صيغت لألثها من الأشعار خير السجایا الفرّ والآثار
 للتبيل في الإعلان والإسرار بطش القوى وصوله الجبار
 إن (الرواة) لآفة الأخبار ملكت يدها صحيفة الأحرار

يندد بالانقسام ويدعو إلى التآخي

وقال سنة ١٩٢١ حين استند الانقسام بين سعد وعلى وأتصارهما، يندد بهذا الانقسام ويدعو إلى توحيد الصفوف:

قالوا انقسمنا فقلنا فتنه عمّ ولم تكن غير جيش راكب طرفا
 حق يرفّ لواء الفوز منعقدا وكيف تُقسّم والتاريخ ينبتنا
 فحاذروا أن تحلوا عقد شملكم ونظموا ما استطعتم من صفوفكم
 ولا أحدثكم عن إرثكم عجبا بها قفل مواضي المزم والمهم
 شق المسالك من سهل ومن أكم على الزمان بحق غير مهتم
 أن الفلاح لشعب غير منقسم فتقرعوا السن من حزن ومن ندم
 فالجيش إن يقره الإخلال ينهزم فمنه كان بزوغ المجد والكرم



والمجد يدرك بالأعمال منجزة لا درك المجد بالألفاظ والكلم



أحمد الكاشف

١٨٧٨ - ١٩٤٨



من الرعيل الأول من شعراء الوطنية، ولد سنة ١٨٧٨ بالقرشية من بلاد مركز السنطة غربية، وهو ابن المرحوم ذو الفقار الكاشف، وجده من ضباط الجيش المصرى الذين خاضوا غمار المصارك فى عهد محمد على، تلقى علومه الأولية فى منزل والده بالقرشية، ثم التحق بمدرسة الأقباط الابتدائية بطنطا حتى استوفى دراسته، ثم عاد إلى بلده وأقام فيها، ومالت نفسه منذ صباه إلى الشعر والأدب، وكان الشعر طبيعة له وسليقة، فكشف على المطالعة وأكب على كتب الأدب ودواوين الشعراء المتقدمين يدرسها ويستوعبها، فصاحكهم فى الأسلوب

والبلاغة، واتجهت نفسه إلى نظم الشعر فى المعاني الوطنية، فجدت قريحته بشعر وطنى من الطراز الرفيع، ووقف حياته على هذا اللون من الشعر، وعاش عمره عيونا أبيا، معتكفا فى بلده (القرشية)، وفى ذلك يقول عن نفسه:

ولقد تحاشيتُ المدائن زاهداً وبددت أطلب وحدةً وسكوناً
لا أرتضى غير الطبيعة مأثراً والذكر كأساً والقريض خديناً

وله قصائد عصاء نظمها فى مختلف المناسبات، وعبر فيها بأبلغ تعبير عن أحاسيسه ومشاعره الوطنية، وظل وفياً لمبادئه طول حياته، وتألق شعره فى سماء الأدب والوطنية، وبلغ النروة فى هذا المجال.

اتفاقية السودان

قال عن اتفاقية السودان التى أكرهت مصر على إمضاها سنة ١٨٩٩ على أثر انتصار الجيش المصرى فى السودان.

انتصرنا وما الذى قد جئنا ؟ من النصر بعد طول العناء ؟

ماجتينا سوى (الوفاق) جزاء
وإذا شارك الضعيف قويا

إن هذا الوفاق شرّ جزاء
في منال فحظه كاهلباء

الجندي في المعركة

وطنى أنت الحبيب الدائم
وغرامى بك طبع لازم

لك أسعى دائياً مجتهدا
لأبالي في طريقى أبداً

وطنى أفديك بالروح إذا
وأرى اللئنة في دفع الأذى

دمت يا نهل أبرّ الأنهر
دمت تجرى يا شبه الكوثر

دمت يا صحراء ميدان الجنود
مظهرها للباس من بيض وسود

لك في قلبي المقام الأشرف
سرتنى أنى به متصف

برجاء ثابت مقتدر
طال ليل أو ندى سهري

مسك الدهر بسوء لا يطلق
عنك بالنيران والبيض الرقاق

بنفوس كم رأت منك وفاة
مُهَيَّئِ الوادى هناء ورخاء

بين قطريك اللذين اتحدا
بضمن النصر لنا والسودا

قصيدته في اللورد كرومر سنة ١٩٠٧

لما رحل اللورد كرومر عن مصر على أثر حادثة دنشواى، شيعه الكاشف بقصيدة نُذِّد فيها
بطفيانه وجبروته، قال:

أعيا عزائمك القضاء الأغلب
أرأيت كيف يُفاجأ السباق في

وليت تملو في زخارف مخلص
غافلتهم حيناً فلم يَتلَفُوا

وطوى صحيفتك الزمان القلب
غاياته ويقاطع التوثب

للقوم تخفى ما اعتزمت وتحجب
إلا ونائبك فيهم والمخلب

وذكر حادثة دنشواى وكيف فرح المصريون بإقصائه عن منصبه:

وختمت عهدك بالنزى اهتزت له
وتنفس الصعداء شعباً حاملاً

ماذا كسبت وأنت عنا راحلاً
أركان (مكة) واستعادت (يثرب)

هنا يضيق به الفضاء الأرحب
إلا الجفاء وبش هذا المكسب

ينذر الإنجليز

وقال مخاطب الإنجليز وينذرهم سوء العاقبة:

قلدتكم الرومان في استعمارهم هلاً ذكرتكم منتهى الرومان؟
اليوم سؤددكم وسؤددنا غدا كم أدرك المتصادى المتوافق
رحماك فينا لتذكركم إذا دار الزمان وحالت الحالان
إننا لنترجو من بنينا عنةً لا عنة الجيران والضيفان

يندد بوزارة مصطفى فهمى

قال في أبريل سنة ١٩٠٨ يدعو وزارة مصطفى فهمى إلى الاستقالة، وكانت بقيضة إلى الشعب:

أفى كل يوم يشهد النيل نابها يعيش فترجوه ويُقضى فتجزع^(١)
وليس لكم في موسم الحى مظهر وليس لكم في ماتم الميت مفرع
لقد شمتت تلك الكراسى مكثكم فهلا شعرتم وهي تشكو وتضرع^(٢)
وهلاً اعتزلتم منصباً لا ينيلكم من الأمر إلا أن تذلوا وتقصعوا؟
أخاف عليكم أن تموتوا وأنتم أضر من العادى علينا وأشنع
فإن شئتم أن يعفو النيل عنكم ويكبركم أبناء مصر ويرقصوا
فخلوا وزارات البلاد لأهلها إذا أردد الجبار لم يتزعزعوا
إذن لرأيتم ما رأى من كرامة ومرحة ذاك الشهيد المشيع^(٣)

يمجد الفلاح ويمدحه

وقال يمدح (الفلاح المصرى):

إذا استيقيت في الدنيا حبيبا فخير أجبق فلاح مصر

(١) يشير إلى مصطفى كامل وقد تولى في فبراير سنة ١٩٠٨.

(٢) مكثت وزارة مصطفى فهمى تولى الحكم ثلاثة عشر عاماً من نوفمبر سنة ١٨٩١ إلى نوفمبر سنة ١٩٠٨، وكان عهدا خضوعاً وتسلياً للاحتلال البريطانى.

(٣) يشير إلى مصطفى كامل.

كريم يملأ الوادى ثراه ولا يلقى سوى الإجحاف أجرا
 فقير ما أراه شكا افتقارا ولو يجزى على تمب لأثرى
 فمحرث يشق الأرض عندي ويخرج من ثراه الخصب تيرا
 كسيف في يد الجندي لاقى به جيشا وجننا مُشمخرا

صلته بمصطفى كامل

كان الكاشف صديقاً ونصيراً لمصطفى كامل، وكان لدعوة الزعيم وتعاليمه صداها في قصائده، وكان مصطفى يقدره ويحب به ويسميه (شاعر الحرية النابغة)، وكثيراً ما كان هو يردد كلمات مصطفى كامل ومعانيها ويصوغها في قالب شعري رفيع.

قال عن صلة الخطابة بالشعر:

ولئن هزرت العالمين فإن من تلك الخطابة هذه الأشعارا

وقال يردد كلمة مصطفى كامل (لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً):
 لو كنتُ في الخلد أو في غيره ملكا ووددت لو أنقى في مصر إنسانا
 وقال في محاربة اليأس:

وما معنى القنوط وأنت حيٌّ وما معنى القنوط مع الحياة؟

وقال في قيمة الاستقلال:

إن البلاد بلا استقلال صاحبها قفّر لديه وأصبح جنات

ولما مات الزعيم رثاه الكاشف بمراثية رائعة بلغت نحو مائة بيت، قال فيها:
 لهنى عليك وقد رحلت اليوم لم تدرك لفرسك في البلاد ثمارا
 إلى أن قال يشير إلى الرحلة التي كان يعتزم الزعيم القيام بها في الشرق:

لهنى وما لا تترك (يثرب) ضيفها وخطيبها المسترسل المكشرا

لهنى عليك ولم تسر متفقدا في الهند إخوانا لمصر حيارى

لهنى ولم تنقل من اليابان ما يب البلاد حضارة وعمارا

قد كنت مزعم هجرة لو قدرت قرمت أعوانا لمصر كبارا

وجعت بين السائقين وأمة مهضومة تتبع الأثارا

ثم يستكر على وزراء مصر. وقتئذ تحلفهم عن تشييع جنازة الزعيم خشية إغضاب الإنجليز، قال:

ويل الذين تحلفوا عن مشهد مَشَتْ الملائك حوله إكبارا
هل يمرضون ترفُّعا وتكبرا أم يسكتون تهيبا وحذارا؟

ثم يصف احتشاد الأمة يوم تشييع الجنازة قال:

يا قائد الأبطال هذا جيشك الـ سِرَّار فأنظر جيشك الجرار
يوم كهوم الحشر ضُهم وكـم رحمت في أرب لهم مضمارا
فلئن بكوا فلقد بكيتهم وهم غرباء في أوطانهم وأسارى
أو يحملوك على رؤوسهم فقد أصعبتهم فوق النجوم فغارا

وختم مرثيته بقوله:

أشهدت مصر على علاك ونيلها وصعيدها والنبت والأحجارا
لو لم تسل قطع النفوس لشيدها منها لك التمثال والتذكرا
ما مات من ورث مئاة أمة تجرى على منهاجه استمرارا

يحمل على سياسة الوفاق، ويعاتب الخديو عباس الثاني

في سنة ١٩٠٩ كانت سياسة الوفاق بين الخديو عباس الثاني وإنجلترا تسيطر على الجو السياسي في مصر، وكان هدف هذه السياسة محاربة الحركة الوطنية، ويدت مظاهر هذه السياسة في تنكر الخديو للكمفاح الشعبي ومناصرته للاحتلال وسياسته.

نظم الكاشف هذه القصيدة سنة ١٩٠٩ يحمل فيها على سياسة الوفاق ويخاطب الخديو عباس الثاني ويعاتبه ويحذره مغبة الاستقامة إلى وعود الإنجليز، وهى من أبلغ قصائده وأقواها:

أهلاً وسهلاً بالوفاق ومرحباً لو كان فيه قضاء ما وعدوكا
إن كنتَ مشترطاً (الجللاء) فواجبُ لك أن نودهم كما ودوكا
خير لنا أن يعلنوا البغضاء من أن يعلنوا ذا الموثى المفكوكا
حاستهم لثردُ عنا شبهة كم حاروك بها وما حريوكا؟
ما كان حُباً ما ترى لكته كَمَ المخائِلُ سره المهتوكا
أرأيت كيف وشى بكل مهذب حرٍ فكانَ الإلفك المأفوكا؟

اليوم يشكونا إليك وما بنا غير الوفاء وفي غد يشكونا
أعيا على أوهامه ووعيده هذا المراس فقام يستصفيكا

ماذا ترى في غاصبين يسوءهم أنا نحس وأنتا نروكا
أنتخاف شكوى المخلصين ولم تخف فيا مضى عدوان مضطهديك؟
باليتم جعلوا القيود لكل ذى نظر وما انتقموا بأن حجبوكا
هل كان مُسمِّعُك السلامَ مشاغبا أم كان غير مشوقٍ رائيكا؟
إنسا وإياك ابتليناهم فهل صدقوا الورى يوما وهل صدقوكا؟
أولى بهم وقد اتهمنا نصحبهم أن لا تصدقهم إذا نصحبوكا

أرهم مراسك قبل أن يستأسدوا إننا لنخشاهم إذا أمنوكا
يا حينذا يوم (الجللاء) ولا نرى جندا يصول ولا دما مسفوكا

يخاطب اللورد كتشنر

في سنة ١٩١١ عين اللورد كتشنر معتمداً لبريطانيا في مصر، وكان معروفاً عنه الصلف والفطرسه، فاستقبله الكاشف بقصيدة رائمة تفيض وطنية وشمًا وإباءًا. قال في مطلعها:

مهلاً لئلا تمنحن الطريق خطاك
في مصر شعبٌ لا يُضام ومالك^(١) متفرد لا يقبل الإشراك
ما أنت حابس نيلها يوماً ولا أهرامها مهدومةً بقواك
الله أكبر من جيوشك سطوة والدر أبعد من مدى مَرماك

إلى أن قال:

هل يُذنب الجرحى إذا هم حاولوا دون الضواري صيحةً وحرًا؟
لسنا قطيعاً غابَ راعية كما كنا ولست الضيقم الفتاك

(١) الله يقصد المالك الأمة فهي مصدر السلطات ولا تقبل إشراكاً في سيادتها.

إن كنت طلق الوجه أو متجهها فإله يعلم منتهى نجواكا
ولعل شأنك في مشييك غير ما أسلفته في عفوان صباكا
إلين قال:

وإذكر لو أدى النيل نعمته عسى يُعطى بنيه بعض ما أعطاك
فلذا تجاوزت الكتانة فافتتح ما شاء عزمك واصعد الأفلاك
في غير مصر ذرائع ومواقع للمستزيد مطامعا وعراك
ولئن غضبت على الأباة فصيرهم أولى وأجل من رجاء رضاكا
فأعرف لهم عنر المريض إذا هم لم يسلموا لك ما تنال يداكا

يبيشر بالاشتراكية

في أعقاب الحرب العالمية وبعد توقيع معاهدة الصلح في فرساي (مايو سنة ١٩١٩) بين ألمانيا والحلفاء، نظم الكاشف قصيدة عصماء تناول فيها شتى المعاني السياسية والوطنية، فمن قوله يبيشر بالاشتراكية:

للاشتراكية العقي إذا شملت شتى الشعوب وجاراها المجارونا
فلا الكثيرون ملكا للأقلينا ولا الأقلون ملكا للكثيرينا
ولا نرى واحدا ملأى خزانته بالمقنيات والآفا يجمعونا
ولا نرى دوة في رأس محكم تهفو إليها قلوب المستظلينا

يندد بنذر الإنجليز وتكرهم لمصر

وقال في هذه القصيدة يندد بنذر الإنجليز وتكرهم لمصر بعد أن عاونتهم في تلك الحرب:

يا نائلين من الحرب العوان سوى ما كان منتظرا منها ومطنونا
نحوتم من رزاياها ومالككم لا تذكرون وفاقا غير ناجينا؟
مد الحديّد لكم في كل مرحلة وذللوا لكم أطواها لينا^(١)
ورابطوا لأعاديكم على هدف وألقوا النيل بالأردن ساقينا

(١) يبيشر إلى تسخير العمال المصريين في مد السكة الحديدية في سيناء إلى الفريش أثناء الحرب العالمية الأولى.

وهم إلينا الأحياء المحبونا
حريةً فبذلناه مضحيناً
ما نال منه عداكم في فلسطينا
أم لا تزال خطيتات البريئين؟
وتؤثرون عليه الماء والطين؟
أيرحق الأجراء المستقلون؟
حياء، ومازلتم في الأرض تسعوناً

وكم عتيخ على قوم لأجلكم
وقلتم لم يذل قومٌ بغير دم
ونال من دمنا في عصر جندكم
فهل غسستم خطايا الأبرياء به
أنستهينون بالإنسان ماثلكم
هَبُوا جَمِيْ مصر والسودان مزرعةً
ورثتم خصمكم ميتاً وصاحبكم



فجربوا مصر في إطلاقها حيناً
فأى شيء على مصر تخافونا؟
ضاع السبيل أضعننا الهند ساهينا
ملأى شواهين أو ملأى سراحينا^(١)
ولا يزال سبيل الهند مأمونا
فما تضرُّكم يوماً أمانينا
خيرٌ له من جماعات يثورون
هزَّت مسائل مصر الهند والصينا^(٢)
وتطلبون من الصرعى مجيبينا
تروا أدلة مصر والبراهينا
وأق مصر أهاةٌ غير راضينا
أخاف قوما سواهم لا يبالونا
يرعى ويحرس أقواماً مساكينا
وبالكلام على عاني تضحوناً؟
رعيتُم العهد للبلجيك موفينا؟

جربتمو مصر في تقييدها زمناً
أمتنم مصر فيها نال أمتكم
وقلتم: مصر للهند السبيل فإن
أما إلى الهند إلا مصر من سهل
يسد الهند أهله وجيسته
خافوا سوانا وأعطونا أمانينا
وإن فردا. لذى ملك يرُّ به
عن أى شيء لمصر تسألون وقد
بالسيف والنار يدعو الناس جندكم
ضَعُوا السلاسل عنا واطلبوا جدلاً
وربما قبلت دعواكم دول
ليَت الذى حرَّم الألمان غايتهم
وليت من زاد قوما قوةً وغنىً
أنسفكون لمظلوم دعاءكم
وهل وفيتم يبتاقٍ لمصر كما

(١) السراحين: القناب.

(٢) يسير إلى تأليف الحكومة البريطانية اللجنة المروقة بلجنة ملتر بدعوى البحث عن أسباب ثورة سنة ١٩١٩ والوسائل للإماتة هذه الأسباب.

كم أعجبتكم من الأحرار عزيمتهم
فهل ذكرتم وأكبرتم لنا غرضاً
كم أنجب البطل الأحداث عالية
كنا أمانة دهر عندكم وألى
وقد أقر مصر كل منتصف
قد أصرت على استقلالها فعلى
كانوا موالين أو كانوا معادين
كما ذكرتم وأكبرتم (وشنطونا)^(١)
وأنجب الحدث الأبطال عالينا
وقت الأداء فهل أنتم مؤدونا؟
بحق مصر فهل أنتم قرونا؟
أى المأرب أصبحتم مصرينا؟

يحذر قومه من التحالف مع بريطانيا

وفى هذه القصيدة (التي نظمها في أواخر سنة ١٩١٩) يحذر قومه من فكرة التحالف بين مصر وبريطانيا. قال:

أواهون لمصر كل ما طلعت
وإن رفعت عن الوادى حمايتكم
وإن تروا بدلا منها (محالفة)
إننا لنعجز عن حق الحليف وعن
وما مجاورة الأقوى وشركه
ادعوا بى مصر أندادا لكم ودعوا
وغادروها لأكفاء تجارهم
يفدون مصر وإن شأكت منابتها
وإن تدقق فى البيداء منصرفا
أحرار مصر تباريح حرائرها
لم آخذون بمقدار ومُعطونا؟
فما اسم لاحقها فيما تُسمونا؟
فمن لنا بضمانات المساوينا؟
حق الشريك وأنتم تستزيدونا
إلا كما جاز العصفور شاهينا
ولاية مصر ملوكا أو سلاطينا
تُغنيهم عن تكاليف المشيرينا
وإن جرى نيلها مهلا وغسلينا
وإن أقام وراء السد مخزوننا
ففاديات كما نرجو وفاديننا

يُنذد بالاستعمار والظفيان

وفى هذه القصيدة يندد بالاستعمار والظفيان ويحملها مسئولية الحرب الطاحنة التي أكتوت الشعوب يئارها. قال:

أمضى على الصلح قومٌ يهبثون به
وقد نأى عنه قومٌ غير مُحبينا

(١) جورج واشنطن محرر أمريكا، وكان على رأس الجيش الوطنى الأمريكى الذى حارب الإنجليز وقد اعترفت بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة سنة ١٧٨٣ بعد أن انتهت الحرب بظفر الأمريكان.

تنفس الصعداء اليوم بعضهم
 هل يعرف الدهر حربا كالتى شهدت
 صناعة هي يعتز الملوك بها
 أم كانت المرضى الموروث في دول
 ما كان أكبر آثام الأنام وما
 أين الأسرة والتيجان أسألمها
 الراقصين على الأشلاء دورهم
 جنت على ملكهم أسلاب غيرهم

إلى أن قال:

دانت لسكر (ولسون) جيايرة
 أغرى البرية باستقلالهم ونأى
 وأين ما صنعت آراءه ولسون^(١)
 عنهم وهم بالذى أغرى ييمونا

القوة سناد الحق

والحق في كل عصر فاقد سندا
 فند السلاح هو الرهوب جانبه
 إن لم يجد طلبا بالأس مقرونا
 إذا انتفى الأعزل المغلوب مغبونا

أمل مصر في بنيتها

وختم هذه القصيدة الرائعة بقوله:

من لم ير اليوم في العمران موضعه
 ونحن أولى بأن نرعى مواطننا
 لم يلق في غده دنيا ولا ديننا
 نوق الكايل فيها والموازيننا

مؤتمر لوزان

الحق للقوة

في سنة ١٩٢٣ ترامت الأنهاء عن مؤتمر لوزان بأنه يجذل مطالب الشعوب الشرقية فقال
 الكاشف يدعوها إلى القوة والتعاون في مكافحة الاستعمار:

(١) ولسون الرئيس الأسبق لجمهورية الولايات المتحدة الأمريكية. يشير الشاعر في هذا البيت والأبيات التالية إلى مياديه
 رلى إلى أعليا حين دخول أمريكا الحرب إلى جانب بريطانيا وعلفاتها وكيف تنكر لما بعد انتصار الحلفاء.

عودوا إلى البأس بعد اللين فهو لكم
لا حق للشرق إلا في معاقله
هل يملك الحكم في (لوزان) خصمكم
ما كان (كرزون) بالموقى لأمته
إلى أن قال:

إني لأشفق من يوم على دول
ممالك الشرق والإسلام تذكروا
أين الأمانة والميثاق بينكم
مجد الرجال على مقدار ما بذلوا
زودوا عن الوطن الغالي وعن شرف
ومن أراد حياة العز طيبة
يقضى الحديد عليها فيه واللهب
فالشرق أسوان والإسلام ينتحب
والبيت منتهب و (القدس) مفتصب
من الدم الحر لا الدمع الذي سكبوا
بذل النفوس له بعض الذي يجب
فالأرض تحمله حرا أو الشهب



يا وافت الشرق جوابا بلا سند
مصير كل قبيل بعد جولته
فصل الخطاب لهم بعد القضاء غدا
أين السلام وأين العاملون له؟
كل يد وراء الغيب غايته
في الغرب ينتظر العقبى ويرتقب
ما خطه في فروق الفتية النجب
في سائر الأمر جد القوم أولعوا
وأنه أمل الأبرار والأرب
وليس يعلم ما يأتي به رجب

يتنذر على عيد ١٥ مارس سنة ١٩٢٢

قال من قصيدة له في مارس سنة ١٩٢٣ يتنذر على عيد الاستقلال الذي جعلوا تاريخه يوم
١٥ مارس سنة ١٩٢٢ حيث أعلن الملك فؤاد استقلال مصر على أثر صدور تصريح ٢٨ فبراير
سنة ١٩٢٢ :

يا عيد الاستقلال أند
للعنق أم للرق ما
أ بمهرجان تحنفي الـ
ت له خيال أم حقيقه؟
خطوه في تلك الوثيقه
ظمأى وتحنفل الفريقة؟

وتنال مصر مرامها من بعد ماسدوا طريقه^(١)
يتكلفون^(٢) الصالحات لها وتأبأها السليقة
إن أطلقوا أمس البلا د فمئهم ليست طليقة
وحديقة أضحت ولد كمن للغريب جنى الحديقة
وإن استبد بنيلها قتل الشقيقة بالشقيقة^(٣)

* * *

وأحرر أكباد إلى حرية الوادي مشوقه
هذا زكي دمي لها أجد الرضا في أن أريقه

* * *

أفنازل زعماء مصر أمام هاوية عميقة؟
أى العقاب أحق بالرجل الذى يؤذى رفيقه؟
عاد القريم لمصر بعد خدعته الدقيقه
فلن افترقتم عنده كنتم جميعكم فريقة

يحذر من نوايا الإنجليز ويدعو النواب إلى أداء واجباتهم

وقال من قصيدة له يوم ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ وهو اليوم الذى اجتمع فيه البرلمان الأول
وكان سعد زغلول يتولى رئاسة وزارة الأغلبية.

سلاما على حصنكم والتم ورعيا لنسوتكم فى الأمم
سلاما على ذلك الملتقى سلاما على ذلك المزدحم

إلى أن قال:

أمانة مستوثق معلن لكم من سرائره ما كنتم
وهذا غريكم^(٤) الملتوى تجمل بعد الأذى واحتشم

(١) يشهد إلى الإنجليز الذين وضعوا القوات أمام مصر فى جهادها لتحقيق أهدافها.

(٢) الإشارة هنا أيضا إلى الإنجليز.

(٣) مصر والسودان.

(٤) يقصد الاحتلال.

تسوّى بغاياته عايساً وعادها فاتنا فابتم
إلى أجل أم إلى متهى مراميه يلزمكم ما التزم
وهل يتجلى الأفق أم يرتقى بهاصفة بعد هذا التسم
ولو كان يعرف عقيب النزاهة ع في الحق من زمن لا نحسم

وقال يدعو إلى التأخى وصفاء القلوب بين المواطنين:

وليس يقال فريق هفا وليس يقال فريق ظلم
يضيع على مصر هذا النعم سم إن لم يكن كل بيت أجم
وما أنا بالآمن المطمئن إلى المستند النوى لم ينم^(١)
أعد المرباط في المسلكين ومن ملك المسلكين اقتحم
وهل يترك الذئب عاداته وإن ليس الذئب ثوب الفم؟

وداهية مرجف بالنوى تصدى به غيره فاعزم
وليس الذى قاله حجة فقد ألفت الناس هذا النعم
وهل يستطيع اغتصاب الرقا ب من يراس النفوس اصطم
وما صنعت بالمفبر القلا ع صنّع إياتكم والشمم
وعشّبكم شملكم عنة وحسبكم صبركم معتصم
وما أحسن العفو من قادر إذا ما اشتهى حاقد وانتقم
سيجلو عن الأرض جهارها ويلبث فيها كريم الشيم
ولا دولة لسوى المصلحين ولأملك لأهل المهيم

عيوب الحزبية

وقال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له حين اشتد التناحر بين الأحزاب، يدعو إلى نبذ الخصام:

وقفت وما أدرى أعد حوائداً تدور أمامى أم أعد ذنوباً
تحملت عن قومي نصيباً من الأسى ولم أرج من أجر الجهاد نصيباً

(١) يريد الانجليز.

أرى فرجا للأمتين قريبا
إذا لم يكن خلق الرجال خصيها

وأمنت في غيب المقادير علني
وليس بمن أمة خصب أرضها

* * *

فلم أر إلا سالبا وسالبا
توالت صنوفا بينهم وضروبا
أرى بين أبناء البلاد حروبا
فصال شمالا واستطال جنوبا
إذا لم يطعموا ناعذا وحسبا
رفاقا كما يلقى العليل طبيا

تتازع قومي اليوم جندا وقادة
مبادئ أحزاب أرى أم منافعها
تقضت حروب الصالحين ولم أزل
بقومي على قومي استعان غريبهم
فمن لهم المنفذ الأمر حازما
يردهم بعد القطيعة والنوى

قريش

قصيدة نظمها بهذا العنوان سنة ١٩٣٦، يصور فيها حياته في بلدته (القرشية) ويؤثرها على حياة المدن، قال:

ولم تنق الأكل حولي كل آمالي
ولست للقوم غير العم والحال
منهم على أمم شق وأجبال

جعت في العيد حولي سائر الآل
أبنا دعوني وما لي فيهم ولد
كأنني وهم في الدار مطلع
إلى أن قال في إيمانه الإقامة في الريف:

من الرجال ولا لاء وغتال
فبما ملكت وماء فيه سلسال
بكل ناحية همي وأشغالي
لم ألقها من رجال غير جهال

أقمت في الريف لا أشقى بطاغية
وعشت بالرطب من بقل وفاكهة
أطلت فيها اعتزال الصالحين ولي
لقت في عثرة الجهال عاطفة

يخسر قومه من مفاوضات سنة ١٩٣٦

وعرج في هذه القصيدة بالمفاوضات التي كانت جارية وقتئذ بين مصر وبريطانيا وأسفرت عن معاهدة سنة ١٩٣٦، فخسر قومه من مقبة هذه المفاوضات، قال:

ولم أزل بينهم للخصم متقيا دخائلا هي في ذهني وفي بالي

أخشى على رسالهم نياته وهم
وما تزال كما كانت سياسته
وموضع الند أرجو عنده لهم
وقد يكون لهم من ضيقهم فرج
منه أمام جلاميد وأدغال
يدور فيها بأشكال وألوان
لا موضع الصيد من أنياب رتيال
كما تُدافع أهوال بأهوال

وظل الكاشف في قريته وعزلته، وفيًا لشعره ومبادئه، إلى أن أدركته الوفاة في ٢٩ مايو سنة

١٩٤٨.



محمد عبد المطلب

١٨٧٠ - ١٩٣١



هو الشاعر البدوي البليغ، والمجاهد الوطني الصميم، محمد عبد المطلب، ولد سنة ١٨٧٠ ببلدة (هاصونه) من قرى مديرية جرجا لأبوين عربيين مصريين من سلالة قبيلة جهينة إحدى قبائل جزيرة العرب، وكان والده رجلاً صالحاً متقهاً، فأرسل ابنه إلى الأزهر وتلقى فيه العلم نحو سبع سنين، ثم انتقل إلى (دار العلوم) ومكث بها أربع سنوات، وتخرج منها عالماً أديباً، وتولى التدريس في مدارس الحكومة، واختير مدرساً بمدرسة (القضاء الشرعي)، ثم مدرساً في (دار العلوم)، ونضج علمه، واكمل شعره وأدبه، فصار من فطاحل الشعراء الذين

يشار إليهم بالبنان، ولما شبت ثورة سنة ١٩١٩ ساهم فيها بشعره وأدبه وجهاده، وخُلد حوادثها بقصائده الفر، وكان حجة في الأدب واللغة، وشعره يجمع بين البلاغة والجزالة وروعة الأسلوب، وبلغ في مكانته الشعرية منزلة فطاحل الشعراء المتقدمين، وكانت الروح الوطنية الدفاعة تتجلى في معظم أشعاره وقصائده؛ وله في هذه الناحية إنتاج ضخم يصلح في ذاته أن يكون ديواناً يجتمعاً من الشعر الوطني؛ وقد ظل على إنتاجه الشعري إلى أن أدركته الوفاة سنة ١٩٣١.

روحه الوطنية

إن أحسن وصف لروحه الوطنية ومساهمته في الجهاد وخاصة في ثورة سنة ١٩١٩ ما قاله في رثائه صديقه وزميله الشاعر محمد المراهوي إذ يقول عن (جهاده الوطني):

فإنك لُجْلَى وللحادث الجِدُّ	فذاك وإن جَعَتْ خطوطٌ وأجَلَيْتْ
وتقضى وصوت (الموزيَّات) كالرعد	تخاطر والجند المدججٌ محلق
وتعدو على العادي عليه وتستعدي	فتبكي وتستبكي العيون على الحيى
وقد حَيَّتْ أنافُ قومك من وقْد	وتخطب حتى تستشير وتنسئى

وما هالك الجند الذى كان محققا ونفسك من فرط الجمعية في جند
نزلت عن النفس الكريمة قديّة إلى الوطن العاني، كذلك مَنْ يَفدى

مصر أثناء الحرب العالمية الأولى

١٩١٤ - ١٩١٨

قال من قصيدة له يصف ما عانته مصر أثناء الحرب العالمية الأولى، وينمى على الإنجليز
بغيرهم وعدوانهم وإعلائهم الحماية في ديسمبر سنة ١٩١٤، ويندد بفظائع السلطة العسكرية
البريطانية في سقى الحرب:

وعادت رياض النيل نازراً جحيماًها فكم سيد بين الغيابات حتفه
ترى أدمع التعمى بناغم جسمه يقضى الليال بين ظلم وظلمة
ومسى نَجى الحزن جارة بيته وفى حجرها لو أبصروا ذواتهم
إذا فزعته فى القدر من هول ما ترى ودارة عزّ أوحشت من أنيسها
تحمل أهلوها على غير موعد ينادى لسان الحال من شرفاتها
ولم ينسها التوديع موقف شامت وما ملهم فيها ثواء وإنما
يناديه فيها قائد الجيش^(١) قومه تعسف بالأحكام غير موفى
فكم ساق من مصر إلى الموت فتية جوع كآجال النعم تلفها

يُسبّ لغير الخائن المتعلق وآخر بالأصفاد والوسط مرهق^(٢)
تجيع دم من جلده المتمزق طريد الكرى فيجوف أغبر مطبق
سواد الدجى بالدمع المترقرق بكلمها بالعين من غير منطق
فلا راحماً تلقى ولا عطف مشفق وما كان فيها من جلال ورونق
وبانوا على حكم الزمان المفرق «قفوا ودعونا قبل وشك التفريق»
يقلب فى الفادين أجفان مُحَنق نَجى بالثوى من ظلم أرعن أحق
وما قادهم إلا إلى شر مأزق وما ظالم فى حكمه بموفى
زهاها الصبا فى عنفوان وريق^(٣) يدُ القمر للأجال من كل منعق^(٤)

(١) يريد بالقيادات السجون والنفى.

(٢) يريد قلند جيش الاحتلال.

(٣) الريق: أول الشيب.

(٤) أجال أى القطيع والمثق من ثقل الرأى غمة إذا زجرها.

له عُصْبٌ فِي غُورِهَا وَصَمِيدُهَا
فَنَفَى كُلَّ إِقْلِيمٍ حُجُولُ مُقَيِّدٍ
وَفِي كُلِّ وَادٍ مِنْهُمْ سَوْطٌ مُعْجَلٍ
وَمَنْ لَمْ يَسْفُ السَّوْطَ وَالسِّيفَ سَاقَهُ
تَحْرِيرُ أَبْنَاءِ الشَّبَابِ وَتَنْتَقِي^(١)
لِغَيْرِ عَصِيٍّ أَوْ حَبَالِ مُرَبِّقٍ^(٢)
عِنْدَ التَّنْكِيلِ كُلِّ مَعْوُقٍ
إِلَى حَيْثُ شَامُوا جَهْدُ عَيْشٍ مَرْمُقٍ^(٣)

يوم إعلان الحماية

وقال عن إعلان الحماية في ديسمبر سنة ١٩١٤ :

بِلَاةٍ عَلَى الْقَطْرَيْنِ أَغْطَشَ لَيْلَهُ
دَجَّتْ يَوْمَ إِعْلَانِ (الْحِمَايَةِ) شَمْسُهُ
بِهِ لَقِحتْ سُودَ اللَّيَالِي قَلْبَتِهِ
قَضِينَا بِهِ يَوْمَ الْمَدْلُهِ بِالْأَسَى
عَشِيَّةً يَدْعُو «مَكْسُوِيلَ»^(٤) سَرَائِهَا
يُؤَوِّي عَرْشَ النَّيْلِ مَنْ شَاءَ جَانِفًا^(٥)
«رَوَيْدِكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي
فَمَنْ دُونَ عَرْشِ النَّيْلِ كُلِّ مَدْرَبٍ
يَصِيرُ بِأَسْبَابِ الرَّدَى غَرْبُ سَيْفِهِ
تَوَتْ نَفْسُهُ مِنْ بَأْسِهِ فِي مِجْنَةٍ»^(٦)

ضَحَى يَوْمَ نَحَسَ بِالْخَطُوبِ مُؤَوِّقُ^(٧)
فِيَالِكَ مِنْ يَوْمٍ عَلَى مَعْرِ أَوْرَقِ^(٨)
قَضَى فِي بَطُونِ الْغَيْبِ لَمْ يَتَخَلَّقْ
وَبَتْنَا عَلَى لَيْلِ السَّلَامِ لِلْمُؤَوِّقِ^(٩)
لِعَبِيدَيْنِ يَوْمَ الْجَمْعِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ
فَنَنْشُدُهُ وَالْخَطْبُ بِالْخَطْبِ يَلْتَقِي
غِيَابَةُ هَذَا الْعَارِضِ الْمُنَاقِقِ
كَمْ مَتَى يُرْجِدُ لَهُ الْهَوْلُ يُسْرِقُ
لِيُوسِ الْمُنَايَا بَيْنَ هَامٍ وَمُفَرِّقٍ
مَتَى يَدُنْ مِنْهَا طَائِفُ الْمَوْتِ يُصَمِّقُ

نقض العهود والمواثيق

وقال يهاجم الإنجليز وينعى عليهم نقضهم للعهود والمواثيق :

فَسَائِلُ بَنَاتِ أَعْلَاجٍ «لندن» هَلْ وَقَوَّا
بِمَهْدٍ لَنَا بَيْنَ الْأَنْهَامِ وَمَوْثِقٍ

(١) يريد بالفرد الوجه الحري وتغير أى تتغير.

(٢) الحبول التبول رقيق أى شد.

(٣) المرقق من يشيع جوراً وبسك ومقا.

(٤) أغطش ليله أظلمه وروى اسم مقبول فله أرق. يقال أوتته أى حله للشفة.

(٥) الأورق الذى لونه إلى الرماد يريد أنه معج بالخطوب.

(٦) للده : القامل.

(٧) الجنرال مكسويل قائد القوات البريطانية حين إعلان الحماية.

(٨) جانفا أى ظللاً.

(٩) المجنة : الترس.

حمية حام أو نقيّة متقى
ولا بلذا بناؤها لم يحرق
سوى صلف المستكبر المتعرق^(١)
ولا طيب مخضر من العيش غيلق^(٢)
وهول زمان بالحوادث يتأق^(٣)
تقى إلى عام من اليوس ألق
سفاهة غار في المكاييد مفرق
مق ما نذكّره القوانين يحق
لغير الهوى في حكمه لم يوفق
وتدبير أعمى في الحكومة أحمق
لأعلم منه بالنكايه أحنق
ويسعد أشقاها ويشقى به التقى
على النهج لم يصل ولم يتفرق

لدى فتنة لم يقن عن مصر عندها
جرت عمّا لم تبق أرضا أمينة
ثلاثين عامًا لا ترى مصر منهم
ثلاثين عامًا لم تيشم برق راحة
ثلاثين عامًا بين يأس وحسرة
إذا ودعت (عامًا) من الجور أبقما
ثلاثين عامًا بالهوان تسومها
يرى نفسه فوق القوانين بيتا
يبسح غدا ما حرّم اليوم بالهوى
إلاهة جبار وإمرة خاطل
إذا ما شكوناهم عميدًا فأمرنا
يقرب خوأننا ويرفع جاهلنا
إذا ما مضى هذا أقى ذاك بعده

إفساد التعليم

وقال يذكر إفساد التعليم والدور المشتموم الذى قام به دنلوب في هذا الصدد:
وبالعلم سلّ «دنلوبهم»^(٤) لم لم يدع
هو الجهل فينا حشدته لحكمة
رمتنا به حمى أصابت ببلاده
فحلّ بنا فيمن تمرق منهم
ولوزنوا في غير مصر مقامه
فأصبح داء في المعارف قاتلا

(١) للترق: السر الخلق.

(٢) الغيلق: الرخص الناعم.

(٣) متأق أى مجلج.

(٤) المستر دنلوب وكان سكرتيرا عاما تم مستشارا لوزارة المعارف والمسترول الأول عن انعطاط التعليم في عهد الاحتلال.

(٥) اللدوق: المهزول.

(٦) القدم: الأحمق، والمهباق: الضعيف القصر.

فواها على تلك العقول التي توث
تلائين عالماً يسكبُ النيلُ حسرةً
وما وردوا من عذبه غير لامع
ولولاه كانت مصر بالعلم روضة
أ «دلوب» ما تلك المبادئ رفيعة
وما العلم أن يعلو رتاج وقبة
أ «دلوب» هل أروضت قومك غايةً
بكفيه في لحيد من الجهل ضيق
على العلم دمعُ الراله المتشوق
من الآل في يديها مترق
تلالاً بالأنوار للمتناق
مق ما تسامق هاشما النجم تسق
على قطن بالأرجوان مزوق
أم العير^(١) إن يبعد به الشوط ينق

ثورة سنة ١٩١٩

وله قصائد غراء في ثورة سنة ١٩١٩ أرخ فيها جهاد المصريين والمصريات وقطائع الإنجليز في قمع الثورة.

حضارة مصر ومجدها

قال من قصيدة له أنشدها سنة ١٩١٩ في الاحتفال بعيد النيروز يشيد بحضارة مصر ومجدها وفضلها على العالم:

فلا يا ابنة البيت الذي عند بابي
رويتك إنا في السلا يوم ننتمي
لنا ذروة المجيد الذي تحت ظله
لنا آية الأهرام يتلو قديعها
ملأتها بما لوح الوجود متاقباً
وللعلم من آثارنا في جبالنا
وللملك منا كل أروع نظم
ومنا الذي ساق الأساطيل شرعاً
إذا جهلوا «ميناً» و«خوفو» و«كفرعا»
وإن أنكروا ملك «ابن يعقوب» بيننا
تغمر ملوك العالمين إذا مروا
كلانا أبوه النيل أو أمه مصر
تتسلل الأحقاب واعتل الدهر
حديث الليالي فهي في فمها ذكر
إذا ما خلا عصر تلاء بها عصر
على الدقر آيات بها ينطق الصخر
على تاجه الأفلاك والأنجم الزهر
على البحر يستحي لصولتها البحر
فليس «هرميس» على ملكه نكر
«فموسى» على ما أنكروا شاهد بر

(١) العير: الحداد وينفق: يهلك ويموت.

لنا كل ما في الأرض من مدينة بها تمر الأمصار والبلد القفر



جزى الله مصرًا ما جزى أهل نصبة
فكم كشفت من ظلمة «عين شمسها»
لنا في الوردى حق المعلم لورعوا
فهل ينكر اليونان أنا هدايتهم
وهل نبي الرومان للتبيل أنعيا
فنحن الأولى قد أوردوا كل أمة
إذا اعتز قوم بالجديد سمع بنا
على الناس يتها دونها القدر والمصر
فما تم سهل لا يضى ولا وعسر
لنا ذمة والدهر شيمته الصدر
إلى حكمة في العالمين بها بزوا
بما وروثوا منها سبها لهم الفخر
من الفضل ما يفي به الحمد والشكر
مكارم في طي الزمان لها نشر

الوحدة بين العنصرين

وقال يشيد بالوحدة بين عنصرى الأمة:

بيننا على آداب عيسى وأحمد
فنحن على الإنجيل والذكر أمة
لنا كل ما في مصر والحق قاتم
فلن يستطيع الدهر تفريق بيننا
كلانا على دين به هو مؤمن
إذا ما دعيت مصر ابنها نهض ابنها
ترى ذكر مصر في الهياكل قرينة
فلا يحسب للناس أنا تزلزلت
ألم ترنا في كل عيد ونوسم
إذا كان عيد الفطر فالكل مفطر
وإن جاء بالنيروز يوم تزاحت
فياعيد أهل التيل عذ أهلك المني
وصافح بشميتك السعادة مقبلا
تلاقت أمانينا على خير غاية
منازل عز دونها يقع النسر
يؤيدها الأنجيل بالحق والذكر
تؤيده الآيات والمجج الفر
وان جر قوم بالسعاية ما جرؤا
ولكن يخذلان البلاد هو الكفر
لنجدها سبان مرقس أو عمرو
وفي صلوات المسلمين لها ذكر
بنا قنم أو مس وحدتنا الضر
حليفى ولا لاجفأة ولا هجر
يمل بالبشرى ويژهو به البشر
عليهم به الأفراح وانتش القطر
تجلى منار الحق وانبلج الفجر
بصر على الأفراح وليقل الشعر:
وسارت بنا الآمال يقدمها النصر

ثورة الأمة سنة ١٩١٩

ومن قصيدة أخرى أنشدها في حفلة لعقائل السيدات في مسرح برنتانيا سنة ١٩١٩:

مصرُ أُمِّي، فداء أُمِّي حياقي
يا رياح الحياة في مصرَ هُبِّي
يا ساءَ الحياة في مصرَ جوْدِي
ما لآمَ الأمصارَ حلَّها الدهرُ
مارعى ذمَّةَ لها يومَ كانت
إن تسانستَ قديمَ مصرَ ليالٍ
فاسألوهن عن حديثٍ حديثٍ
دهشَ الناسَ يومَ قيلَ صحتَ مصرُ
إذ لقينا المخطوبَ وهى شدادُ
وركننا متنَ الزمانَ ذُلولا
بين ش٣يب بالحزم تحلو شبابها

سلعتُ أُنمنا من العاديات^(١)
رُوحينا بطيب رِيا الحياة
أنفُسًا فوق نيلها صاديات^(٢)
ر صنوف الآلام والموجعات؟
زينةً في عصوره الخاليات
أنكرت صالحتها الباقيات
لبنيتها عَثوهُ في المعجزات
رُ وكانت في غفلة وسبات
فتولت جوعها مُذْبررات
فمضينا لغاية الغايات
صادقى العزم ثاقبي النظرات

دور المرأة في الثورة

وقال يشيد بدور المرأة في الثورة:

وَعَوَانٍ سَمَعَن دَاعَى مِصْرٍ
أَفْزَعَتْهُنَّ حَادِثَاتُ اللَّيَالِي
فَتَرَامِيْنَ مِنْ وَرَاءِ خُدُورِ
سَافِرَاتٍ وَلَسَنَ أَهْلِ سَفُورِ
وَكَبِنَ الْوَفَاءَ لِلنَّيْلِ عَهْدَا
وَتَوَاصَيْنَ لَا يَضِيْعُنَ دِينَا
إِيَّاهُ. قَه سَمِعِيكُنَّ جَمِيلا

بين تلك القصور والغرفات
في بنينَ بالردي راميات
كُنَّ فيها البدورَ مخدّرات^(٣)
حاسراتٍ من شتة الحسرات
في قلوب بحبه داميات
أو يعطّلن سُنَّةَ المؤمنات
يا بناتِ الأنجاب والمنجيات

(١) العاديات: الأحداث والقرابات.

(٢) صاديات: عطشى.

(٣) مخدّرات: مستترات في خدورهن.

جبل جهلا في زُمرة الجاهلات
لم ونور العرفان محتجبات
ل وراء الأفاق والظلمات
ساطع في بدورها النيرات
من وراء الأستار والحجرات
كيف يقفو أباه في المكربات
فتولته بالتقى والأناة
عن كرام الآباء والأهبات
خالد في آثاره الخالدات

ظلموا النيل يوم علوا بنات الند
زعموهن بالحجاب عن الند
بنّت مصر كالشمس يحجبها الليل
وهي في أفقها ضياء ونور
أو هي المسك ينقذ العرق عنه
عرفت كيف يكبر المرء طفلا
أبصرت منبت المحامد فيه
وغدته المجد الذي وريته
يا ابنة النيل أنت للنيل ذخ

وثية مصر

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٠ يصف وثية مصر:

وأملّى على الأيام فليكتب الشعرا
وحسب اللالي أن يقال صحت مصر^(١)
ويا ربا أزرى بصاحبه الصبر
ولكن صمت الليث يعقبه الزأر
ولا زهدت فينا مناقبنا الفر
لنا علم بين الدهور ولا ذكر
وهم في بطون الغيب عرفانهم نكر
مقتسة والنيل في لوحها سطر
ونحن الجبال الشم والزهر النضر
بحاضرتنا تلو المحامد والفخر
مضاريه وانشق عن ليله الفجر
وذو الذل أولى ما يكون به القبرا

تكلم وادى النيل فليسمع الدهر
فحسب العراوى نهمة النيل زاجرا
صحت بعد ما أزرى بها الصبر والأنى^(٢)
لعمرك ما صبر الأبي مهانة
فلا تحسبوا أنا ونينا عن العلا
ولا أنكرتنا شمس جبل ولا انطوى
وفي الناس من شابت قرون «وأعصر»
وهل مصر إلا آية أزلية
تفلقت الأجيال حول وجودنا
لئن كان ماضينا فخارا فإنا
وقفنا لرهب الدهر حق تفلت
حرام علينا أن نعيش أدلة



(٢) الألى، الألة.

(١) التهمة: العورة

فظائع الإنجليز في قمع الثورة

وقال حين اشتد عدوان الإنجليز في قمع الثورة سنة ١٩١٩ وفتكوا في طريقهم ببعض القرى كالمزينة والبدرشين:

لو أن مقجوعا يردّ سؤالا
وعدا عليهم بالخطوب وصالا
للسلم في أرجاء مصر مجالا؟
سارت رسائلكم بها أرسالا؟
أنا بمصر نكابد الأهوالا؟
شعب يريد بأرضه استقلالا؟
عن مصر صوتا بالشكاة تعالى؟
طار الزمان لوقعها إجمالا؟
يتفشيون من السلام ظلالا
صفوا وشرب رحيقه سلسالا
شرع^(١) المنايا مسرعين عجالا
تملوا عليه وخادعوا الأمالا
في أرض مصر نكاية ونكالا
فتك الستور ومزق الأوصالا
نصب الخداع حياتلا وحبالا
ليس المسوح مراثيا محتالا
ومعلموا من أهله الجهالا
ساموا بنيه الضيم والإذلالا
خلقت لهم ثمراتها أنفالا

يا مصر ما بال الأسى لك حالا
ظلم الزمان بحق في أحداثه
يا ناشري علم السلام، ألم تروا
ما العدل؟ ما حرية الأمم التي
ما عهد (ولسن)^(٢) أين ولسن هل درى
أين العدالة عنده أن يبتلى
سفراء (ولسن) هل لكم أن تلبسوا
صرخات أهل النيل من أحلافكم
أضحت شعوب الأرض في بحوحة
وهم أحق العالمين بوزده
لكهم يسيروا الردى فتواردوا
تيسوا بحكم الإنجليز وطالما اء
ما بال أبناة الحضارة أوغلوا
وثبوا على القطرين وثبة قاهر
نزلوا بأرض النيل منزل غادر
حلفوا لأهل الأرض جلفة فاجر
أن يسطوا ظل الحضارة فوقه
حق إذا ملكوا أزمة أمره
واستزفوا ثمرات مصر كأنما

(١) ولسن: الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية. ويريد بهذه العبارة المشهورة التي أعلنها عند دخوله أمريكا الحرب العالمية الأولى وأساسها احترام حرية الشعوب واستقلالها.

(٢) شرح: جمع شرعة وهى المورد.

شَسُّ العَدَالَةِ فِي السَّوَرِ تَلَالَا
خُلِقَتْ تَعَالَى الْغُلَامُ الْخَتَالَا

فَإِذَا بَدَا وَجْهَ الْحَدَادِ وَأَسْرَقَتْ
نَخَضُوا^(١) رَمَسَهُمْ لَغَيْلَةَ أُمَةِ

شجاعة المصريات في الثورة

وقال في هذه القصيدة يصف شجاعة النساء المصريات في مقاومة الإنجليز:

مستقبلات للردى استقبالا
من حولين وتنحنى إجلالا
بيض النظبا متوثبا بجثالا
يقبلين من فتكاتك الأنجالا
يسألن حقبا لا يردن قتالا
لبنى أبهيك ولا دعون نزالا
كانوا الكرام وكتم الأنجالا
صدع المقطم غزها فأسبالا
والليل يرخى فوقها أسبالا
تحت الظلام وقبحة وتكال
فهى الحجاب عفافها المقتالا
صيحرات كلب في الحظيرة جالا
لم تلك أحلام تخر خبالا؟
محق ولست أعى لمن مقالا
تدبر كأعجاز النخيل طوالا
والبيت من وقع الحوافر زالا
يا لم لا تتكلمي؟ لا لا لا
(بالمدرسين) تقتل الأطفاللا
عانت يرى النفس المرام حلالا
وقد استعلوا نهبهم استحلالا
قبسرا تضمن نسوة وعبالا

تلك المعاتل يرمحن مع النظبا
تقضى عيون بى البلاد مهايلا
ولرى ابن لندن تحون مصوبا
يا بن اللكمة^(٢) إتهن عقائل
يا بن اللكمة إتهن عقائل
يا بن اللكمة ماحلن صوارما
أهنلوهن إذا الأصول تقارعت
يا بن اللكمة تلك شبتك التى
وارعته لقريفة مفعوعة
محزونة غبا القضاء لأهلها
من غادة غال البقاء عفافها
ومصونة فى الحيز طار يلها
ماذا أرى؟ جن أحاط بضحى
ما هذه الجليات؟ لا أدري لها
أنا لست نائمة؟ وهذى جنة^(١)
ويلاه! ما لأى علقى نائلا؟
أعلى ناد أباه لا، أنا خائف
هذى جنود الإنجليز رأيتها
صاحوا بضمن البيت صيحة فاتك
فإذا متاع البيت يتهب بهمهم
ولرب دار بالفتائل أصبحت

(٢) جنة، جن.

(١) نخضوا ورمسهم، حركوها ورمزوها.

(٢) اللكمة، اللكمة.

وَأَبْ تَحِيْطُ بِهِ هُنَالِكَ صَيِّئَةٌ
ظُلْمًا تَسْؤُلُ بِهِ الْقِتَابِلَ فَهَوُ فِي
يَسَاءَ رَبِّهِ إِنَّ الْإِنْجِلِيزَ تَعَمَّدُوا
يَا رَبِّهِ مَصْرُ بِكَ اسْتَجَارَ ضَعِيفُهَا
فَأَنْقِ عَدُوَّكَ سَوْءَ مَا مَكْرُوا بِهِ
تَكِي عَلَيْهِ وَتَكْفُرُ الْإِعْوَالَا
جَوَّ السَّيَاءِ مَعَ الْقِتَاعِمِ شَالَا^(١)
إِرْهَاقُ مِصْرَ سَفَاهَةً وَضَلَالَا
فِي غَيْرَةِ تَنْزِي الدِّمُوعِ سَجَالَا
وَأَجْعَلْ عَوَاقِبِهِ عَلَيْهِ وَبَالَا

مخاطب مؤتمر الصلح بباريس سنة ١٩١٩

ومن قصيدة له أنشأها حين اعتقل سعد زغلول لأول مرة في أوائل سنة ١٩١٩، يذكر الثورة ويعاتب مؤتمر الصلح في إهماله مطالب مصر:

يادماء الشباب تجرى على الأثر
ما لباريس لاترى أهل مصر
كل شعب له بمؤتمر الصلح
ليت تعمري فهل أتاه كتاب
أو ترى أننا نراد اختلاسا
سفراء الملوك، ضجة مصر
كم رفعنا إليكم في شكاة
وسألناكم البلاغ فلم نسم
إن للنبيل ذمة وعهودا
لو حققت تلك الدماء اللواق
كان سهلا عليكم أن تصونوا
ض جسادا^(٢) به ترى مصر يطل
بين أهل السلام للعدل أهلا؟
ح نصير من البعث ومولى
أوتلقى من جانب النيل رُسُلا؟
في يياض النهار والشمس تجلى
حولكم من زبازم^(٣) الرعد أعلى
حُبَّة كالصباح أو هي أجلى
ح جوايا يرد في القمد نصلا
هي ذين عليكم ليس يهمل
أهرقتها بنادق القوم سبلا
أنفسا وردنا الردى كان سهلا

يندد بفظائع الإنجليز في إخماد الثورة

وقال في هذه القصيدة موجها حديثه إلى المارشال أَلْنِي الذي عهدت إليه بريطانيا قمع الثورة:

(٢) الزبازم جمع زبزة، وهي الصوت الجهد اللوى.

(١) تشول، تطر، والقشاعم؛ التهور.
(٢) الجساد (بالكسر): الزعفران.

قَاتِلَ لَهْ سَنَ عَلَيْنَا أَدْلًا
كَانَ هَذَا بِأَرْضِ (بَلْجِيك) ^(١) أَوَّلَى
فَلِذَا جَدَّ جِئْتَهَا عَادَ هَزَلَا
لَمْ تَكُنْ لِلْعُرُوبِ وَالسِّيفِ قَبِلَا
وَهِيَ زَيْنُ السِّيفِ هَزَا وَحَمَلَا
تَرَكَتْهُمْ حَوَادِثُ الدَّهْرِ عَزَلَا؟
لَفْ بِدَارِ الْأَمَانِ ^(٢) نَيْبًا وَسَلَا
سَرَّ بِلَادٍ وَلَمْ يُجِرْ لِلْحَرْبِ خَيْلَا
أَشْرَفَ الْمَوْتُ فَوْقَهُ أَوْ أَطْلَا
رَ لَدَيْكُمْ وَبِالدَّيْمَةِ تُبَلَّ
مِنْ حِيَاضِ الْمُنُونِ عَلَا وَتَهَلَا
جُبَيْتُمُ الْوَعَرَ مِنْ فِلَسْطِينَ سَهَلَا
فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ لِلْفُوزِ خَبَلَا
لَمْ عَلَيْكُمْ لَا تَتَكَرَّرُ الْعُجْمُ فَضَلَا
حَرَّمَ الْأَرْضَ غُمِرَةً أَنْ تُقْلَا
مِيَزَ عَنْهُ وَنَاءَ بِالْعَبَةِ حَمَلَا
تَقْضِخُ الْجَارِيَاتِ وَزَيْنًا وَكَيْلَا ^(٣)
كَمْ يَهَا الْقَطَنُ كُلُّ عَامٍ أَمَلَا
مَا وَفَيْتُمْ مِنْهَا الْقَلِيلَ الْأَمَلَا
إِنْ تَقُولُوا قَدْ يُنْكَرُ الْفَضْلُ جَهَلَا
مِنْ هِيَاتٍ مَا جَاوَزَتْ بِهْدُ حَوْلَا
تُجِمْ فِي الْوُغَى وَبَاءَ وَقْتَلَا

أَيُّهَا الْقَائِدُ الْمُبِلَّ عَلَيْنَا
صَلَفَ بَيْنَ أَهْلِ مِصْرَ وَعَجَبَ
صَلَفَ جَدَّ فِي مِوَاطِنِ هَزَلَا
عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ مِصْرَ بِلَادَ
مَنْعَتَهَا الْأَيَّامُ حَمَلُ الْمَوَاضِي ^(١)
فَلَيْمَ الْكَمِيرِيَاءَ بَيْنَ أَنْاسِ
أَيُّهَا الْقَائِدُ الَّذِي حَمَّرَ السِّبْ
عَلَّمَ الْخَيْلَ كَيْفَ تَقْتَالُ فِي غِيَا
إِنَّمَا يَحْمَدُ لِلْمَخِيلَةِ ^(٢) يَوْمَ
مَا لِمِصْرَ تُجْمَزَى جِزَاءً بَيْنَهَا
وَأَرَاكُمُ لَوْلَا بَنُوهَا سُقَيْتُمْ
سَاءَلُوا الشَّامَ هَلْ يَغِيرُ بَنِينَا
أَوْ مَسَدَدْتُمْ يَغِيرُ أَهْنَاءَ مِصْرَ
إِبْلُ مِصْرَ وَأَتَهَا ^(٣) تَعْرِفُ الْفَضْ
لَوْ دَرَى النَّبِيلُ مَا سَبَقَتْهُ بَنُوهُ
كَمْ ظَفَرْتُمْ مِنْهُ بِمَا عَجَزَ (الْعَا)
كُلُّ عَامٍ تَجِبِي إِلَيْكُمْ حُبُوبُ
وَقَنَاطِيرُ مِنْ نَضَارِ يَوَافِيهِ
نَعْمَ لَوْ أَرْدَقَوْهِنَّ شُكْرًا
مَا جَاهَلْتُمْ لِمِصْرَ فِيهَا صَنِيعًا
أَنْسَيْتُمْ لِمِصْرَ مَا مَنَعَتْكُمْ
أَمْ نَسَيْتُمْ أَهْنَاءَهَا يَفْتَكُكُ الْمَوُ

(١) يشير إلى حركة الحلفاء أمام الزحف الألماني في بلجيكا إعلان الحرب العالمية الأولى.

(٢) المراضى: السيوف.

(٣) التميم: اغمد السيف.

(٤) المخيلة: الكبر.

(٥) الآن: للمعنى: والسجم: البهائم...

(٦) الجاربات: السنن: وتقضخها: تسكرها، لظفها وكثرتها.

وختمها بقوله:

معشر الإنجليز مصر لأهلها ها ومن ظن غير ذلك ضلّا
معشر الإنجليز مصر استقلت وجديرٌ بالنيل أن يستقلّا

يخاطب مؤتمر الصلح أيضًا وينادى بالاستمرار في الكفاح

ومن قصيدة أخرى له سنة ١٩١٩ يخاطب مؤتمر الصلح بباريس، وينذر بالاستمرار في الكفاح إذا لم تحجب مطالب مصر:

أباريسُ إن كانت لضيْفِ كرامة
أباريسُ إن تدنى العدالةُ وافتدا
أباريسُ كم للنيل عندك من يد
ومن شكرها أن تصرفوا حقَّ أهله
حرامٌ عليكم أن يراق له دم
فيما أمراء الغرب دعوة مُسمع
سلوا جلفكم عما جرى في ديارنا
وما هذه الفخارات يعلو صريخها
وما هذه الأجسادُ في كل بلدة
إذا طُفح الخزان من دم أهله
نرى الحرب فيما بينكم جفَّ عودها
على غير ما ذنبٍ جنيها فما لنا
فيما عجبًا شهب يساق بأرضه

لديك فضيف النيل أبلغ من يُثني
عليك فأهل النيل أكرم من تدنى
تناقلها التاريخُ قرْنًا إلى قرن
والأ تسوموا (وَقَدْ) صفقة القرن
حرامٌ وأنتم قادرون على الحقن
يُصرح في رفع الشكاوى ولا يكنى
وما جرحوا بما يشين وما يضي
موجبته هذى تروغ وذي تُفنى
مُصرعة فوق التراب بلا دفن
فقم دم في الثغر يُربي على الخزن
فما بالها في مصر ناضرة الفصن؟
نسام الدنيا لم نحارب ولم نجبن
أسيرًا إلى دار المذلة والسجن



ملوك الوَرَى لن يترك النيل حقه ولو مزقونا بالمحققة اللذن^(١)
ملوك الوَرَى لن يترك النيل حقه ولو طحنوه بالمقذفة الذكن^(٢)

(١) يريد بالمحققة اللذن الرياح القوية.

(٢) يريد بالمقذفة الرصاص والقنابل. والذكن: ما تضرب إلى السواد.

ظننا بهم خيرًا من الدهر حِقْبَةً فكانت قصارنا بهم خيبةً الظن
صبرنا وأشهدنا الأتنام عليهم إلى أن رَمَوْنَا بالمهانة والجبن
ثلاثين عامًا بعدما سبعة خلت طوال الليالي السود حالكة الدجن
عواصفُ بأسٍ ينشدها النهل تحتها نَقَمْتُ الرضا حقَّ على ضاحك المزن
سَقَوْنَا بِهَا مُرًا من العيش آجِنَا وبِالْيَتِيمِ لم يرهقوا الناس بِالْمَن
فلن تَصِفُوا أَبْنَاءَ مِصْرَ فِئْتَةً لكم أَبَدًا نُثْقُ عليها بِمَا نَتَقُ
وإلا رددناها عليهم كَرِيحَةً وللدهر شأن لا يُقَاسُ على شأن

رثاؤه لمحمد فريد

ولما جاء نبي الزعيم محمد فريد في منقاه (نوفمبر سنة ١٩١٩) - وكانت مصر في إبان الثورة - رثاه بقصيدة مؤثرة تفيض وطنية وبلاغة قال:

سَلُّوا جَفَنَ عَيْنِي مَا لَه بَات يَنْزِفُ وعهدى به إن سُمِّتَ الدَّمْعُ بِأَنفُ
وَمَا رَبُّ هَمٍّ يَمْلِكُ النَّفْسَ بِالْأَسَى ويمدو على العين الجمود فتزف
وَمَا أَنَا مَا دَعَا فِي مِصْرٍ أَنَّهُ بها الطير نوح والغمام كُفْ^(١)
بَكِينٍ غَرِيْبًا طَوَّحَ الْبَيْتُ دَارَهُ فلا العودُ مأمول ولا الدارُ تعرف



وما أنكرت مصرُ أنها فَنَبَتْ به ولكنه دهرٌ على الحرِّ يُجْنِفُ^(٢)
ثوى غربةً بعد المهاد قرأها فيا طول ما يستشرف المُتَشَوِّفُ
وكتبا حسينا شَقَّةَ الْبَيْنِ تَنْطَوِي فيأوى إلى مِرْبَاعِهِ الْمُتَصَيِّفُ^(٣)
وأطمعنا في الملتقى لَحْ بَارِقٍ من السُّلَمِ في ليلِ الحوادثِ يُخْطَفُ
فلم نر سُلًا ينتهى النَّأْيُ عِنْدَهَا بناءً ولا حتمَ الردى يتخلفُ



بَعِيثٌ مِنْ نَادَى مَنَادِيهِ لِلنَّوَى فَوَدَّعَ لَا يَأْنِي وَلَا يَنْوَقِفُ

(١) وكف: مرسلات بانها.

(٢) أجنف: جاز وعط.

(٣) المرباع: المكان ينبت في الربيع؛ والمصيف: المصاطف.

لها حُرْقُ تُدْمِي القلوب فتَنْطَفِ
يكاد لها من تحتها البحر ينشَفُ
يكفكفها كِبَرًا فلانتكفكف
قسا أهله جهلا عليه وأجْنَفُو
يُحَقُّ عليها جازم أو يُعْتَفِ
إذ الدهر ألوى والمحوادث تَصِفِ
تؤيدنا يوم العتاب وتُنْصِفِ
بني حَذَبٍ يُقْسِي عليه فيرَأَفِ
هو الدهر في أحكامه يتَصَفِ

يُدافع الَأَمَّا تياسرن قلبه
ففى قلبه مما دهم النيل زفرة
وفى عينه من لوعة البين غيرة
وفى نفسه عَتَبَى على البلد الذى
برمت بنا يا مصر لا عن جناية
وكيف تناست مصر حسن بلاتنا
مواقفنا يا أم فيك شهودها
وريدك نفساً أنكرت فعل قومها
على رغم قومي ما لقيت وإنما



وللنيل ما ألقى وما أتكلف
فيجمحتنا يوم بمصر وموقف
ومالى من أسبابها أتخوف
بأن المطايا بي إلى الموت تزحف
بلاتى تحبو في الإسار وترسُف
أليّة^(١) من لا يمتري حين يحلف
فلما الرئى أو يُنصف النيل مُنْصَفُ
وحبيبه ستر من الغيب مُسَجَفُ^(٢)
وبين ديارينا جبال وصَفِصَفُ^(٣)

سلام على قومي، وداعيا بنى أبي
وما موقف التوديع هل تُسعد المني
أخاف المنايا أن يكن روادعا
تحدثني طير جرّين بوارحا
ويحزننى ورد المنايا ولم تزل
حرام علينا أرضها وسماؤها
ويا فلک باسم الله مجراک أقلمى
فبا كان إلا ن طوى البحر والثرى
فدون تلاقينا ليال وأشهر



على همة من ههنا الدهر يكلف
عواد إذا صبت على «الألب» عَجْ حَرْف
جدير بها الليث المصور الملقف

هنالك ألقى في بنى الغرب رحله
بعميد المرامى لا تهد صفاته
تَقْدَفُه في زاخر اليأس همة

(١) الأليّة: القلّة.
(٢) جبال الألب المشهورة.

(١) الأليّة: القلّة.
(٢) أسف القرب: أرسله.

سوى الحق أو يئسوا لباس فيضعف
وفي الغرب للعاق مراد ومألف
وأنيابها من شدة البأس تصرف
على القر أسمال به يتلقف
تجلد لا يشكو ولا يتأفف
وفي مصر ييكبه البناء المطفف
هم تعلق هام الفخار ونشرف
على البأس ماض ذو غراين مرفف
بذكرهم تلهو القيان وتعزف
نمتهم لعلها ممد وجندف^(١)
مناقهم ووق من الفخر هتف



مضى قومه والحمر لبحر ينصف
من الغرب ناع قام باسمك عطف
رسائلهم بالوجعات وأرجفوا
على قرش البلوى يبرلين مذبذب
وقاموا بأكتاف السرير وطوفوا
وتبكي له منهم قلوب وترجف
من الموت مضى دأوه يتجوف
كؤوسا بالاستقواء للنفس تحطف
عليك بئها، والردى ليس يصرف
بنو مصر غالوا في الفداء وأسرفوا
بما جمعوا من تاليد أو تطرفوا
براها الأسى من بعده والتلف

وهيهات أن يخشى أخو الحق قوة
ثوى في بلاد الغرب بالنيل عائيا
يصرف أحداث الليالي غواشيا
فطوراً تراه في «جنيف» لباسه
إذا صغرت من ذات دنياه كفه
ويأوى إلى بيت وطى عماده
ويكفنه من فتية النيل أنجم
إذا احتدمت للباس نار فعلهم^(٢)
وإن ذكر المجد القديم فإفا
إذا ما انتمى قوم لدنيا جدودهم
وإن ذكروا أبناء قرعون رجعت

فيما تُسمع الأحرار من كل أمة
لقد فجع «الفسطاط» فيك وأهله
لقد فجعونا فيك يوم تتابعت
فيما ويح يوم قال فيه غريها
بروحى إذ جاء الأطباء خُشعا
يعلله بالقول منهم مُبشراً
تجوفه الداء العضال وهل نجا
قضى الله أن يُسقى «قريد» بأرضنا
يعز على «برلين» أن يفلب الردى
أطباءه: لو يستطيع فدائه
فليلاً عليه لو يُفدّيه قومه
فليت الليالي سالت فيه أمة

(١) الطلم: الضخم العظيم

(٢) سعد وختلف حيان من العرب: يريد أن أصولهم عريقة في السب والشرف

عرفنا له بِرَ الوَفَى بعهدهما إذا خان قومٌ عهدَ مصر فلم يَفُوا
أفاض عليها نفسه بعد ماله ومالَ بهم عنها متاعٌ وزُخرف
ولولا رجال مؤمنون نَجَوْا بها لراحت بها ريح من الغدر زُفَرْف^(١)

يندد بالفرقة والانقسام، ويدعو إلى الوحدة

وحين حدث الانشقاق في الوفد سنة ١٩٢٦ وقام الخلاف بين سعد وعدلى وانقسمت الأمة تبعاً لذلك، نظم قصيدة يندد بالفرقة والانقسام، ويدعو إلى توحيد الصفوف قال فيها:

كنا أشقاء الإخاء فما لنا جِرتنا بني العِلَّات والأخْياف^(٢)
بالأُمس كان إخواننا مثلاً وكنا زينة الخلطاء والأُلاف
كنا إمام المشرقين سيِّدنا قَصْدٌ ومشرعنا نمرٌ صافي
يترسمون على الحياة طريقنا للحق في الإيضاح والإيجاف
فإذا بنا جارت هَوادى رُكْبتنا عن منهج الأَبلاء والأسلاف
عَهِتْ يوحِدتنا الخطوبُ وأُعلمت في غُرس أَيْدِنا يَدُ الإِتلاف
والخصم يجعل بيتنا للشر في ثوبين ثوب مُوافِق ومُنافي
مُتَمَرِّ يُغري المداوة بيتنا بالكيد والتفريق والإرجاف
أو ليس فيما قد مضى من عِبرة لبقى أبى والأَمْرُ ليس بخافٍ؟
أو لم يَرَوْا أو يسمِعوا نَغْرَ الردى تَطْوَى إلينا لُجَّةُ الرِّجاف^(٣)
هذى تُلَوِّحُ بالوعيد وتلك تر مِنّا به في لهجة الأَجلاف^(٤)
جعلوا صحافتهم مظاهرَ كيدهم فتزاورت جنفاً عن الإنصاف
صحف يضيّع الحق في ألوانها صوراً يَزِيدُ بها على الآلاف
الحق فيها كل ما شاء الهوى حُكْمٌ تؤيده بلا استئناف
فليمتدّ قومي كفى ما قد جرى من ذات خلف بيتنا وتنافي
لا تُوجِعُوا تلك القلوبَ فحسبها جلم أصاب من الزمان الجافي

(١) زُفَرْف: شديدة الميول في دواهم.

(٢) العِلَّات: جمع عِلَّة وهي الضرة. والأخْياف: الذين أبهم واحدة وأبهم شق.

(٣) الرِّجاف: البحر: سسى به لاضطرابه.

(٤) الأَجلاف: جمع جلفه وهو الرجل الجلف.

عشر كواملُ في الخلاف فهل بما من ذلك الداء اللبرح شافى
 شربت من الأيام كل مرتى من كل مر بالخطوب زُعاف
 أبى أبى، ودوا القلوب إلى الملقى وتتهوا فالبحر ليس بفائق
 الوفد منا والحكومة بعضنا هنا أخو هذا خير خلاف
 والنسر غايته البوار ومن أبى فاقه للشعب الروع كافى



أحمد زكي أبوشادى

ولد سنة ١٨٩٢



هو الشاعر المجيد، والأديب الحر المفكر، الدكتور أحمد زكى أبو شادى.

ولد سنة ١٨٩٢ بالقاهرة، من أسرة عريقة في الوطنية، وأبوه المرحوم محمد أبو شادى أحد كبار المحامين الذين نالوا المكانة الرفيعة في عالم المحاماة ومن جاهدوا في الحركة الوطنية، ووالدته السيدة أمينة نجيب من السيدات الأدبيات الشاعرات، وكان أخوها المرحوم مصطفى نجيب^(١) أديباً وطنياً وصديقاً ونصيراً للمرحوم مصطفى كامل.

أتم دراسته الابتدائية ثم الثانوية في المدارس المصرية، وظهرت مواهبه الشعرية والأدبية في هذه المرحلة من الدراسة، وكان من تلاميذ مصطفى كامل في الوطنية، ودخل كلية الطب بالقاهرة، ولم تصرفه الدراسات الطبية والعلمية عن الاستمرار في دراساته الأدبية، فأحب الشعر وتفوقه، وأقبل على نظمه وهو في هذه السن المبكرة، وشعره رقيق ممتع، يمجّد الوطنية وينزع إلى الحرية والتجديد والخروج على الأساليب القديمة، واحتفظ بهذا الطابع على تعاقب السنين، وأكمل دراسته الطبية في إنجلترا، وتعمق في الآداب الإنجليزية إلى جانب دراسته من قبل للآداب العربية، وازداد تعلقاً بالتجديد في الأدب والشعر، ولما عاد إلى مصر تنقل في مناصب الحكومة وصار أستاذاً للبيكولوجيا بكلية الطب بجامعة الإسكندرية ومديراً للمعمل البيكولوجي بالمستشفى الحكومي بها.

كان ولا يزال يصدر في شعره عن إلهامه وعقيدته وإيمانه، وفي ذلك يقول عن نفسه: وهل كان شعري غير إيمان مهجق وعشقى وإحساسى ولحنى المرثد وكون مدرسة أدبية تزعمها ترمى إلى الثورة على القديم والدعوة إلى الحرية في الفكر

(١) والد الأديب الأستاذ سليمان نجيب

والأدب والفن، وكان لهذه المدرسة مجلة أدبية تسمى مجلة (أبولو) الشعرية الأدبية، أصدرها أبو شادى فى القاهرة سنة ١٩٣٢ وكانت ندوة لأنصار الجديد من الشعراء والأدباء، وتكون المجلة الشعرية الوحيدة التى ظهرت فى العالم العربى، وقد استمرت نحو ثلاث سنوات ثم احتجبت.

وقد صادف أبو شادى فى حياته الحكومية والأدبية عنتا وأذى من رؤسائه وأنداده، واستهدف من أجل نزعة الحرية لشقى ضروب المناوأة، فاعتزم الهجرة من مصر، وهاجر فعلا إلى نيويورك فى سنة ١٩٤٦، وهناك رحبت به الدوائر الأدبية والعلمية ترحيباً عظيماً، وأخذ ينشر فى الصحف والمجلات العربية والأفريقية فى أمريكا ثمار أدبه وشعره، ونفحات آرائه وأفكاره، كما أخذ يذيع من «صوت أمريكا» مرتين فى الأسبوع، وأسس فى نيويورك (رابطة مينرفا) الشعرية الأدبية على غرار (جمعية أبولو) وقدرته الحكومة الأمريكية والجامعات والمعاهد والمؤسسات الثقافية فى العالم الجديد وانتخب أستاذاً للأدب العربى بمعهد آسيا بنىويورك، وهو يتولاه إلى اليوم^(١) بجدارة تفخر بها مصر، ويعد أبو شادى رائداً من رواد النهضة الأدبية والفكرية الحديثة، وهو رغم هجرته إلى العالم الجديد دائم الصلة بوطنه بواسطة الصحافة فى أمريكا وفى مصر، وبواسطة مريديه وتلاميذه الممتازين الذين اقتبسوا من روحه التقدمية وتعلقه بالحرية وإيمانه بما يقول ويكتب.

وهو فى أحاديته ومحاضراته لا يفتأ يذكر مصر ويناضل عنها ويحن إليها ويشيد بها ويعلمانها وأدبائها وكتابها وتاريخها، وهو فى غربته خير سفير أدبى لمصر فى العالم الجديد. وله عدة دواوين من الشعر نعى فيها منحنى التجديد والابتكار. وحلّق فى سماء الفن والخيال والسمو الفكرى.

نذكر منها ديوان «أنداء الفجر» وهو أول دواوينه ومختارات من نظمته سنة ١٩١٠. و «أنين ورنين» وهو صور من شعر الشباب. و «الشفق الباكي» وقد ظهر سنة ١٩٢٤. و «الينبوع». و «أشعة وظلال» وقد نشر سنة ١٩٣٦. و «أطياف الربيع». و «غوى العباب» وقد طبع سنة ١٩٣٥. و «عودة الراعى» وقد ظهر سنة ١٩٤٢.

ومن آخر دواوينه «من الساء» وقد ظهر فى نيويورك سنة ١٩٤٩ ويضم معظم شعره من سنة ١٩٤٦ إلى سنة ١٩٤٩.

هذا ماعدا ما أخرجه من الكتب والمؤلفات والقصص والمسرحيات.

(١) وقت ظهور الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩٥٤.

رثاؤه لمصطفى كامل

قال من قصيدة له في فبراير سنة ١٩٠٨، وكان ما يزال طالباً بالمدرسة الثانوية يرنى مصطفى كامل:

يا مصر حَلَّقَ طَيْرُ اليأس في أفقٍ دَاجَ بِأَحْزَانِ شَعْبٍ كَانَ سَالِيهَا
مَاتَ الرِّئِيسُ فَمَاتَتْ بِعَدِهِ هِمٌّ قَدْ كَانَ نِيرَاسَ فِكْرٍ مِنْهُ يَجْلِيهَا
إِلَى أَنْ قَالَ:

سَارَتْ بِهِ أُمّةٌ أَحْمَا مَدَارِكَهَا حَتَّى إِلَى الْقَبْرِ وَارَتْ فِيهِ حَامِيهَا
وَدَّتْ لَوْ أَنَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَأْتِيهَا وَتَلْكُمُ النَّفْسَ هَذَا الشَّعْبَ يَفْدِيهَا
وَالْكُلَّ يَلِيسُ ثَوْبًا لِلْحَدَادِ أَسَى عَلَى الْفَقِيدِ وَمَا مِنْ ثَمْتٍ يَهْدِيهَا
أَبْصَارَهَا تَكْتَسُ مِنْ فَوْقِهَا كَتِيتَ عِبَارَةً كَانَ صَدَقَ الْحَسَّ يَلِيهَا
يَا مَصْرَ الْفَتَاةَ مَرُورَ الْعَمْرِ تَذْكُرُهُ لِرُوحِهِ لَمْ تَزَلْ تَعْدُو أَمَانِيهَا

مفخرة رشيد

وله في سنة ١٩٢٥ قصيدة وطنية من نيف وستين بيتاً، نظمها تمجيداً للذكرى معركة رشيد التي وقعت يوم ٣١ مارس سنة ١٨٠٧ بين المصريين والإنجليز وقاز فيها أبطال رشيد على الجيش البريطاني الذي زحف على مدينتهم يريد احتلالها، قصموا له وقابلوه في الشوارع واستبسوا في الدفاع عن مدينتهم حتى صدوه عنها وهزموه وارتد عن المدينة بعد أن فقد في المعركة ١٧٠ قتيلًا و ٢٥٠ جريحاً و ١٢٠ أسيراً^(١)، وكانت هذه المعركة حقاً مفخرة لرشيد وأشاد أبو شاذى أيضاً في قصيدته بالمعركة الثانية التي وقعت في (الحمام) وانتهت كذلك بهزيمة الجيش البريطاني.

قال:

رَوَّحِينَا بِأَحَادِيثِ الْجَلَالِ وَبَنَقِجٍ مِنْ هَوَاهِمٍ غَيْرِ بِالرَّ
وَأَسْمَجِي (يَا مَصْرُ) أَنْ تُزَجِّيَ لِمُمْ مُنْتَهَى فُخْرِ رِجَالٍ بِرِجَالِ
مَا عَزَفْنَا قُدْرَتَنَا إِنْ لَمْ نَحْزُ سِيرَةً مِنْهُمْ تُغْشِيْنَا بِحَالِ
وَبِأَمَالٍ لَا تَغَالِبُ إِنْ أَقَى الْمُجْدِ مِنْ مَاضَى الْخِيَالِ

(١) راجع في تفصيل معركة رشيد كتابنا (تاريخ الحركة القومية الجزء الثالث - عصر محمد علي).

خاطئي مَنْ ظَنُّ ماضيه بلا
ماتما شعب بلا جهْدِ مَضَى
هى أحلامٌ وأعمالٌ بَنَتْ
هو مهْدٌ وَلِدَتْ فيه العُلَى
لم تحيى طَفْرَةَ جيلٍ لَاعِبٍ
كابرٌ عن كابرٍ قد صانها

مُرْشِدٍ يَهْدِي إلى غالى المآلِ
وَتَبَقَى فيه تَذْكَارُ الغمالِ
في سنينٍ وسنينٍ كلُّ غالٍ
بأناتٍ وكفاحٍ ونوالٍ
إنما جاءت على طولِ اللَّيالى
بمراعاةٍ وأخلاقِ المعالى

إلى أن قال محييا ذكرى أبطال رشيد الذين صدوا جيش الغزاة المستعمرين :

رَوَّحِينَا (مصر) مِنْ ذَكَرَاهُمُو
بَلَّغِينَا كَيْفَ أَوْدَى عَزْمُهُمْ
كَيْفَ هَزَّوْا قُوَّةَ أَكْبَرِهَا
كَيْفَ ضَحَّوْا لِلرِّمَالِ دَمَهُمْ
كَيْفَ أَفْتَنُوا مِنْ جُنُودِ صَوْنَتِ
كَيْفَ كَيْفَ اسْتَبَسَلُوا فِي وَاجِبِ

تِلْكَ ذَكَرَى عَنْ بُلُوغِ لُحْصَالِ
بِصَابٍ قَمَنْ أَقْسَى مِنْ جِبَالِ
عَالَمِ الْقُوَّةِ وَالْحَرْبِ الضَّلَالِ
فِي دِفَاعِ الْعَزْ عَنْ تِلْكَ الرِّمَالِ
نَحْوَهُمْ أَقْوَى مُعَدَّاتِ الْقِتَالِ
وَأَقَامُوا الْمُلْكَ وَضَاءَ الْخِلَالِ ؟



يا (رشيد) الذِّكْرُ حَيٌّ خَالِدٌ
أَنْتَ تَفْرُ نَاطِقٌ فِي رَسْمِهِ

لعظيم الجُهدِ ممدومِ المثالِ
حُرْمَةِ المَاضِي (التَّيْلِ) الزَّلَالِ

إلى أن قال :

مِثْلُ مَا أَذْكَى لَهَا شَبَاهَا
كَالْجِرَادِ نَشْرُهُمْ فَيْكَ عَلَى
فَلِإِذَا الْعَادُونَ جَاءُوا مَا بِهِمْ
وَأَنْتَ فَرَقْتَهُمْ فِي نَشْوَةٍ
بَيْنَ قَتْلَى وَحِيَارَى هَرَبُوا
ثُمَّ جَاءُوا فِي جَمِيسٍ لِحِيبِ

فَتَحَدُّوا خَصَمَهُمْ قَبْلَ السَّوَالِ
رَبَوَاتٍ يَرْقُبُونَ وَتِلَالِ
أَقْبَقَةُ إِلَّا وَضَاعَتْ فِي مَلَالِ
عَنْكَ قَارَتِلَتْ خِيَالًا فِي خِيَالِ (١)
وَضَحَايَا لِإِسَارٍ وَعِقَالِ
وَعَوَادٍ لَمْ يَكُنْ جَالَتْ بِبَالِ (٢)

(١) يقصد معركة رشيد.

(٢) يقصد معركة (الحامد) التي تقع جنوبي رشيد بين التيل وإدكو؛ وقد وقعت فيها المعركة الثانية بين الإنجليز والمصريين يوم ٢١ أبريل سنة ١٨٠٧؛ وكانت أشد وأقوى من معركة رشيد، وهزم فيها الجيش البريطاني أيضا هزيمة ساحقة، انتهت بفشل الحملة البريطانية وجلاء الإنجليز عن الديار المصرية في سبتمبر سنة ١٨٠٧.

مِنْ مِتَارِسٍ كَفَّتْ رُؤْيُهَا
وعديد بين باغى مدفع
وَأَبَوْا إِلَّا حَصَارًا هَائِلًا
وَعَنِمْتُ كُلَّ مَا كَانَ لَهُمْ
رَحَلُوا رَحْلَةً جَانِ ضَائِعِ
لِحْسَابٍ وَعِقَابٍ وَنِكَالٍ
أَسْوَدَ الْوَجْهِ وَإِمْدَادٍ مُوَالٍ
فَدَعَمْتُ الْحَصَرَ دَقْعًا بِالْعَوَالِ
مِنْ شُمُوخٍ وَإِبَاءٍ قَبْلَ مَالٍ
بِشْ يَوْمَ الْخُسْرِ مِنْ يَوْمِ ارْتِحَالٍ

* * *

هكذا بالأسر تحيا أمة
هكذا بالوحدنة الحسناء لا
إِنَّ شَمًّا يَتَحَدَّى (انجلتروا)
وَيَنْتِنِ يَنْشُدُونَ مِثْلَ مَا
إِنَّمَا الْأَمَّةُ مِنْ أَقْرَابِهَا
لَا يَخُوفِي أَوْ غُلُوٍّ أَوْ خَبَالٍ
يَعْتَمُ الْإِصْبَاحُ أَبْنَاءَ الْهَلَالِ
فِي مَجَالِ الْحَقِّ شَعْبٌ لَا يُنَالِ
أَحْسَنَ الْأَبَاءِ أَوْلى بِاكْتِمَالِ
فِي ثَبَاتٍ وَوَفَاءٍ وَنِزَالِ

إلى أن قال:

إِسْهُ قَوْمِي قُمْتُ فِيمَكُم ذَاكِرًا
وَأَنَا الْيَوْمَ طَرُوبٌ ذَاكِرِ
فَلَمَّا كَلَّمَا عَنَّا مَا
أَيُّ مِصْرِي دَرَى مَا لَقْنَا
أَيُّ جَمْعٍ مِنْ خِصَالِ خِرَّةٍ
أَيُّ شَعْبٍ فِي جَلَالٍ وَسِيٍّ
كُلُّنَا فَرْدٌ لَهُ أُمْتُهُ
لَا سِبَاتٍ - هَانَ أَمْ طَالِ بِنَا -
فِي طَلَابِ الْمَجْدِ - أَنْ تَمُضِيَ بِنَا
خَابَ مَنْ ظَنَّ الرِّقَادَ مِيتَةً
(نافرين) الْأَمْسَ فِي مُشْغَى الْغَالِ
دُرَّةُ التَّارِيخِ شَعَتْ كَاللَّيْلِ
يَحْفَظُ التَّارِيخَ مِنْ غَالٍ وَحَالٍ
مِنْ عِظَاتٍ ثُمَّ أَضْعَى وَهُوَ سَالٍ؟
لَمْ تَكْرَمْ جَمْعَ هَاتِيكَ الْخِصَالِ؟
يَدْعَى أَنَا عَبْدٌ وَمَوْالٍ؟
حَظُّهُ بِلَ تَقْصُدُهُ فِي كُلِّ حَالٍ
مَا يُؤَدِّي بِمَلَانَا لَانْخِلَالٍ
فِتْرَةٌ لِلْهُوِّ أَوْ دَوْرٌ انْتِقَالٍ
كَمْ أَسْوَدَ رَقِيدَتْ تَحْتَ الظَّلَالِ!

* * *

أَنْ رَجَعَ الْجَهْدُ قَوْمِي فَاَنْفَضُوا
بِسِلَاحِ الْعِلْمِ قَبْلَ السَّيْفِ قَدْ
سَنَةَ اللَّهِ وَهَيَّا لِلْمَجَالِ
صَارَتْ الْحَرْبُ أَعَاجِيبَ اشْتِفَالِ

رَبِّ خَيْطٍ مِنْ نَسِيجِ الْقَطَنِ لَا
يَبْلُغُ الْمَدْفَعُ مِنْهُ كِفَعَالِ
عَالَمٍ فِيهِ الْفَنُونُ قُوَّةُ
وَالصَّنَاعَاتُ، وَلَيْسَتْ لِلْجِدَالِ
عَمَلٌ مُسْتَتَبِعٌ لَا يَنْقُضِي
لَا قِصَادٍ وَلَا نَفْعٍ وَاشْتِمَالِ



أَمْسَى ! أَحَلَّى دُعَائِي دَعْوَةً لَكَ مِنْ قَلْبِي يَا أَسْمَى ابْتِهَالِي ؟

رثاؤه لفريد

قال سنة ١٩١٩ من قصيدة له في رثاء محمد فريد :

سلوا (برلين) عن حل فيها يفتت كبده المرض العنيد
مضى يستوهب الأيام عمرا تتم به المساعي والجهود
قلم يذهب بعلمه طيب ولم يكتب له عمر جديد
وغرَّ على السرير وحب مصر على تبريح علقته يزيد
فيها لحنى عليك وأنت كهل غريب عن أحبه بعيد
تموت فلا ترى مثواك أم ولا أخت ولا زوج وهود
ولا يروى ثراك أخ شقيق بل معته ولا طفل وليد

الحياة كفاح

قال سنة ١٩٢٣ من قصيدة له عن (المجاهد الجريح) يصف الحياة وأنها كفاح وجهاد :

شهدتُ من الدنيا المارك والنقْ تشوق الفقى نحو المارك والحطْب
فصرتُ كجندى جريح مضد يئن ولكن كم يحسن إلى الحرب
وهرب من حكم الحجا في وثوبه إلى ساحة الهجاء والموقف الصعب
توالت جراحاتي وأوذيت دائيا وهيئات القهر من سلاحي ومن دأبي

يدعو الشعب إلى مجاهدة الفساد

وقال من قصيدة له في ديوانه (عودة الراعي) سنة ١٩٤٢ :

يا شعبُ قم وانشد حقو فك فالحنوع هو المات

تشكو الغريب وعلة الشـ كوى الزعامات الموات

قد عمت القوضى وقد دب الفساد بكل شئ
فإذا سكنت قلن تُعـ دُ ولن يفى لك أى حى

ما دمت تقبل أن تكـ ون من الضحايا كالعييد
سيسومك القوام والأسـ ياد ألوان القيود

يا شمْبُ كيف تطالب الفـ رباء بالبر السخى
وتطبق مُلكك فى عـ باق وفى نهى وغى

هيهات يُعطى الحق من ألف التهاون فى الحقوق
هذا هو المعدل الصحيح وغيره عَيْن المروق

انهض وحاكم بائبك إلى الهوى وإلى الفساد
أو مت ذليلاً لا يُقا من بذله حق الجهاد

يودع مصر

وقال يودع مصر ويذكر أسباب هجرته فى قصيدة له عنوانها (لم أرتحلت؟):

سألوني لم أرتحلت؟ كأتى لم أجيبهم يسيرنى نصف قرن
شادياً بالطلق من شعرى الباكى أغنى لمجدهم ما أغنى
وحياتى لعزهم فى كفاح ككفاح الشعاع فى وسط دجن
مُثل ان تحدد نوعاً وعدا كنجوم السماء فى كل فن
وتبلغت بالعذاب وبالمؤس مرارا وكل حظى التجنى.

وكأنى وحدى المسىء بإحسا
ما كفاهم أنى أعانى وجودى
ما كفاهم أنى أواصل ليلى
ما كفاهم أنى أضخى بروحى
ما كفاهم أنى تناسيت نفسى
ما كفاهم أنى لم ذلك الرا
ما كفاهم أنى ارتضيت شقائى
ما كفاهم هذا وهذا فنادوا
ثم حالوا بين الثاليلة العد
فترحلت حيث تحترم الأحرار
وأظلم الوقى رغم اغترابى

فى لعصرى أو أنه لم يسمنى
فى وجود بقاؤه محض غمين
بتهارى لأجلهم وسط من
حينما عزم من يضخى ويفنى
فوق نسيانهم حقوقى وأمنى
تد يشقى كالراح فى أسردن
لى جزاء وهدمون وأبنى
بعقوقى وماراعوا حق سنى
يا لفكرى وبين شعى وبينى
وحيث الهواء طلق لنهنى
لملادى ما غيبت قط عنى

القلب الباكى

ومن قصيدة نظمها فى عيد ميلاده عام ١٩٤٨ يناجى فيها الوطن قائلا:
يامصر لولاك ما فارتقت فى حرقتى
أهواك فى غربتى أضعاف ما سمعت
ما العيد عندى فى مياهجه
على سلام وفى حرية شملت
الثلج حولى أحرق فى تحرره
والنفى أسعد أيامى إذا فرضوا
يارب مقترب فى حكم مقترب

أزكى الجنان، ولا عوقبت لولاك
به المقادير فى غربى، وأهواك
أنا الغريب فميدى يوم ألقاك
لا أن أعبود لأغلال وأشراك
على فؤادى من ضيم بدنياك
ذل الجباه لألئون وأفأك
وضاحك كل ما فى قلبه باك

الحنين إلى الوطن

قال يصف حنينه إلى الوطن وتعلقه به فى غربته:

نفيان: نفى مغرب عن أمتى
وحياى الأفراس شقى مالها
قالوا فررت وما فررت وإنما

عانى ونفى مصائب فى وحدتى
حدّ فلا ألقى النعم ينعتق
كافحت فى وطن به حريق

وضربت بالحرمان أمثال الهدى .
 لم أعن بالأشكال قدر عنايتي
 حرق البخور لمن أذلّ بلاده
 وجعلت ما عانيت قربانا لها
 وطني! رضيتك منصفًا في قدره
 للماملين وكم شقيتُ لأمتي
 بتمسكي بمبادئ في ثوري
 وحرقت في إعزازها من مهجتي
 وأطلّ في سقمي وفي شيخوختي
 جهدي وإخلاصي وغاية غيرتي

يتشوق إلى مصر

ومن قصيدة له في حفلة أقيمت لتكريمه في نيويورك سنة ١٩٥٠ :

تركت مصر وقلبي لوعة ولظى
 فِدَى لها - لو أباحت - كل ما ملكت
 تركتها ويودي غير ما حكمت
 وقلت عِلٌّ على بُعد أشارفها
 اثنان خلّدت الدنيا لأجلها
 لجنّة ضيّعت في نَوْمِ جَنان
 نفسي وما وهبت في حبها الجاني
 به المقادير في أشجان لفان
 وأنفخ الصور إن فاتته نيراني
 الحب والتّيل مذكانا بإنسان

الوطن بأبنائه

قال في اعتراف المواطنين بأقدار الرجال وأنه من مظاهر الوطنية السليمة:

إذا عرف الرجال حقوق بعض
 فتنظم البلاد بهم وتسمو
 لبعض نُزّوها عن كل ضعف
 ويغدو الفرد معدودا بألف

تأملات

ومن قوله في قصيدة له بعنوان (أقصى الظنون):

ما الخلق، ما هذه الدنيا ومنشؤها؟
 مسائل هي للأحقاب باقية
 ما الفكر ما الجوهر الباقي وما العدم؟
 كنا سيبقى الردى والشك والألم
 أجل فرض لها وهم وأيسره
 وهم وقد يستوى الدهماء والعلم

الوطنية والعروبة

ومن قصيدة له يعبر فيها عن وطنيته وعرويته:

إن العروبة والكنانة ملتي
فلموطني روحى وكل جوارحى
دين يوحدُه الوقى العابد
ولكم حثيى والشعور الماجد
فجميعنا صيدُ رماء الصائد
يكفى لنا النسب العتيد جمعا

نداء الحرية

ومن قصيدة له سنة ١٩٥١ يناجى الشعب ويجد جهاده ضد الاحتلال في معركة القتال:

بوركت يا شعب الكنانة ثائرا	حرراً وباطن البطولة قاهرا
أزجى إليك تحقيق من خاطر	دام ومن قلب ينوب مشاعرا
يأبى التفات ولا يسوح بغير ما	جعل الحياة نفائسا وذخائرا
ليس الصديق هو المقرب وحده	ولرب مهجور يُظن المهاجرا
إن كان غيبى العتاة فمهجى	لك أين كنت مكافعا ومناصرا
أبى مساومة الطفلة وإن أذق	شر الأداة، مواليا لك ذاكرا
إن كان يؤموزنا السلاح فربما	خلق الإباء بنا السلاح الهائرا



وحش للاستعمار بمعن شره	باسم الحضارة والتقدم ساخرأ
وكأنما حسب العقول نفاية	للناس، أو بعض المواجهس دائرا
هل يصلح المذيع من آثامه	حين الرصاص يصيح أزعن كافرا؟
حين الفظائع قد غطين بالسن	للنار واعتلت الجراح منابرا؟
حين الأساطير التى يدلى بها	سيت بصائر للورى وسرائرا؟
حين الخرائب صارخات حوله	مثل اليتامى لا تمثل عامرا؟



إن كان حسن الظن ذنباً أولاً	فيه، فكيف يصد ذنباً آخرأ؟
هو غاية الإجرام للوطن الذى	عانى وعانى من أذاه خسائرا
أن يمنح الوطن المفلدى صفحة	لفق يتجادع أو يتجادع صابرا
ويرى بالاستعمار بعض خلاصه	هل كان الاستعمار إلا جائرا؟

أَنْ يَحْذَرُوا مَفَاوِضًا وَمَشَاوِرًا
مَهَا تَقَلُّبٌ فِي الْمَظَاهِرِ مَا كَرَا
فَمَنْ الْقَطِيعَةُ مَا يَكُونُ الزَّاجِرَا
وَعَدَ تَوَمَّلْ فِيهِ بَهْأَ بِأَهْرَا
فَعَالَةً، لَا ضِجَّةَ وَعِنَا جِرَا
إِنْ السَّلَامَةُ قَدْ تَكُونُ مَخَاطِرَا
ذَهَبُوا الضَّحَايَا فِي (الْقَنَاقَةِ) حَرَاثِرَا
تَبَقَّى لِأَحْقَابٍ تَدُومُ نَوَاصِرَا
مَهَا تَلَلًا رُوعَةً وَمَفَاغِرَا
إِلَّا لِيُثْلِمُوا غَافِيًا أَوْ شَاعِرَا
إِنْ الْحَقِيقَةُ مَا تَحْتَلُّ حَاضِرَا
بِمِثْلَاتِكُمْ، لَا تَجْعَلُوهُ الْعَابِرَا
إِنْ التَّفَوُّقُ لَا يَطْبِقُ مَعَانِرَا

قَرْنٌ مِنَ التَّخْرِيرِ عَظْمٌ نَشَانَا
حِثْرًا بَنَى وَطَنًا، فَذَاكَ عَدُوْكُم
لَا تَمْنَحُوهُ سِوَى الْقَطِيعَةِ وَحِدَهَا
أَوْ مَا يَكُونُ بِهِ الْخِلَاصُ لِيَوْمِكُمْ
حِثْرًا بَنَى وَطَنًا وَكَوْنُوا وَحِدَةً
لَيْسَتْ سَلَامَتُكُمْ بِجَالَا هَيِّنَا
لَا تَأْسَفُوا - مَهَا حَزَنَتُمْ - لِلْأُلَى
حَمِلَ الْأَدِيمُ مِنَ النُّجَيْعِ وَصِيَّةَ
خَلَاوِ التَّغْنَى بِالْجُلُودِ وَفَضْلَهُمْ
فَهُوَ الْغَنَى بِذَاتِهِ عَنْ ذِكْرِهِ
وَعَثُوا بِأَسْبَابِ لَيْتَمَةٍ حَاضِرِ
كُونُوا مِنَ الشُّهَدَاءِ فِي إِعْجَازِكُمْ
لَا عُثِرَ يَهْدِ الْيَوْمَ عِنْدَ تَهَاوُنِ

يهاجم فاروقاً قبل خلعه

ومن قصيدة له نشرها في مجلة (الشهداء) التي تصدر في حلب - عدد أبريل سنة ١٩٥١، يهاجم فيها فاروقاً قبل خلعه بعام، ويشبهه بالكركن، وهي من بليغ شعره الوطني، قال:

مِنْ تَمَعَةِ الشَّعْبِ وَمِنْ كَثْمِ
عَمَلِكَ الْحَدَّ عَلَى صَفْوَهَا
كَمْ يَجْعَلُ الدِّينَ حِبَالَاتِهِ
قَدْ عَضَّهَا النُّحْسُ، وَمَا عَضَهُ
يَمْرِغُ الْأُمَّةَ فِي رِجْسِهِ
عَانَتْ بِهِ وَأَوْشَابَهُ
مُتَتَفَعِّلًا، يَمْرِجُ مُسْتَفْرِقًا
كَالْكَرْكَنِ الَّذِي يَزْدْهِجِي
لَمْ تَعْطِهِ غَانِيَةً قَبْلَةً
أَوْ بَادَلْتَهُ نَكْتَةً حُلُوةً

حَتَامُ يَا قَوْمِ ضَلَّالَاتِكُمْ تَمَكَّنَ الْفَاجِرُ مِنْ قَصْدِهِ؟
 كُنَّا نَرْجِيهِ مِثَالَ الْهَدَى فَأَصْبَحَ الْفَاشِمْ فِي حَقْدِهِ
 كُنَّا نَقْنِيهِ أَغْنَى الْعَمَلِ فَأَصْبَحَ الْبَدَلُ مِنْ حَمْدِهِ
 كُنَّا نَقْدِيهِ بِأَرْوَاجِنَا فِي رَوْحِهِ الْعَالَى وَفِي زَهْدِهِ
 مَا بَالُهُ أَضْحَى فَقِي مَا جُنَّا الشَّارِدُ الْخَادِعُ فِي وَعْدِهِ؟
 حَتَامُ يَسْتَهْزِئُ مِنْ مَجْدِكُمْ؟ حَتَامُ؟ وَالْحَمْدُ مِنْ مَجْدِهِ
 حَتَامُ يَسْتَرْسِلُ فِي غَيْهِ؟ حَتَامُ؟ وَالسُّوقَةُ مِنْ جَنْدِهِ
 حَتَامُ أَعْلَاكُمْ لَهُ صَاغِرٌ؟ حَتَامُ؟ بَلْ أَهْوَنُ مِنْ عَبْدِهِ
 أَعْقَلُكُمْ دُونَ دَفِينِ الثَّرَى لَوْ يَعْقِلُ الْحَيْثُ فِي لَحْدِهِ

يحيى ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢

وقال سنة ١٩٥٢ من قصيدة له يحيى ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢:

بوركت يا وطني العزيز محرراً سَمَحًا، وَفِي كُلِّ الْقُلُوبِ حَيِّيًا
 لو أستطيع كبت شعري من دمي حقُّ أَزِيدَ بِشَعْرِي التَّرْحِييًا
 لو أستطيع سألت كل خيلة وَهَيْتَ بِالشَّعْرِ الْمَنُورَ طَيِّيًا
 لو أستطيع زففت ما أنا عاشق لِيَكُونَ قَرِيبَانَا أَعَزَّ قَرِيبًا
 لو أستطيع بهت من ضحك الضحى كَرَّزًا، وَمِنْ لَهْفِ الْقُرُوبِ نَسِيًا
 لو أستطيع وهبت كل مكافح عَمْرًا تَكَرَّرَ فِي الْخُلُودِ عَجِييًا
 لو أستطيع أعلتُ أعوامًا مضت لَتَقْصُرَ أَحْلَامُنَا رَأَتْ وَوَجِييًا
 لو أستطيع بذلك أضعاف الذي حُمِلَتْ فِي إِشَارِي التَّعْذِييًا
 لو أستطيع غسلت ساحة دوركم بِدِمَائِي، وَرَشْتَهَا تَطْيِييًا
 لو أستطيع هريت من شيوخوخي وَرَجَعْتَ أَرْفَلُ فِي الشَّبَابِ قَشِييًا

ينادي بإلغاء الملكية

من قصيدة له في أكتوبر سنة ١٩٥٢ يدعو إلى إلغاء الملكية:

اقطعوها وانبذوا من دعاها نَعْمَةً إِنَّا شِعْنَا مِنْ أَذَاهَا
 قد خدعنا في الذي قالوا لنا عَنْ جَنَاهَا، بِشِ مَا يَجْنِي جَنَاهَا

أثّرُ أحياء قروننا سلفت
قلتُ «أحياء» ليته الحُلم النوى
إنما أحياء ضرورا سلفت
خدعونا حقبةً واستسهلوا
كم تفتّينا بحب صادق
سلطة الشعب هى الأمّ التى

وأما العصر^(١) فى بَغْيٍ تنهى
كان أحياء الأمس إصلاحا وجاها
زوّقوها كى يَعْتَوَهُ إلها
أن يُضَلُّوا الشعب فى النل فتاهما^(٢)
فرأينا مَنْ هَوَى فيمن تباهى
أثمت الأحرار، لا دعوى سواها

يحيى الجمهورية المصرية

وقال من قصيدة له فى ١٩ يونيه سنة ١٩٥٢ يحيى الجمهورية المصرية بعد إعلانها^(٣) :

إذا الحكمُ للجمهور أصبح رائدًا
فيه أمة (النيل) المبارك حاذى
ولا تقبلُ التفريق فى أى مظهر
أبى الحق أن يَلْقَى به العارَ والظلمًا
- وقد نلتَ ما تَهْوَيْنَ - أن تَحْلِقَى الضياءَ
فمن يقبل التفريق يستأهل الرُجما



أعيذك من وهم يصير عقيدةً
أعيد (جمالاً^(٤)) والزعيم (محمد^(٥))
قد انتزعنا من قيل حَظك عنوةً
نَجَبْرُ واستعمل فرّداه صاغرا
وها أنتِ بالمهد الجديد طليقةً
ففى كل شبر من ثراك خميلةً
وفى كل ركن من ربوعك ملجأً

فكم أمة هانت بإعزازها الوها
يجذّقها من حَدِّ مطلبك الأسمى
وما يرحا والنهر كالطائش الأعمى
وقد كان كالمحموم سكران بالحمى
ومُنْجبةً أعلام نهضتك الشُّبّا
وقد كانت الويلات تفتاله قُضّا
تلوذُ به غيرُ المواهب أو تُحْمَى



(١) أى العصر الحاضر.

(٢) فتنة، أى فضل.

(٣) أعلنت الجمهورية فى مصر يوم ١٨ يولية سنة ١٩٥٢.

(٤) جمال عبد الناصر

(٥) محمد نجيب.

على ما كسبت اليوم واغتني اليوما
تسرُّ بلعجاز لها كلُّ ما تمَّا
وفنا تهرَّ الغافلين أو الصُّبَّا
أزلت هذا النصر من ذمك اليُتبا
وها هو قد أضحي لكل الوري غنبا
وما خصَّ شعبا يستفيق ولا قوما

فيا (مصر) عَضَى بالنواجذ حُرَّة
وهيأ أعدى للقد المرتجى عُبلُ
إخاء وتنظيها وعلمها وهمة
ولا تشتكي من لاعج اليُتم بعدما
ألا في سبيل المجد ما قد غَنِيته
فلإنك للآقوام أمثولة الهدى



تصافُ ذليلَ العيش واليأس والنُوما
منائرُك الزهراء تستقبل السُّلما
وحسى - على رضى - مفارقتي الأما
فمن قلب محروم تملأ إذ يُقَمَى
تعيش على الأضداد مها تكن غُرما

تبارك ربِّي حين يُنصف أمةً
عزيزٌ على مثلي اليمادُ وقد زَعَتْ
عزيزٌ في قلبي حنان مؤرق
إذا جئت هذا اليوم أزعج تهاثي
ولكنَّ نفس الحر نفسٌ عجيبةٌ

يذكر مصر ويحن إليها

وقال من قصيدة أخرى يذكر مصر ويحن إليها:

نَمَى الذى تأبون بعض مودعها
وأطلُّ أحياء في صميم ربوعها
ونوافح القدران حول ربيعها
والذكريلت وهو بها كمنوعها

لا تهرؤا روى لفرط ولوعها
ألقت في الأحداث دن ربوعها
تتب الرؤى حولي بأنفاس الربى
وتهرز الذكرى فأشرق بالأسى



معنى السلو وحرقى لجموعها
كبيكاته لسمائها وزروعها
بعيناتها، وتراقصت بولوعها
شنان بين عبادق وخضوعها

كم واهم أنى سلوت وما درى
إن الفتى الوافى بكى حصاءها
دنيا الصباحة والجمال تلألأت
أجد الخضوع لها أحبَّ عبادة



غير الندى والشمس غب طلوعها

لو أستطيع طردت عن أزهارها

وحيتها بما أغار تجنيًا
وبعشتها من نومها، وجعلتها
وأثرتها لعظائم ومفاخر

* * *

مصر الحبيبة جنة لا أشتى
أهوى لها الإعزاز كيف تمثلت
إن كان عاقبي الزمان بغربي
أو لم تنل عيني شعاع سنائها
وتركني في حيرة لا تنتهى
ركعت بحراب الجمال بومها
وأذابت الأحلام في ألحائها
لا تنهروا روعي لقرط ولوعها

ذكرى الشهداء

وقال في (ذكرى الشهداء):

ذكرى يرددها الزمان الوافي
شعت على مرّ السنين، وعمرها
متغفلا بنهى القوارس، دافعا
اليوم يوم صلاتنا لجلالها
وعلى الثرى نجثو، تقبل تربة
ما كان بالحاق على مستلهم

ألق الشموس لها من الأفواف
عمر البطولة بآل كل شفاف
من يجمعون إلى الخلود الصافي
واليوم تقرؤها الحنان الوافي
عبقت بحر شعورها الرفاف
شهم، وليس على الأبي بخاف

* * *

إنا بنى الأحرار نعرف قدرها
وبكل معنى للعظائم شامخ
لا مجد غير الحق يبقى ناصعا

ونشيمها في النور والأطيفاف
وبكل نبع للحقيقة صاف
سمعا على رغم الردى المتلاف

* ■ *

هذى مقابرهم وتلك دماؤهم مثل النجوم ونورها الشفاف
 هيئات يدركها الطفأة وربما سجدوا لها رغبا عن الآثاف
 سيجىء يوم للحسابه قضائهم تلك المظلم بغضبة الإنصاف !

* * *

يا أمة الأحرار دوى حرة والتضحيات لك الجلال الكافي
 وبحسبك الشهداء ضمخ ذكرهم هذا الأثير، وشاع في الألفاف
 يوم كهذا اليوم تهتف عنده مهج الشعوب المانيات هتاف
 وتعرزه الدنيا التي حلمت به حلمى، وتزأر وثبة الآلاف !

مهاجم الإستعمار وينادى بالثورة عليه

ومن قصيدة له يهاجم فيها الاستعمار وينادى بالثورة عليه، نظمها سنة ١٩٥٢ لمناسبة الصراع بين الحرية والاستعمار في تونس، قال في مطلعها :

نوروا على الظلم العتق جهارا لا ترهبوه وإن يكن جبارا !
 النار لم تخلق لغير مجاهد طلب المظالم حين خاض النارا
 لا بد من صُهر اليقين بشعلة حتى يغلص رائعا قهارا
 خلّو الرصاص مدوياً من حولكم لا بد أن يتووى وأن يتوارى
 هذى البداية للنهاية، لم يدم حكم أسف به الدخيل قيارا
 مُراكش ثارت عليه، وفي غد سنرى الجزائر تصفع الجبارا

* * *

أمم العروبة نسوة وأرومة وثقافة، أتقلس استعمارا ؟
 خشنوا وضلوا، والخسيس بطبعه يلتقى الكرامة والمكارم عابرا
 ياويلهم، ومن الضحايا حولهم لُسُنُ تحدث في البصوت مسارا

* * *

«فرحات»^(١) ليس بأول أو آخر . لجرائم روعننا تكرارا

(١) الزعيم المال الترنسى الذى اغتاله الفرنسيون.

ما كان الاستعمار إلا سُبَّة
 يلهو به المستعمرون كأن نسوا
 قالوا: «هو النعم الجزيلة فيضه»
 فتضاحكت منهم، وفاضت عبرة
 ولو أنها لبست حلى ووقارا
 عفى الذين يلعبون النارا
 واستنطقوا الأنهار والآثارا
 ودما، وآلما حوت، وشرارا

إلى أن قال:

إن قدر المستعمرون خضوعها
 ومن الشموب الساكنات ثوائر
 لن يستطع النذل من تجرى بهم
 أبدا فقد فقدوا لهم أعمارا
 في حين يسمع غيرها هدارا
 تلك الدماء وتخلق الأحرارا



عبد الحليم المصري

١٨٨٧ - ١٩٢٢



من الشعراء الضباط. ولد في مايو سنة ١٨٨٧. وبعد أن أتم دراسته الابتدائية دخل المدرسة الحربية وتخرج منها سنة ١٩٠٦ في التاسعة عشرة من عمره، وألحق ضابطاً بالأورطة السادسة عشرة من المشاة في كسلا.

تعشق الشعر والحرية منذ صباه، فغاد بقصائد رقيقة في التنقي بالوطنية والحريّة.

وظل يفرّد بالشعر ويتنقى به إلى أن وفي في يولييه سنة ١٩٢٢، وكان حين وفاته في ريعان الشباب، فكان لوفاته وقع أليم في النفوس.

كانت له في الشعر مكانة ممتازة، عبر عنها حافظ إبراهيم بقوله في رثائه:

لَكَ إله قد أسرع في السير قبلنا
وقد كنتَ فينا يا فتي الشعر زهرةً
فلهنّ على تلك الأنامل في البَيْتِ
ويا ربح للأشعار قبل نَجِيئِها
تزدود من دنياك ذكراً مخلّداً
وللمصري ديوان شعر من ثلاثة أجزاء.

وأثرت يا «مصري» مكئي المقابر
تفتح للأذهان قبل النواظر
فكم نَسَجْتَ قبل البلى من مفاخر
وربح القوافي ساقها غير شاعر
وذاك لعمري يُعَمُّ زاد المسافرين

فجر الأمل

من قصيدة له نظمها سنة ١٩٠٩:

ترعرع عهد اليمن واخضلُ جانيه
مضى زمنُ كتّا فريسة حربه
وردّ علينا الله ما الدهر ساليه
وجاء زمانُ ما نزال نحاربه

من الشرق إلا قام أَلْفٌ يخالجه
فَعَنَّدَ لها بألف ما أنت طالبه
وإما تمشت لقتضاء تطالبه
وإما محونا اليوم ما أنت كاتبه
ورواك من ماء المجرة ساكبه
على فوزها أبدى لها الفوز حاجبه

عن البأس حق أن ترن نواديه
عن الجحد حق نظم الدر ثاقبه
فقالوا أبو حفص بدأ وكتائبه
وأكتب ما يملئ الرسول وكتائبه
وضارب به من لا نطق نضاربه
وفرت من الجفن المريص سواربه

أطل على واد غمتك جوانبه
بلايلة تشدو وتصفو مشاربه
ترامى نواحيه وينهال كاتبه
فألفى رجالا كالأسود تجاوبه
إلى رغبة إلا وقت رغائبه

فلم يخلج الدهر المصطفى مجاهدا
فيا شرق قد جاشت بنفسك أنفُسُ
فإما أصابت من مناهنا طليبة
تقول له إما احتسيت جزاءنا
جزاك عن عني الله يا غير أنفس
إذا ما النفوس الظاهرات تضامنت

إلى أن قال مخاطبا الزعيم محمد فريد:
(محمد) لا يَلُ الكرى لك عزيمة
نهزت بأنباء البلاد ولم تمل
طلعت بهم في باسم الصبح عابسا
كأنني وأنت اليوم تدعو إلى الهدى
فجرد شبا تلك اليراعة صارما
لقد روعت منا المغموم جوانعا
ثم قال مخاطبا الكتابة:

فيا غادة في الشرق قد غار نجمها
لقد كان روضا وارف الظل في الملى
فأصبح تذروه الرياح عواصفا
إلى أن دعا داعي الصلاح حياله
دعوت أناسا ليس يدعوه هو امرؤ .

يصف قصر أنس الوجود ويشيد بعظمة مصر

عينى إليك وقلبي للأولى رحلوا
وفي الطلول البوالى ترسل القل
عيوننا أين كانت دورنا الأول
أدناهم الشوق أو أقصافى الأجل
غير اليكاه فقد ضاقت به الخيل

رَفَقَ عليك دموعى أيها السطل
أرسلت بالمعين في سقياك هامية
لولا ببقية أطلال لما عرَفَت
ليت الأحية حين البعد طباح بهم
يا عالما بالمهوى أرشد قضاك إلى

أن أبكها وكلأتا خطبه جلال
هوّن عليك كلأتا بعد هم طلال
والهم مضطرب والموج مقتبل
وأنت كالركن فيه تمجد القبل
في وجهك الطلق لا يندو بها مال
شتان ما بين من قالوا ومن عملوا

تبكى على دورهم مثل وتعدلى
يا أيها الطلل المزورّ جانبه
وقفت باليم وسما لاهراك به
رؤياك من جنة الفردوس سارية
الدمر ملّ وآى الدهر كائنة
قرأت فيهن سرّ العالين فيما

وختمها بقوله :

فمن يحيارك فيما شدت يا (أنس) المرء مرّتحل والذكر مقتبل

يكرم الشيخ عبد العزيز جاويز بعد خروجه من السجن

ومن قصيدة له سنة ١٩٠٩ في حفلة تكريم الشيخ عبد العزيز جاويز لمناسبة خروجه من السجن بعد استيفائه مدة الحبس (ثلاثة أشهر) التي حكم بها عليه في أغسطس سنة ١٩٠٩ عن مقالة له في (ذكرى دنشواي):

من جائر للمستجير	تصف السجون وما بها
لك بين سكان القبور	أيام كنت غحال نفس
من تقلّب العاني الأيسر	متقلبا فوق الفرا
يحنو على ذاك المزور	وتود رؤية زائر
ل وخفت من سجن الضمير	ما خفت من سجن الحيا
ز تهون هائلة الأمور	في جانب الوطن العز

أسود النيل

من قصيدة قالها سنة ١٩٠٩ في الاحتفال برأس السنة الهجرية سنة ١٣٢٧:

هل أطمعهم مصر في السودان؟	مالي أرى السودان طعمة أكل
بلم العدى حين التقى الجيشان	أنسوا أسود النيل يوم تضرّجوا
أوكارهم شيدت على الأفنان	متسابقين إلى الحصون كأنها
في الحرب مشتركان مختصمان	متقاسمين العاديات كأنهم

صوت الشعب

من قصيدة له يخاطب الخديو عباس الثاني ويطلبه بالدستور:

رُدِّ الوديعة لا مالا ولا شانا لم نرجُ في جانب الدستور إحسانا
لسولا ولاؤك لم نسطِ إليك يدا من الرجاء ولم نسألك غفرانا

يناجي الحرية

من قصيدة له في مناجاة الحرية سنة ١٩١٠:

حَلَّاهُ البَيْنُ فانجابت عن المقل ولم تودع قبيل السير من رجل
كأنما لم يصفها القوم في بلد ولم يؤهل بها في منزل حفل
إلى أن قال:

عردى أطلُّ علينا إننا نفر إن جَلَّتْ عنا فإننا عنك لم نحل
الدهر غيّرنا حتى إذا بصرت بنا الديار غدت منا على دخل
رُدِّ علينا عهدًا منك ناضرة يارُبِّ عهد تولى ثم لم يؤل
كنا وكنتِ وكان الدهر، فانقرضت أيامنا وتولمنا على عجل
أصبحتِ في غير وادى النيل ثاويةً والتمس في الموت غير الشمس في العمل
أيسجنون يسراعا لم يُثَرِّقْنَا ويعقلون لسانا غير منعقل^(١)

وختمها بقوله مخاطبا المواطنين:

ألقى زمان نهوض وانقضى زمنٌ كان البكاء يُرى فيه من الحيل
فراقبوا الله يومًا في كنائسه إن الكنانة أضحت مطمح الدول

(١) يشير إلى تهديد حرية الصحافة.

عزير فهمي

شاعر الحرية والشباب

١٩٥٢ - ١٩٠٩



هو الدكتور عزير فهمي، من أعلام الحرية والأدب، وأبطال الوطنية والجهاد.

ولد سنة ١٩٠٩ بطنطا، وهو نجل الأستاذ عبد السلام فهمي رحمه رئيس مجلس النواب السابق ومن المجاهدين في الحركة الوطنية.

تلقى علومه الابتدائية والثانوية في المدرسة الابتدائية ثم في المدرسة الثانوية بطنطا، ثم انتقل إلى مدرسة الجيزة الثانوية حيث نال منها شهادة البكالوريا.

وبدت عليه منذ أن كان يتلقى التعليم الثانوي ميوله نحو الحرية والأدب والشعر وأنشأ وهو في مدرسة الجيزة الثانوية مجلة أدبية كان ينشر فيها آراءه وأشعاره.

وانتقل إلى التعليم العالي بالقاهرة، وجمع بين دراسة الحقوق في كلية الحقوق ودراسة الأدب بالانتساب إلى كلية الآداب، فنال ليسانس الآداب سنة ١٩٣٢، والحقوق في سنة ١٩٣٣، وكانت رسالته التي قدمها إلى كلية الآداب في المقارنة في الشعر العربي بين العصر الأموي والعصر العباسي.

وكان طموحاً إلى الاستزادة من العلوم والآداب، فسافر إلى باريس سنة ١٩٣٣، والتحق بجامعة وحصل منها سنة ١٩٣٨ على الدكتوراه في القانون وكان موضوع رسالته (الامتيازات الأجنبية في مصر ومعاهدة مونترو)، وكانت أول رسالة من مصرى عن هذه المعاهدة، والتحق في الوقت نفسه بالسوريون للحصول على الدكتوراه في الأدب.

وقد شبت الحرب العالمية الثانية وهو في باريس، فعاد إلى مصر سنة ١٩٤٢ مملوءاً وطنية وتضحية، مستكملاً دراساته العلمية والأدبية.

وشغل منصب وكيل نيابة المحاكم المختلطة وقتاً قصيراً، ثم ضاق صدراً بالقيود الحكومية، فاستقال مؤثراً العمل الحر والجهد الحر، واشتغل بالمحاماة والصحافة ووقف قلمه ولسانه، وقلبه وجنتانه، على الجهاد في سبيل الحرية ومكافحة الاستعمار والطغيان والفساد.

كان أدبياً شاعراً، وخطيباً مفوهاً، يجمع بين بلاغة العبارة وسلاسة الأسلوب، وقوة التفكير، وغزارة المادة، والشجاعة الأدبية، كان يدافع عن الحرية بقلبه ولسانه على صفحات الجرائد، ويلسانه فوق المنابر، وفي ساحات القضاء، وتحت قبة البرلمان.

وقد اعتقل وحقق معه غير مرة بتهمة العيب في الذات الملكية أو التعريض على الإخلال بالنظام، وكان في المحاماة يدافع عن الحرية وعن المتهمين في جرائم الرأي، ويحاجم الطغيان والقلم السياسي والإجراءات التعسفية.

دخل البرلمان سنة ١٩٥٠ نتائياً عن دائرة الجمالية بالقاهرة فكانت صفحته في دار النيابة أقوى صفحات حياته التي قضاه في الكفاح الوطني، وعلى أنه انتخب مرشحاً من الوفد، فإنه لم يتقيد بسياسة الحكومة الوفدية وعارضها فيما يستحق المعارضة من تصرفاتها، وله في ذلك المواقف المشرفة، وظهرت مواهبه البرلمانية كخطيب ومناضل برلماني من الطراز الرفيع، كان يناضل عن الحرية في كل مناسبة، وله المواقف المشهورة في معارضة نظام الاشتباه السياسي، ومعارضة القانون المعدل لنظام مجلس الدولة وهو القانون الذي قدمته الحكومة الوفدية إلى البرلمان للانتقاص من سلطات المجلس واستقلاله، ودوى صوته بمجلجلاً معارضاً ومشروعات تقييد حرية الصحافة سنة ١٩٥١، وكان لمعارضته لهذه المشروعات دوى كبير وصدى استحسان عظيم في الرأي العام، وبلغت مكانته الوطنية والبرلمانية ذروتها في معارضته لهذه المشروعات حتى انتهت بسحبها من البرلمان، فكانت هذه النتيجة أعظم انتصار للفقيد في حياته السياسية والوطنية.

ولما شبت معركة القتال بين الفدائيين والإنجليز عقب إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ في أكتوبر سنة ١٩٥١، سافر إلى منطقة القتال، وساهم في حركات المقاومة ضد القوات البريطانية، واستهدف للقتل غير مرة، فكان ذلك منه غاية اليزل والتضحية.

وكانت وفاته يوم أول مايو سنة ١٩٥٢ في حادثة فاجئة، بل مأساة أليمة، إذ كان يعتزم السفر إلى الفشن في صبيحة ذلك اليوم ليرافع أمام محكمتها في إحدى القضايا، وكان يتوى السفر بالقطار، ولكن مواعيد السفر كانت قد تغيرت ابتداء من أول مايو لحلول الصيف، وقد فاته أن يعرف الموعد الجديد للسفر، فلم يدرك قطار الصباح، فاستأجر سيارة ركبها قاصداً الفشن، وفيما هي تسير في الطريق الزراعي وقع لها قبل العياط ببعثة كيلو مترات حادث فجائي، قلبها رأساً على عقب وهوى بها في التربة المحاذية للطريق، فمات الفقيد غريقاً.

وكانت وفاته فجيعة للوطن وبنيم إذ فقلوا بوفاته مجاهدًا صادقًا بين المجاهدين الأحرار.
كانت وطنيته فوق حزبيته، وعقيدته أساس شخصيته، كان يرى في الحياة السياسية رسالة
يؤديها، لا يبتغي منها لنفسه مقنا ولا نفعًا، ولا يقصد إلا وجه الله والوطن، فلا غرو أن حزت
الأمة لوفاته حزنا عظيما.

اسلمى مصر

. قال رحمه الله من قصيدة له سنة ١٩٣٦ بعنوان (اسلمى مصر):

اسلمى مصرٌ على مرّ القرون . حُبِّكَ اللهُ نصيرًا ومعين
لن تُضامى أنت يا مهد الخلو د وهذا بعض أشبال العرين
من تكن ليلاه مصر لا يَنُ ساعة البذل ولو ذاق المنون

إلى أن قال:

لارعاكَ الله يا عهدًا مضى عهد بنى واقتلت وأفون
محنة لا عهد للناس بها جزع الصبر لها، والصابرون
عصفت بالحرث والتسل معا وأعادت عهد كسرى ونرون
ونضت سيفًا يتوكأ كلما هبَّ قُفَا حثية المنون
دولة الحجاج أن قيست بها مثَلُ في الرفق عند المنصفين

وهوى الأوطان للأحرار دين

إلى أن قال في تمجيد التضحية:

في يمين الله ما ضحينمو لا يُضيع الله أجْرَ المخلصين
في هوى مصر يضحي عن جِيا ورضاء كل مُستَبِقِ ضنين
لن يُضيع العُرفُ عند الله إن ضَيَّع الخير أصيل وهجين
هو عند الناس جوْدٌ ووفاء وهو عند الله إيمان ودين
وليانات الهوى شقي كما د سل التاريخ عنها والمنون
فهوى ليس قيس متعة وهوى الأوطان للأحرار دين

هـى ليلانا جميعا فانظروا
هل جمعنا من أقانين المني
ليتقى أحيا إلى يوم أرى
لا أبالي أعظامى بعده
لا سقاك النيل يا مصر إذا
ونشد مجداً سليبا غابرا
هل قسطنا ما علينا من ديون؟
ما غنته على مرّ السنين؟
فجر مصر فيه وضاء الجبين
في سهوب^(١) من ثراها أم حزون
لم تقرب من أمانيك الشطون
ونعير بلواك العالمين

لا يخشى الموت

كان رحمه الله يتنبأ بأن لا يطول به العمر وأنه سيموت في ربيع الحياة، فكان يستعد للقاء الموت، ولا يباه ولا يخشاه، وينشد الخلود

قال في هذا المعنى من قصيدة له سنة ١٩٣٣ بعنوان (لحن الموت):

أها العراف هل عند النجوم
كانب علمك ما لم تنبني
جهل السر أناس قبلنا
حلوا الصب وقد نامت به
ولكم ساءل نفس حائرا
ما وجودي؟ ما سبيلي؟ من أنا
سر هذا الكون أو عند المنون؟
جرت واه ولت بي الظنون
وجعلنا فوق جهل الأولين
أم من قبل عاد و(أمون)
حيرة السارى بلبل نى دجون:
ما جهادي؟ ما مصيري بعد حين؟



يا بى أرى لقد جد نوى
لا تقولوا مات في شرح الصبا
ليس مئى من بكافى قارعوا
وغدا يجمعنى واد شطون^(٢)
ذلك الحق تجل واليقين
لن يرّد الدمع محتوم المنون



(١) السهوب: كالسهول: الأراضي السوية والحزنة: جمع حزن وهى الأرض الصلبة.

(٢) الشطون: البعيد.

(٣) الشطون: البعيد.

لا تقولوا ليته عائش! فقد فارق الأصفاذ عصفور سجين
شاقى الخلد كما شاق القطا سلسيل في عقاب وقرون^(١)

يا قارئ الكف

وقال في هذا المعنى سنة ١٩٤٤ من قصيدة له بعنوان (يا قارئ الكف):
يا قارئ الكف ماذا أضمر القدر؟ ولا عليك إذا لم يَهْتَقِ الخبرُ
وما اهتمامك باسمي؟ هَبْ عَتْرَةً وجهه زيدا.. وجدى عمرو أو عمر
عليك بالكف فاقرأ بين أسطرها ماذا يدل عليه الخط والأثر؟



أطالِحَ اليمن أن الخط متصل وما الشيات^(٢) على جنبى ثمانية
خبرٌ عن القائل لا يجفل فساتنةً عنلى كبراحة والشر ينتظر
هل أنسا الله في عمرى إلى أجل يلح فيه على الهُم والكِبَر؟
وهل أبلغ آمالي؟ وأبعثها عنلى كأقربها نائم ومختضر
هَبْنِي ظفرت بآمالى على ظمأ إذا ارتويت فماذا يعقب الظفر؟
وهل أوسدَ حَرْنَا حَرَّةً وحصى في جوف هاربة أغوارها حجر
أم هَوَجَلًا^(٣) قَدَفًا^(٤) تنبو براكبها لا البيدُ عليها يومًا ولا المضر
قفره جرداه لم تكلأ حشاشها إلا السواقى ولم يعلق بها مطر
أم تَدَحُّ النار من حول فتطمئن حيا وأشوى بها أيان تسمر
أم أن في مسبح الحيتان منقلبى يوم الرحيل إذا ناداني السفر^(٥)



(١) جمع: طروق في الجبل وهو، وقرون: جمع قرن: القطعة من الجبل.

(٢) الشيات: جمع شية: العلامة.

(٣) الهوجل: المازة البيضاء لا علم بها.

(٤) القَدَف: البعثة.

(٥) كأنه في هذا البيت كان يتنبا بمرجه غرقا، وقد ترقى رحمه الله غرقا سنة ١٩٥٢.

قل ما بدا لك واهرف غير مبدع
 اللحد كاللحد والأفان واحدة
 والمال كالعلم لولا أنه أمل
 والسعد حال على الإنسان طارئة
 لولا التشابه في الأقدار ما صدقت
 قالرجم بالغيب - لو تدرى - هو المندر
 ولا خيار لمت حين يدثر
 إن الفنى إلى الأموال مفقر
 (وعند صفو الليالى يحدث الكدر)
 عرافة الحى من توفى لها النذر

الشورى

قال من قصيدة له سنة ١٩٤٣:

بنى مصر هذا الحق أبلج واضح
 إذا شتم الشورى فذلك حكمها
 تولى زمان الحاكمين بأمرهم
 تولى زمان الفرد لا عاد عهده
 وهذا صراط يستوى عنده القصْد
 وإن شتم الفوضى فليس لها حد
 ولم يبق في الدنيا مسود ولا عيد
 ويدل بالدستور سلطانه الفرد

الضمير

وقال يصف الضمير من قصيدة له سنة ١٩٤٤:

صاحب وستان من طول السهر
 كلما غافلته في سكرة
 فإذا كُفرت عن وزر عفا
 ليس ملموساً فتدرى كنهه
 وتواريه فيفضى ساعة
 ليس عقلاً أو شعوراً خالصاً
 فهو عقل باطن أو ملهم
 كم جرعت الصاب من تزياته
 أنتها الدهر طريد آبق
 أينما وليت أحصى مُرجئاً
 إن تتم ناداك أو تنس أدكر
 من أمانيك تحيى أو عذر
 وإذا عدت إلى إثم ثار
 وهو ما كُتبت يدري ما تسر
 ثم يستيقظ في لمح البصر
 بل تراثاً من شعور وفكر
 وهو إحساس قديم مدخر
 واستسقت الشهد بما قد هصر
 وغريم طارد أو منتصر
 موعداً حتا فأيان المفرد؟

يتراعى شاحياً أو إيمًا وهو جبارٌ عتيفٌ تارةً
 وهو إعصارٌ وريحٌ صرصر وهو كالبحر إذا البحر طغى
 وهو كالسهم إذا السهم رمى أمرٌ ناهٍ وعاصِرٌ طبعٌ
 لا ينالم العمر إلا سناعة ساعة إن نمت عنها غافلا
 أيها الساهر نم أو لا تم إن جئنا فقلينا وزرنا

ومصر تنادهم وصوتى يردد

وقال في يونيو سنة ١٩٤٦ وهو معتقل في سجن الأجانب:

كفاك عزاء أُنك اليوم أُوحد هبون عذاب: السجن والليل موحش
 ويذهب عنك الحزن فيه تجلد وقد يؤسر الليث المتبع عرينه
 ومازلت أدعوهم ومازلت أشهد أهيت بقومى أن يذودوا عن الحمى
 تلم بهم طوراً وطوراً تهدي أهيت بقومى والخطوب زواحف
 ومصر تنادهم وصوتى يردد وأنذرت: حتى يبح صوتى ولم أزل

نذرت نفسى قريناً لفادها

ومن قصيدة أخرى نظمها وهو في سجن الأجانب سنة ١٩٤٦:

شكت إلى الله من عدوانٍ أظلمها وعات غاصبها في أرض راعبها
 وأحمر قلبها من يأسٍ يصارعها يكاد لولا بقايا الصبر يردعها
 فزعت من غدها علماً بهاضرها ورضت نفسى على نسيان ماضها
 وقفت قلبى عليها في شبيبته قشاب منها ومن عدوانٍ ساليها

لما أفقت من الماضى بلا أمل نذرت نفسى قربانا لفادها

ذكرت مصر فهاجتى مواجهها وعزنى الدمع حق كنت أبكيها
يا لائى وأنا الجاني على كيدى دع عنك لومى فإن اللوم يغريها
كلُّ يقضى ليشجى سامرا وهوى وقد يغنى لأوطار يرجيها
وليس لى سامر فيها ولا وطر ولا زعمت جوادى من مذاكيها
وإنما هى آلاسى أكتمها حتى يضيق بها صدرى فأحكيها

نزحت عنها فلم أعدل بها وطنها ويات قلبى أسيراً فى مغانيها
وصنت شمعى إلا عن مطائنها وهمت فى الأرض مسحوراً بوادها
ورق شمعى كما رقت جداولها وراق وصفى كما راقعت مجاليها
وما رأيت كتاباً فيه جوذره إلا ذكرت غزالاً فى مراعيها

لما رددت إليها رد لى أملى عند اللقاء وأحياني تدانيها
وقد طويت إليها الهم واقتربت بى السفينة من أولى موانيها
فكاد يظفر قلبى من توثيه وقد تنسم ريحاً من نواحيها
وحال قلبى دموعاً عند ما اتأدت فرحت أنثر دمعى فى ضواحيها
سجدت لله عرفاناً لنعتمه لما حلت رقيقاً من روايها
فكيف حالت حياتى عندها سقراً وكيف أصليت ناراً من سواقيها

جارت عليها صروف الدهر واختلفت أيدى الرماة فأها من أعاديها
راشوا لها السهم مسموماً فشتتها وكاد لولا يد الرحمن يصمىها
واختنوها جراحاً فى مقاتلها باللبجيرة من عدوان آسيها

إلى أن قال:

فزعت من شرك يلقيه غاصبها قبل الجلاء لعل (الوعد) يغريها

وما الجلاء إذا شئت^(١) بسلسلة من القيود و(شرط الخلف) عليها
تشعب الرأى والأحزاب سادرة ومصر صابرة والصبر يضئها
وكيف تهض من أسر يكبلها والقيود أمرها والقيود ناهيها

بنى وطنى أهبت بكم زماناً

وقال فى نوفمبر سنة ١٩٤٦ يندد بالإتجلىز على أثر الاعتداءات الدامية التى وقعت منهم فى
القاهرة والإسكندرية، ويدعو المواطنين إلى الهمل والتضحية:

سلوا من سامها^(٢) هذا العذابا ومن شرع الأسنة والحرابا
سلوا جلاها تبت يدها بأى شريعة فرض العقابا
أما ينهائ عقل أو ضمير يرد له المحبة والصوابا
ضلال أن يعاتب مستبد و أول بالسود أن يعابا
وجهل أن يخاطب غير أهل فلا تحزن عليه إذا تنابا
يصغر غده صلفا وحقا ويوردها على ظمأ سراها
وكم أسدت إليه وكم تحبى ولم يحسب لمناقبه حسابا
بأى جريرة وبأى عدل تجرح مصر كلس النصر صابا؟
ولولا مصر ماغنموا فلاة ولو مصر ما غلبوا ذبابا



سلوا (دنكر ك) هل نهضوا بهبه وقد غنموا السلامة والإيابا
سلوا (الصحرء) عنهم كيف طاروا وهل تخفوا النعام لهم ركابا
سلوا (العلمين) هل نبتوا بأرض وقد سبقوا مع القن السحابا
فكيف تماظموا بعد انكسار وكيف تبدلوا أسدا غضابا
سلوا (الميثاق)^(٣) هل وأدوه صيحا وهل نسجوا من الكفن الإهابا
وكيف جرى على فهم كذابا وسال على سواعدهم خضابا

(١) الإشارة هنا إلى مصر.

(٢) يقصد الإتجلىز

(٣) ميثاق الأمم المتحدة.

وكيف استبدلوا شرعاً بشرع
كذلك تلذع الأنفى كريماً
وبين الناس رقط وابن آوى
إلى أن قال:

ويا وطنى فديتك من جراح
وهل بأسو المريج سوى جريح
وكم من قصور ورد المنايا
إذا كرت عليه الخيل فرّت
روى دمه ثراك ففاح مسكاً
وأخر فى (الجنوب) توى شهيداً
لما الله الخوارج والمطايا
ولا كان الجلاء إذا أحلوا
وطوبى للأولى نهبوا فداء

بنى وطنى أهيت بكم زمانا
فلما بع صوتى قيل هابا
ولو نطق الجهاد كما نطقنا
لأسمعه الصدى عنكم جوابا

على الغيايات

من شعراء الوطنية ومن المجاهدين القدامى، اعتنق مبادئ مصطفى كامل منذ أن استمع إلى خطبته الكبرى التي ألقاها بالإسكندرية في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧، وصار من تلاميذه وأنصاره الأوفياء المحافظين لهذه طوال السنين.



انضم إلى أسرة الصحافة منذ صباه. وعمل في صحف الحزب الوطني المتعاقبة. وانجذبت نفسه إلى الشعر، فنظم قصائد تفيض وطنية وإخلاصا. وقد جمعها في ديوان أصدره سنة ١٩١٠ بعنوان «وطني» وله مقلمتان، إحداها بقلم محمد فريد، والثانية بقلم عبد العزيز جاويز. وكان لهذا

الديوان قضية أثرت في مجرى حياة الشاعر. فقد أقيمت عليه الدعوى العمومية وحوكم على قصائد من هذا الديوان عدتها الحكومة وقتئذ عيبا في ذات ولي الأمر (الحديو عباس الثاني) وتحريضا على كراهية الحكومة والإزدراء بها، وتحييذا للجرائم (السياسية)، وحكم عليه من محكمة جنايات القاهرة في أغسطس سنة ١٩١٠ بالحبس سنة. وقد صدر الحكم عليه في غيبته، إذ وكان قبل محاكمته قد ارتحل إلى الاستانة، ثم إلى سويسرا حيث أقام في (جنيف)، وأصدرها سنة ١٩٢٢ جريدة (منبر الشرق) بالفرنسية، وجعلها وقفا على الدفاع عن قضية مصر وقضايا الشرق عامة. وظل في منفاه حتى عاد إلى مصر سنة ١٩٣٧ واستأنف فيها إصدار صحيفته (منبر الشرق) بالعربية حتى اليوم^(١) - مد الله في حياته - وهي صحيفة وطنية شرقية إسلامية أخلاقية، تدافع عن القضية الوطنية وقضايا العروبة، وتتاضل عن الحرية والاستقلال للشعوب الشرقية جمعا.

إلى مصطفى في حياته

من أول شعره الوطني قصيدة نظمها سنة ١٩٠٧ وقدمها إلى مصطفى كامل عقب خطبته بالإسكندرية. قال مخاطبا الفقيه:

(١) أي حتى وقت ظهور الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٥٤.

اصدع بقولك إن أردت مقالا
لم تدر مصر سوى حماك قومه
أقبل على الوطن العزيز بصارم
وختمها بقوله
فادأب على إنهاض أمتك التي
ترجو وراء خطاك الاستقلال

وطن يناجي ربه

قال من قصيدة له بهذا العنوان:

رب. أن البلاد أرهقها الظلم وحاقّت بأهلها البأساء
رب إلى الصدور أخرجها الوجد وأودت بحلمها الأرزاء
فتدارك بلطفك النيل حق لا تجارى حياة مصر دماء

قصائد حوكم من أجلها سنة ١٩١٠

من قصيدة بعنوان (طيف الوطنية):

وعداة ملكوا الأمر ولم
وولاة أقسموا أن يسجدوا
رب ماذا يصنع المصري إن
طال يوم الظلم في مصر ولم
هل يرى المحتل أنا أمة
أو يرى الظالم فينا أننا
زعموا زورا، فما من أمة
كتب النصر لشعب ناهض

ومن قصيدة له يتندد بالخديو عباس الثاني:

أعباس هذا آخر العهد بيننا
أيرضيك فينا أن نكون أذلة
ونياس من آمالنا فيك كلما
وأرضيت أعداء البلاد وأهلها
ورويدك يا عباس لا تبلغ المدى
فلاتخش منا بعد ذلك عقابا
ننال إذا رمنا الحياة عقابا
قضيت علينا أن نكون غضايا
وأصليتا بعد (الوفاق) عذابا
ولا تستمع للظالمين خطايا

فما يبتغى (جورست) إلا مكيدة تحول أسلام السلام خرابا
وها قد رمى حرية القول رمية بسهميك تجنى للبلاد خرابا

يهاجم الوزارة

وقال في هذه القصيدة يهاجم وزارة بطرس غالي التي كانت تتولى الحكم وقتئذ:

ألا أطرأه الوزارة نقمة ولا بلغت مما تروم مراما
تحاول أن تقضى علينا بإثمها ولكن ستلقى دون ذلك أناما
وزارة خداع أقامته بيننا يد الحاكمين الأثمين قماما

ومن قصيدة أخرى له يندد بهذه الوزارة على أثر امتناعها عن حضور جلسات مجلس شورى القوانين فرارا من مناقشات الأعضاء:

يا أيها الوزراء ماذا نأبكم حق هجرتم صورة النواب
إلى أن قال:

فتزلزلت أقدامكم من هولها وهرعتمو فزعوا إلى الأبواب
ورضيتمو الحرب المصيب لأنه خير من الإفلاس عند حساب
عار عليكم أن يقال وزارة لم تدرك إن سئلت بيان جواب

ومن قصيدة أخرى له سنة ١٩١٠:

طال ليل البلاد والشعب سار لا يرى غير هذه الظلمات
ظلمات من الظالم أودت بضياء الحياة بعد الحياة
يشتكى الشعب والقضاة خصوم فلمن يشتكى خصام القضاة

ومن قصيدة له يخاطب الشيخ عبد العزيز جاويز عندما حكم عليه لأول مرة سنة ١٩٠٩ ونشرها في ديوانه (وطنيق):

يا ساكن السجن الكريم وأنت نعم الأكرم ما السجن للترفاء إلا
أنت البسرى ومن يحيا لك مجرما هو مجرم
رفعة وتنعم لك مجرما هو مجرم

هذا ما وعته الذاكرة وما وسعني الجهد في استقصاء الشعر الوطني، ولعلّ بإخراج هذا الكتاب أحقق أمنية كانت تجول في خاطري منذ عدة سنوات. ولا زلت أكرر اعتذاري عما عسى أن يكون قد فاتني تدوينه من الشعر الوطني. وإني لتدارك هذا النقص في المستقبل القريب إن شاء الله^(١).

* * *

راجع هذا الكتاب

الأستاذ حلمي السباعي شاهين

المستشار بإدارة قضايا الحكومة

(١) لم أستطع تدارك هذا النقص كما وعدت القارئ في الطبعة الأولى من هذا الكتاب بسبب ما ألم بي من مرض مازلت أعانيه، ادعو الله الشفاء.

وفاة المؤلف

وعقب الانتهاء من مراجعتي هذا الكتاب بأيام معدودة كان يوم مصر الحزين، يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٦٦. حيث فقدت مؤرخها الوطنى المحقق. فروع الشرق لوفاته. وخرجت جموع الشعب ظهر ٤ ديسمبر سنة ١٩٦٦ تودعه إلى مقره الأخير. إلى ضريح زميله في الكفاح المرحومين مصطفى كامل ومحمد فريد بميدان القلعة بعد أن أدنى الفقيد الكريم رسالاته في جميع الميادين التى خاضها - محاميا صادقا ونقييا للمحامين وأبا روحيا لهم، ووطنيا جريئا، ووطنيا مخلصا ثابتا على مبادئه. ومؤرخا حرا محققا - جمع لمصر تاريخها القومى فى مؤلفاته العديدة، فى مختلف عصورها، فإليك أيها الفقيد العظيم بكائى، بل دعائى، وما أنت فى حاجة إليه، بل نحن أحوج ما نكون إلى تسجيل تاريخك وكفاحك، ليكون هاديا ونبراسا للجميع، وهو دين فى عنقى لعلنى أوفيه لهذه الأمة العظيمة، أما أنت فمشواك الجنة مع التبيين والصديقين والشهداء والأبرار...!

ابنك الروحى
حلمى السباعى شاهين

١٩٦٦/١٢/٢٥

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة الطبعة الثانية
٥	مقدمة الطبعة الأولى
٩	رقاعة رافع الطهطاوى
١٥	عبد الله تليم
٢٠	محمود سامى البارودى
٣١	إسماعيل صبرى
٤٢	أحمد شوقى
٩٣	حافظ إبراهيم
١٤٨	خليل مطران
١٧٥	أحمد محرم
١٩٦	أحمد نسيم
٢١٣	أحمد الكاشف
٢٢٨	محمد عبد المطلب
٢٤٦	أحمد زكى أبو شادى
٢٦٣	عبد الحليم المصرى
٢٦٧	عزيز فهمى
٢٧٧	على الناياق
٣٨١	وفاة المؤلف

للمؤلف

حقوق الشعب :

يتضمن شرح المبادئ والنظريات والقواعد الدستورية وحقوق الإنسان . طبع سنة ١٩١٧ .

نقابات الصائون الزراعية :

يتضمن تاريخ الصائون الزراعي ومنشأته في أوروبا ، ونشأة الصائون في مصر وتاريخه ونظامه ، وعلاقته بالنهضة الاقتصادية والاجتماعية . طبع سنة ١٩١٤ .

الجمعيات الوطنية :

صحيفة من تاريخ النهضة القومية يتضمن تاريخ الانقلابات السياسية والنهضات القومية في طائفة من البلدان مع شرح أصول الدساتير ، والتنظم اليونانية فيها وللقارة بينها . طبع سنة ١٩٢٢ .

تاريخ الحركة القومية (في جزئين) :

الجزء الأول : يتضمن ظهور الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث وبيان الدور الأول من أدوارها وهو عصر المقاومة الأهلية التي اعترضت الحملة الفرنسية في مصر . وتاريخ مصر القومي في هذا العهد (الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩)

الجزء الثاني : من إعادة النيران في عهد نابليون إلى عهد ولاية محمد علي (الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩) .

عصر محمد علي :

يتناول تاريخ مصر القومي في عهد محمد علي (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٠)

عصر إسماعيل (في جزئين) :

الجزء الأول : يشتمل على عهد عباس وسعيد وأوائل عهد إسماعيل (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢)
الجزء الثاني : وفيه ختام الكلام عن عهد إسماعيل (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢) .

الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٧) .

مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال :

تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٨٧ إلى سنة ١٨٩٧ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٢) .

مصطفى كامل : باعث الحركة الوطنية

تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨ (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩) .

محمد فريد : رمز الإخلاص والتضحية

تاريخ مصر القومي من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤١).

ثورة سنة ١٩١٩ في جزئين :

تاريخ مصر القومي من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ (في جزئين) الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦ .

المجلد الأول : يشتمل على شرح حالة مصر وسواها التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ -

١٩١٨) ويان الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة . وتطور الحوادث من بعد انتهاء الحرب

إلى شوب الثورة في مارس سنة ١٩١٩ ثم وقائع الثورة في القاهرة والأقاليم .

المجلد الثاني : وفيه الكلام عن مهادنة الثورة واستمرارها ومحاولات الثورة ولجنة ملز . والحوادث التي

لايتها ومفاوضات ملز واستشارة الأمة في مشروع ملز . والتبليغ البريطاني بأن الحماية علاقة غير مرضية .

ونتائج الثورة في حياة مصر القومية .

في أعقاب الثورة المصرية (ثورة سنة ١٩١٩) : في ثلاثة أجزاء :

المجلد الأول : تاريخ مصر القومي من أبريل سنة ١٩٢١ إلى وفاة سعد زغلول في ٢٣ أغسطس سنة

١٩٢٧ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧)

المجلد الثاني : تاريخ مصر القومي من وفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧ إلى وفاة الملك فراد سنة ١٩٣٦

(الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ - سنة ١٩٤٩) .

المجلد الثالث : تاريخ مصر القومي من ولاية فاروق عرش مصر في ٦ مايو سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥١

(الطبعة الأولى سنة ١٩٥١) .

مقتل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

(الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢)

الكفاح في القتال سنة ١٩٥١ - حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ .

وزارات' للوثنيين - أسباب الثورة - فاروق يمهّد للثورة .

ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢ - ١٩٥٩ (طبع سنة ١٩٥٩)

تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة :

من فجر التاريخ إلى الفتح العربي (طبع سنة ١٩٦٣)

تاريخ مصر القومي .

من الفتح العربي حتى عصر المقاومة والحملة الفرنسية طبع بعد وفاة المؤلف

مذكراتي (١٨٨٩ - ١٩٥١) :

خواطر ومشاهداتي في الحياة .

تعرء الوطنية في مصر:
تراجهم . وشهرهم الوطنى . والمسابات التى نظموا فيها قصائهم الطبة الأولى سنة ١٩٥٤

أربعة عشر عامًا فى البرلمان :

مجموعة أقوال وأعمال فى البرلمان :

فى مجلس النواب سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥

وفى مجلس الشيوخ من سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٥١ (طبع سنة ١٩٥٥) .

كتب مختصرة

مصطفى كامل :

باعت النهضة الوطنية (طبع سنة ١٩٥٢)

بطل الكفاح . الشهيد محمد فريد : (طبع سنة ١٩٥١)

الزعيم الناصر أحمد عرابى :

(الطبة الأولى - يناير سنة ١٩٥٢)

جمال الدين الأفغانى : (طبع سنة ١٩٦٦)

بحث وتحليل معاهدة سنة ١٩٣٦ :

استقلال أم حاية (طبع سنة ١٩٣٦)

كتب لطلبة المدارس الثانوية .:

(طبعت سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩)

مصر المتجاهدة فى العصر الحديث :

فى ست حلقات تشتمل على كفاح الشعب فى عهد الحملة الفرنسية ثم كفاحه فى المهد التالية إلى بداية

ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ .

(تحت الطبع)

مختارات من دواوين الشعراء فى الجاهلية والإسلام .

١٩٩٢/٩٠٤٢	رقم الإبداع
ISBN 977-02-3873-4	الترقيم الدولى

١/٩٠/٧٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

هذه الأعمال الكاملة

بسط إلى عبد الرحمن الرافعي على أنه جرت مصر الحديث
فقد عكف طوال عمره على كتابة التاريخ المصري فبدأه بتاريخ
الحركة القومية في عصر المماليك والحملة الفرنسية حتى ثورة
٢٣ يوليو في سبع سنوات . وإلى جانب هذه الحقبة التاريخية
محمده يكتب أيضا مؤلفات أخرى هامة
وكتابات الرافعي تنسم بالصدق والدقة والحيدة فهو بدأ
بذكر اسباب الحادث ثم سرده ثم رايه فيه ومن ثم فان فكر
الرافعي يسود هذه المؤلفات ويعبر عن كفاح الشعب المصري في
مواجهة القوى المختلفة والملاهيئات التي احاطته
ودار المعارف تقدم هذه الأعمال الكاملة للقارئ العربي
حتى يقف على تاريخ وطنه العظيم وكفاحه المستمر
ومطالبته الدائمة بالحرية والحق والديمقراطية

